

أفريقية وتقسيمها الجغرافي السياسي

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد السابع والثمانين

١ نوفمبر سنة ١٩٣٥

٥ شعبان سنة ١٣٥٤

المتفجرات الحربية

والبحث العلمي

يتأثر تطبيق المعارف العلمية على اساليب الحرب ، برأيين متناقضين . فقواد الجيوش يرغبون بوجه عام عن تغيير الوسائل والقواعد التي جرى عليها كبار القواد من قديم الزمان ، ويحسبون كل اقتراح بتعديلها او تغييرها ، اعتداء على حقوقهم المقدسة . يقابل هذا ، ان الاساليب الجديدة تمنح مستعملها في الحروب امتيازاً كبيراً على خصومهم ، فلا يلبث هؤلاء المخصوم طويلاً حتى يعملوا الى وسائل اعدائهم الجديدة . فقد كان الالمان في الحروب الكبرى اول من استعمل الغازات والابخرة السامة ، فاضطر الحلفاء ان يستعملوها مع اعتراضهم عليها وتنديدهم بها . وقد جنت الجيوش البريطانية بوجه خاص فائدة كبيرة من استعمال الدبابات ، مع ان القواد اهملوا ملاءمة الخطط العسكرية لاستعمال هذا السلاح الجديد . ولا ريب في ان عجز الالمان عن مجاراة الحلفاء في استعمال الدبابات كان له اثر غير يسير في خذلانهم . واذن فلا ينكر احد ان الحرب الكبرى كانت باعثاً قوياً على تشجيع البحث العلمي من ناحية تطبيقه على وسائل الحرب واساليبها . فالطيران لولا حافز الحرب الكبرى وفائدته فيها لما بلغ الشأو العظيم من الارتقاء الذي بلغه في خلال اربع سنوات من تأجيج نيرانها . يضاف الى هذا انه اصبح يتعذر على اي كان ان يعين الخط الفاصل بين الصناعات الحربية والصناعات غير الحربية . فغاز الكلور يصلح غازاً ساماً في الحروب ومع انه غاز جليل الفائدة في تعقيم الماء وتطهير الجروح

من اعجب المكتشفات في التاريخ اكتشاف البارود والبندقية . ووجه العجب في اكتشاف البارود انه اكتشاف في العلم المطبق . وقد تم في عصر كان العلم فيه لا يزال طفلاً مقمطاً في المهد . ولا بد ان سبق البارود اكتشاف طريقة لتنقية ملح البارود (نترات البوتاسيوم) وهو المادة الاساسية فيه واكتشافها عمل كبير اذا اعتبرنا حالة العلم في ذلك العهد . والظاهر ان البارود صنع اولاً في الصين في اوائل القرن الثالث عشر ، ولكنهم استعملوه في الالعب النارية فقط ، والراجح ان تأثير الالعب في الحروب كان معنوياً لا مادياً ، اي ان رؤيتها كانت تبهر الاعداء وتخيفهم اما البندقية فلم تبتكر الا في القرن الرابع عشر ، والراجح انها اخترعت في المانيا . ولكن قبل انقضاء حرب المئة سنة (١٣٣٧ - ١٤٥٣) بين فرنسا وانكلترا كان استعمالها قد اصبح عاماً في غرب اوربا . وقد تقدم صنع البارود وصنع البندقيات جنباً الى جنب لانه كان من خرق الرأي ان يعتمد صانع البارود الى صنع بارود قوي التفجّر اذا كانت البندقيات لا تقوى على ان تتحمل ضغط انفجاره

اما استعمال البارود في نفس الصخور وشق المناجم والمحاجر فتأخر كثيراً . فلم يذكر استعماله لهذا الغرض الا في اوائل القرن السابع عشر في بلاد المجر . والظاهر انه لم يستعمل في انكلترا الا سنة ١٦٨٩ وذلك في مناجم كورنول . وهذا مما يبعث على الدهشة لان الانكليز استعملوا البارود في لغم الحصون في حصار هونفولور سنة ١٤١٥

ومقدار ما يستعمل من البارود في نفس المناجم والمحاجر يفوق المقادير المستعملة منه لجميع الاغراض الاخرى . بل ان صناعة الديناميت تعتمد في حياتها على ما يستعمل منه لهذا الغرض فتاريخ البارود مثال يدل على تأثير الحرب في شقها الطريق الى استعمال مادة حربية لاغراض صناعية وتجارية

فاذا نظرنا في ما تم في ميدان المتفجرات والمفرقات في العصر الحديث ، رأينا أثر الحرب فيها واضحاً كلّ الوضوح

اكتشف قطن البارود في سنة ١٨٤٥ - ١٨٤٦ وكان مكتشفه استاذاً للكيمياء في بال يدعى « شوينبين » ، فادرك في الحال قيمة هذه المادة من ناحية تفجيرها ، فاحتفظ بطريقة تركيبها سراً وهو يحاول ان يبيعه للحكومات مختلفة . فثبت انه اذا جّر قطن البارود في بندقية musket فافت قوة قذفه قوة مقدار اكبر جداً من البارود . فذهب الى انكلترا وجرب تجارب مختلفة في مدرسة وولتش الحربية وفي بورتسموث على مرأى من رجال مجمع تقدم العلوم البريطاني . ثم سجّله في دائرة الباتنته وأجّر حقوقه لمصنع جون هول وابنائيه . ولكن في ١٤ يونيو سنة ١٨٤٧ حدث انفجار

هائل في المعمل دكّه من اساسه وقتل ٢٩ من رجاله . وحدث مثل هذا الانفجار في فرنسا .
والظاهر ان مساعي بذلت في النمسا لصنع قطن البارود فكان مصيرها القتل والتدمير . وظلت
الحال كذلك الى ان اكتشف الكيماوي البريطاني فردريك آبل - كيماوي وزارة الحربية البريطانية -
طريقة لجعله مركباً مستقرّاً وكان ذلك سنة ١٨٦٥

كانت التجارب الاولى بقطن البارود متجهة الى الحصول على مادة متفجرة تصلح للاستعمال في
الاساحة النارية ، ولكن الباحثين كانوا مهووسين بوجود استعمالها كما يستعمل البارود . فكانوا
يسخنونه ويضغطونه ثم يحولونه الى حبيبات دقيقة . فكان مسحوقاً سريع الانفجار تصعب السيطرة
عليه ، ولكنهم وجدوا انه يصلح لبندقيات الرش

اما البارود الذي لا دخان له فاستنبطه اولاً الكابتن شولتز احد ضباط المدفعية الالمانية
سنة ١٨٦٥ . وفي سنة ١٨٦٨ اكتشف احد مساعدي آبل - وكان اسمه برون - ان قطن البارود
الجاف يمكن ان يتفجر بالضغط ثم وجد ان لوحة من قطن البارود الرطب يمكن تفجيرها بضغط
جزء جاف منها . فافضى هذا الاكتشاف الى استعماله في الاعمال العسكرية لان حفظه رطباً حال
دون تفجيره اتفاقاً . ولا يزال الانكاز يستعملونه مع ان الالمان وبعض الدول على البرّ الاوربي
احلت محله مركب « الترينيتولوين » وهو اعنف تفجيراً واسهل حفظاً

الا ان بارود شولتز لم يصنع من القطن بل من نترجة nitrating اليف الخشب ، والمادة في كلا
القطن والخشب اساسها واحد وهو السلولوس ولكنهما يختلفان قليلاً . وباع حقوقه في النمسا
لمصنع فولكن فمكف عليه كيماويوه وحسنوه بتفتيت بناء الخشب اللينفي بمعالجته بمزيج في
الكحول والاثير . وبعد ان مضى هذا المصنع في صنعه سنوات حظرت الحكومة النمساوية صنعه
لانه يتعارض مع احتكارها لصنع البارود

ولما حاصر الالمان باريس في سنة ١٨٧٠ دعت الحكومة الكيماوي المشهور مارسيلان برتلو
لمساعدتها فمكف على دراسة المتفجرات ومقدار ما ينطلق من المواد المتفجرة ، من الحرارة والطاقة
عند التفجر . واحتفظت الحكومة بخدماته بعد انتهاء الحرب فأنشأ مصلحة حكومية غرضها
البحث في جميع الاختراعات ووجوه التقدم الخاصة بهذا الموضوع وتنظيمها . ومعظم ما يعرف عن
المتفجرات يرجع الى مباحثه . ومن أهم النتائج التي اسفرت عنها مباحث هذه المصلحة ، اكتشاف
في Vieille في سنة ١٨٨٤ ان قطن البارود يمكن تحويله الى جسم هلامي (جلاتيني) القوام
بمعالجته بمزيج من الاثير والكحول فيصبح معجوناً يمكن تحويله الى حبوب او قدد ، ثم يحفف
المذيب الكحولي فتبقى مادة قرنية ، اذا اشعلت احترقت احتراقاً منتظماً في طبقات متوازية .

فدعيت هذه المادة « المتفجرة » مسحوق (B). وحرف (B) هنا يرمز الى الاسم بولانجه Boulanger ولكن لا يعرف على وجه التحقيق هل المقصود بولانجه وزير الحربية حينئذٍ او الاناء الذي كان قطن البارود يمزج فيه بمحلول الايثر والكحول وكان شائعاً حينئذٍ بين الخبازين . والخباز بالفرنسية « بولانجه » كذلك

وكذلك حلت مشكلة تحويل قطن البارود الى بارود لا دخان له يصلح للاستعمال في البنادق والمدافع . وهذا البارود الجديد يفضل البارود الاسود القديم من وجوه عديدة ، وما كاد يصنع حقاً ، أفضى الى وجوه جديدة من التقدم في الاسلحة نفسها

وبعد بضع سنوات تم صنع اصناف البارود الهلامي ، ففي سنة ١٨٨٨ استنبت الفرد نوبل (صاحب جوائز نوبل المشهورة) مادة الباليستيت Ballistite بمزج مقدارين متساويين تقريباً من النتروسولولوس (حيث مقدار النتروجين فيه قليل) والنتروغليسرين . وفي السنة نفسها عيّنت الحكومة البريطانية لجنة مؤلفة من السر فردريك آبل (F. Abel) والسر جيمس ديور (J. Dewar) فأسفر بحثها عن اكتشاف مادة الكورديت Cordite وهي مزيج من النتروغليسرين وقطن البارود (حيث مقدار النتروجين فيه كبير) وهلام معدني (الفازلين) . وقد جرى الجيش البريطاني والاسطول البريطاني على استعمال هذه المادة من وقتها ، حالة ان الفرنسيين قصرُوا استعمالهم على مواد لا يدخل النتروغليسرين فيها وتعرف انواع بارودهم ببارود النتروسولولوس . وقد كتبت فصول كثيرة للمقابلة بين مزايا النوعين من دون الوصول الى نتيجة حاسمة في تفضيل الصنف الواحد على الآخر . اما الايطاليون فقد اخذوا بأنواع البارود التي يدخل النتروغليسرين في تركيبها

اما في المانيا فصنع دوتنهوفرا احد علماء مصنع روتويل للبارود ، باروداً جديداً من النتروسولولوس بعد تحويله الى هلام بمعالجته بالايثر الخلي Asetic ether ولكنه ظل متأثراً بطريقة صنع البارود القديم خففه وضغطه وطحنه حبوباً صغيرة

الا ان السلطات العسكرية الالمانية ادركت الفائدة العظيمة التي جنتها حكومة فرنسا من البحث العلمي المنتظم في هذا الموضوع فطلبوا الى باحث يدعى « ول » Will وكان اكبر مساعدي الكيماوي هو فم ان ينشئ للحكومة الالمانية مصالحة للقيام بهذا النوع من البحث . وعينت صناعة الاسلحة والذخيرة الحربية في الوقت نفسه بانشاء فرع للباحث العلمية في هذا الموضوع ، يدعى (سنترستال) . وكذلك نشأ في المانيا مقران لهذا البحث الواحد يقوم على تأييد الحكومة وبنفقاتها والاخر على تأييد مصانع السلاح وبنفقاتها ، فكان لكليهما اكبر شأن في ترقية صناعة الاسلحة والذخيرة الحربية في المانيا

وكانت المانيا تختلف عن فرنسا وانكلترا ، في ان الدولة لم تكن تملك مصانع للذخيرة ، فكانت المصانع الخاصة في المانيا مطلقة من القيود حرّة في تجربة التجارب لانشاء اصناف جديدة من المواد المفرقة بناء على ما تقضي اليه مباحث العلماء المختصين . وقد دلّت مباحثهم وتجاربهم على ان لكل من البارود المصنوع من النتروسولولوس والبارود المصنوع من النتروغليسرين دائرة خاصة يمتاز فيها . فبارود النتروسولولوس اصلح في رأيهم للبنادق ومدافع الميدان المتوسطة ، حالة ان بارود النتروغليسرين اصلح للمدافع الضخمة

فلما نشبت حرب افريقية الجنوبية تبين ان استعمال البارود الجديد يبري باطن المدافع بسرعة فبعت لجنة براسة لورد راليه للبحث في هذه المشكلة وفي مشكلات اخرى تتعلق بالمواد الحربية المتفجرة . فحاولت اللجنة ان تقنع مصانع السلاح والذخيرة في انكلترا ان تنشئ مركزاً للبحث العلمي على طريقة « السنترستال » الالماني ولما عجزت عن ذلك ، انشأت فرعاً للبحث العلمي في مدرسة دولتش الحربية ، فكان لمباحثه شأن عظيم في الحرب الكبرى وبوجه خاص في صناعة الكورديت

ومن الاكتشافات التي تستوقف النظر في السنترستال الالماني ، اكتشاف تين Thiene في سنة ١٩٠٦ لما يعرف باسم « سنتراليت » واسمها العلمي « دايفنل-دايافل-يوريا » . فاذا اضيف مقدار يسير من هذا المركب الى مسحوق النتروغليسرين وأندمج المركبان احدهما بالآخر بضغط مدّاح حامية ، تحول المزيج النتروسولولوس الى هلام من دون استعمال محلول طيار لذلك الغرض . فيستغنى كذلك عن عملية التجفيف بعد الحل ويوفر ذلك الايثر والكحول او ثمن الاستون . ولا يخفى ان قلة الاستون في انكلترا في اثناء الحرب كادت تعرقل عمل الكورديت . ولولا قلة الغليسرين في المانيا في خلال الحرب الكبرى لكان في وسعها ان تصنع مقادير كبيرة من المتفجرات باستعمال السنتراليت . يضاف الى ذلك ان اضافة السنتراليت تجعل البارود اكثر استقراراً في تركيبه الكيماوي لانه يتحد بالمواد المنحلة وهي اذا تركت حرّة تقصر عمر البارود

وما لمسه من الفرق في تحضير اصناف البارود واستعمالها ، نلمسه كذلك في المتفجرات العنيفة (وبرمز اليها بالحرفين H. E. اي High Explosives) التي تحشى بها القنابل . على ان هناك فرقاً واحداً في الحالين ، وهو ان الاقوال مختلفة في تفضيل بارود على آخر حالة انه لا اختلاف هناك في تعيين افضل المتفجرات لحشو القنابل

كان البارود يستعمل في حشو القنابل الى اواخر القرن التاسع عشر مع ان سبريغل Sprengel كان قد بين سنة ١٨٧٣ ان الحامض البكريك يمكن تفجيره بكبريتات يحتوي على احد املاح الحامض الفولمينيك . ولكن هذا الاكتشاف لم يسفر عن نتيجة عملية حتى بين توربين Turpin سنة ١٨٨٥

اسباب تفضيله على غيره لحشو القنابل لانه عنيف فعال وفي الوقت نفسه لا يتأثر بالحرارة ولا بالاصطدام اذا قيس بالمواد المتفجرة الاخرى . يضاف الى ذلك ان تحضيره لا يقتضي نفقة كبيرة لانه يحضر بنترجة الفينول (الحامض الكربولييك) وهو احدى المواد التي يمكن استخراجها من قطران الفحم الحجري . ولذلك عمدت الحكومة الفرنسية الى استعماله باسم مليفيت وتبعتها حكومات الدول الاخرى . فشرع الالمان يستعملونه سنة ١٨٨٨ وهذا الانكليز حذوهم حوالي ذلك العهد ولكنهم اطلقوا عليه اسم لديت Lyddite نسبة الى Lydd حيث تجري مناورات المدفعية البريطانية ولكن الالمان لم يرضوا عنه كل الرضا . لان درجة ذوبانه عالية فيصعب تذويبه وافراغه في الشكل المطلوب . ثم انه يأكل الرصاص وغيره من المواد فتتكوّن مركبات خطيرة . ثم وجدوا ان حوادث تفجيره اتفاقاً اكثر مما كان يظن . فوالوا البحث في معيهم فأسفر سنة ١٩٠٤ عن استعمال مركب الترينيتولون ويرمز اليه عادة بثلاثة حروف T. N. T. وهو يفضل الحامض البكريك من جميع هذه النواحي . ومع ان انكثرا كانت طائلة بتقديم هذه المباحث في المانيا ظلت لا توليها العناية الوافية حتى نشبت الحرب الكبرى اذ ظهر ان مقدار الفينول اللازم لاعداد « اللديت » غير كاف فشرع قسم المباحث في اعداد المعدات لصنع مادة T. N. T. وكانت السرعة التي حولت بها المصانع لهذا الغرض سبباً في حدوث انفجارات عديدة أودت بحياة كثيرين . بل ان بعض القنابل المحشوة بمادة T. N. T. المحضرة على عجل في انكثرا كانت تنفجر في الميدان وهي في اسطوانات المدافع قبل اطلاقها فتمزقها وتقتل بعض المدفعيين . حالة ان شيئاً من هذا لم يقع في المانيا . وسبب ان الالمان قضوا سنوات يبحثون ويحجرون حتى اتقنوا معرفة جميع التفاصيل في هذه الصناعة الخطرة ، ولكن الانكليز لم يقبلوا على هذا البحث الا على عجل وبدافع الحاجة فاضطروا ان يقدموا على صناعة هذه المركبات الخطرة قبل ان يتقنوا جميع اساليبها

ومع ذلك ظل الاسطول البريطاني محافظاً على استعمال الحامض البكريك في قنابله والى استعماله يعزى غرق طائفة من البوارج والطرادات البريطانية في معركة جتلند ، لانها كانت عند اصابتها ببعض قنابل العدو تنفجر قنابلها المحشوة باللديت من تلقاء نفسها فتغرق بمن فيها اما المدرعات الالمانية فكانت لا تفرق الا اذا دسرتها قنابل الانكليز ، ومنها ما عطل عن العمل ومع ذلك لم يغرق

ليس الغرض من هذا المقال ان يكون بحثاً وافياً في المواد الحربية المتفجرة ، ولكن الغرض اقامة الدليل على الصلة بين البحث العلمي وتقدم صناعة المتفجرات ، بضرب بعض الامثال . ولعل القارئ يجد ابلغ مثل على هذه الصلة في الفصل التالي وهو ترجمة المحاضرة النفيسة التي القاها الدكتور شوشه بك في موضوع الغازات السامة وفعلها الفسيولوجي ووسائل مكافحتها والوقاية منها

الغازات الحربية

اصنافها وخواصها وفعلها والوقاية منها

للكرنور على توفيق شوش بك

مدير معامل الصحة

ان ام الارض قاطبة معنية اشد العناية الآن باعداد العدة للحرب الكيميائية . ولما كانت الحكومات تلتزم الكتمان الشديد فمن النادر ان يعرف ما تمّ لعلائها في هذا الصدد . وقوانين الجيش في مختلف البلاد تحظر معالجة موضوع الدفاع ضد الغازات السامة معالجة وافية وقد بذلت مساعٍ كثيرة ، رسمية وخاصة ، لاجراج المدن والاماكن الحافلة بالسكان من المناطق المعرضة للهجوم الجوي ، ولكن لا يحتمل ان تقنع الامم المتحاربة بقصر الهجوم الجوي على القواعد الحربية ، بل المرجح ان تستعمل الطائرات في المستقبل لمهاجمة القواعد الحربية ولتدمير بلاد العدو بوجه عام كذلك . والغالب ان الجانب الثاني من عمل الطائرات الحربية لا يكون عسكرياً بل معني الدقيق بل يقصد به الى اضعاف القوة المعنوية في الشعب من الناحيتين النفسية والسياسية فيستولي عليه شعور الضعف واليأس ويغدو مثقلاً بكابوس الحرب شديد الرغبة عن مواصلة وكذلك تصبح الدول غير شاكية السلاح ، غنيمة باردة للدول المدججة به التي تحركها الطامع العسكرية فلا تتورع عن مد لطاق الحرب حتى تشمل الشعوب الآمنة . ومصر معرضة لخطر الهجوم من الجو عليها ، فيجب على كل من يعنيه الامر ان يعد المعدات اللازمة لحماية شعب امن اذا قضي الامر وامتدت الحرب الى هذه البلاد

وسائل الهجوم الجوي

قد تكون القنابر التي تلقيها الطائرات من الجو قنابر محشوة بمواد متفجرة او بمواد ملتهبة او بالغازات . اما القنابر المحشوة بالمواد المتفجرة والمواد الملتهبة فلا تستوقف نظرنا الآن لانها خارجة عن نطاق موضوعنا . وأما استعمال القنابر المحشوة بالغازات ففي وسع صانعيها حشوها بغازات سامة . وقد حل محلها من عهد قريب رثن المواد السامة من طائرات صنعت خاصة لذلك والغازات الحربية لا تزال على ما كانت عليه تقريباً عند خاتمة الحرب الكبرى ، على الرغم مما يقال مخالفاً لذلك . اما ما اذيع عن احوال الغازات الحربية الجديدة وتأثيرها الخفيف فقد دحضته اللجنة المختلطة غير الدائمة التي عينتها جامعة الامم لتحديد السلاح . فقد قالت في تقريرها الخاص بالغازات

ما يلي : « وليس هناك ما يسوغ القول بأنه في الامكان اختراع غازات حربية جديدة تفوق من ناحية فعلها العسكري على الغازات المعروفة الآن »

ومما يجب ان نوجه اليه النظر رأي فريق كبير من الاختصاصيين في جميع الامم ومؤداه ان القنابر المحشوة بالمواد المتفجرة والملتهبة ، اذا اطلقت من الجو سواء اطلقت مفردة ام في كميات كبيرة ، اشدّ فعلاً من قنابر الغاز ، على شرط ان يكون جمهور الشعب قد درّب على اساليب الوقاية من قنابر الغاز وانذر بنوع القنابر التي تلتقي عليه . يضاف الى هذا ان التدمير الذي تحدثه قنابر الغاز اقل من التدمير الذي تحدثه القنابل المتفجرة والملتهبة

والغازات المستعملة في الحرب قليلة . فثمة الكلور اولاً والفوسجين ثانياً . وهما غازان بالمعنى العلمي الدقيق . واما المواد الكيميائية الاخرى المستعملة في الحرب ، فسائلة وهي ترش في فطيرات دقيقة جداً ، فتبدو في الجو كأنها رشاش او غبار او غيم

خواص المواد الكيميائية الحربية

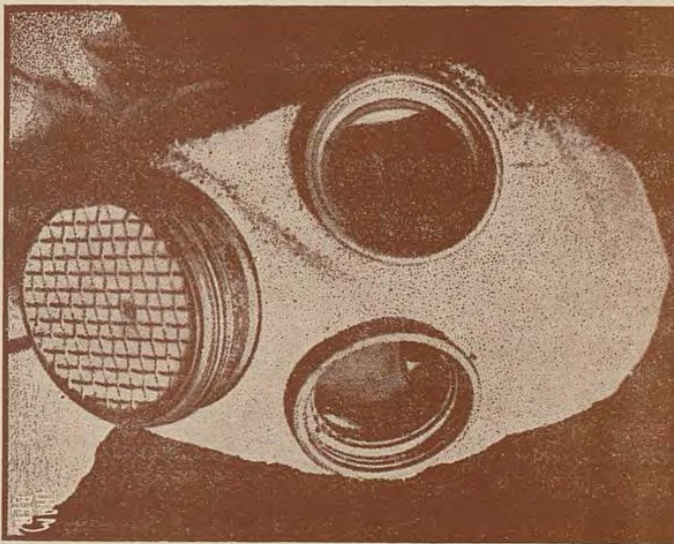
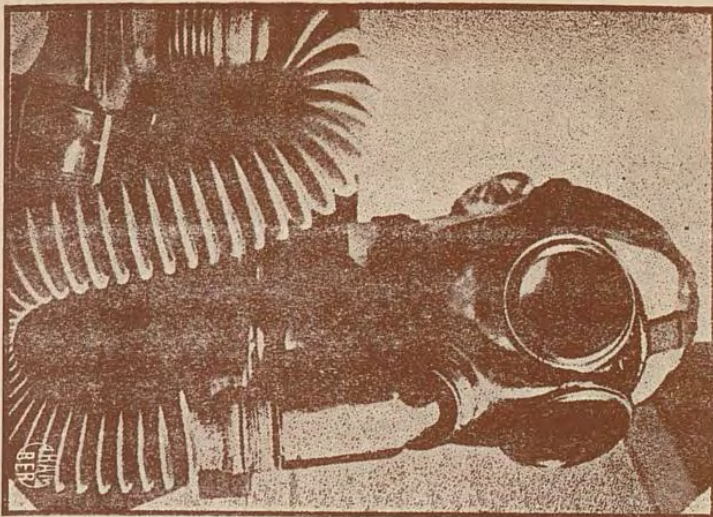
ولا يستعمل من المواد الكيميائية الحربية الا ما كان منها متصفاً بالخواص الآتية : —
اولاً — يجب ان يكون مقدار صغير من المادة الكيميائية كافياً للحصول على نتيجة كبيرة وقد استنبط العلامة هابر نسبة رياضية دقيقة بين المقدار المستعمل من الغاز الحربي او السائل الحربي وتأثيره وهو $M \times W$ حيث الحرف م يرمز الى المقدار والحرف و يرمز الى الوقت والحرف ف الى الفعل او التأثير . ومقدار الغاز يحسب بالمغرامات في سنتيمتر مكعب من الغاز الذي يستنشقه الانسان . والوقت يشير الى المدة التي تنقضي بين بدء الاستنشاق وظهور الفعل الضار في الانسان . فاذا ضربت الكمية الاولى في الكمية الثانية كان الحاصل دليلاً على فعل الغاز الضار

ولذلك لا يمكن ان يحسب اول اكسيد الكربون (Co) غازاً حربياً ، مع انه بحدّ نفسه غاز سام ولكن لا يمكن تركيزه تركيزاً كافياً حتى يكفي مقدار صغير منه لاجداث تأثيره السام . وما يقال عن غاز اول اكسيد الكربون يصحّ كذلك على الغاز الايدروسيانيك

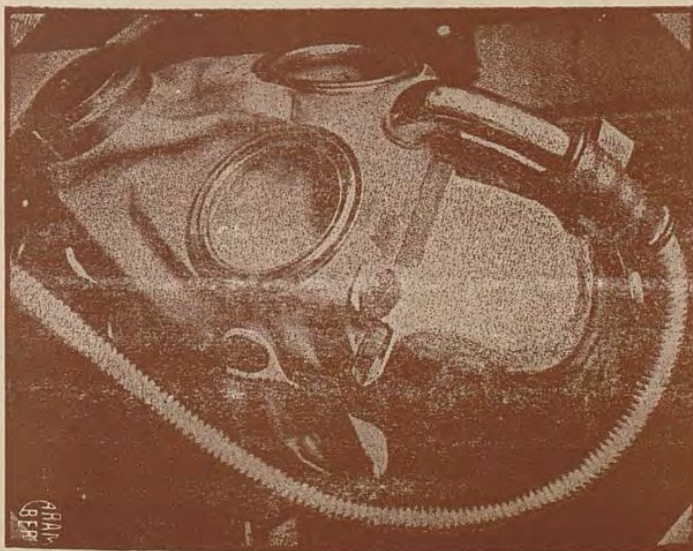
ثانياً — يجب ان يكون الغاز السام في حالته البخارية اثقل من الهواء ، اي ان ثقله النوعي يجب ان يكون اكبر من ثقل الهواء النوعي لئلا يرتفع في الهواء فلا يؤثر في الذين اطلق عليهم على سطح الارض . ولذلك نجد جميع المواد الكيميائية الحربية اثقل من الهواء

ثالثاً — يجب ان يكون طياراً حتى يمكن انتشاره في الهواء رشاشاً او بخاراً او غباراً او غماً رابعاً — يجب ان يكون مستقر التركيب فلا تؤثر فيه عناصر الهواء وبوجه خاص اكسجين الهواء وبخاره المائي

خامساً — يجب ان يكون مستقر التركيب كذلك لا يمكن حله بمواد تطلق عليه في سبيل الوقاية منه



كمامات واقية من الغاز السام في الحرب



سادساً — من الخواص التي يجب ان ينظر اليها عند اختيار غاز حربي مدى انحلاله في الماء. فالمواد التي يسهل انحلالها في الماء لا تصلح في الغالب لهذا الغرض صلاح المواد التي لا تنحل في الماء مطلقاً او تنحل انحلالاً يسيراً. لان المواد الكيميائية الحربية التي تنحل في الماء يغسلها ماء المطر فتضيع جزافاً

تقسيم الغازات الحربية

يمكن تقسيم الغازات الحربية وفقاً لاعتبارات مختلفة . ولكن التقسيم الذي يهمنا بوجه خاص في كلامنا الآن قائم على تأثيرها في الجسم اي تقسيمها من الناحية الطبية . وعلى ذلك يمكن تقسيم الغازات السامة اربعة اقسام

اولاً — الغازات التي تؤثر في اغشية العين وتعرف باسم (غازات الدمع)
ثانياً — الغازات التي تؤثر في القسم الاعلى من جهاز التنفس اي الانف والحلق وتعرف باسم (طائفة الصليب^(١) الازرق)

ثالثاً — الغازات التي تؤثر في اغشية الرئتين وتعرف باسم (طائفة الصليب الاخضر)
رابعاً — الغازات التي تؤثر في الجلد وتعرف باسم (طائفة الصليب الاصفر)

غازات الدمع

اهم الغازات التي في هذه الطائفة غازا « بروم اسيتون » Brom-aceton وزيليلبروميد Xyllylbromide . والغازات الدمعية مما يسهل نشره بالرش وهي تهيج اغشية العين ولو استعملت في محلولات ضعيفة ، فتحمل العيون على سكب الدموع وتحدث العطاس . وهي تلتصق بالملابس ونظراً لاصقة بها حتى بعد تطهيرها وتعقيمها . وبقاء آثار يسيرة منها لاصقة بالملابس بعد التطهير والتعقيم يسبب التدميع والعطاس

فاذا استعملت هذه الغازات في محلولات ضعيفة كانت تأثيرها مؤقتاً . فالتهاب اغشية العين يزول بعد مدة قصيرة على اثر استعمال المكمدات الباردة. اما اذا استعملت في محلولات قوية فانها تحدث عسر التنفس وسعالاً تشنجياً والتهاباً في الشعب الرئوية

ويمكن الاستدلال على وجود هذه الغازات في الهواء برائحتها اللاذعة المهيجة لغشاء الانف والعين . وقد استعملت في اميركا في تسكين هياج الجماهير والقبض على المجرمين . بل قيل ان غير بنك واحد في اميركا ثبت في جدران ساحته انايب تنطلق منها هذه الغازات عند الحاجة اليها اي عند هجوم فريق من اللصوص او الاشقياء عليه

اما اسعاف المتأثر بها فيتم بوضعها أولاً في الهواء الطلق وتغيير الملابس واستعمال المكمدات الباردة والراحة ثم معالجة التهاب بالوسائل الطبية المعروفة

(١) استعمل الالمان علامة الصليب بألوان مختلفة على القنابر الغازية تسهيلاً لمعرفتها فعرفت باسم الصليب الازرق او الاخضر او الاصفر

طائفة الصليب الازرق

تشمّل هذه الطائفة من الغازات على مواد عضوية هي خليط الايدروكربونات الزرنيخية والكلوريدات، وهي تحدث تهيجاً عنيفاً ولكنها تؤثر في الغالب في الانف والحلق وقد تسبب القيء وتستعمل على الاكثر رشاشاً دقيقاً فتراها كأنها غيمة بيضاء او رمادية اللون . وهي اقل من الهواء طبعاً وتبقى مدة طويلة في المنطقة التي ترش فيها

ومن خواصها العجيبة انها تخرق الكمّات العادية الواقية من الغاز ولذلك أطلق عليها اسم «مخرقة الكمّات» . ويمكن الحيلولة بينها وبين الكمّات باستعمال مصفاة من الورق النشاف توضع أمام الكمّاة . ومقدرتها على اختراق الكمّات العادية حملت بعضهم على استعمالها أولاً فيضطر الجندي الذي اخترقت هذه الغازات كمّاته ان يرفعها عن وجهه وعندئذ تطلق عليه الغازات الخائفة من طائفة الصليب الاخضر ، وفعلها مفصل في الفقرة التالية . اما اعراض الاصابة بغازات الصليب الازرق واساليب معالجتها فتشابه اعراض الاصابة بالغازات الدمية واساليب معالجتها طائفة الصليب الاخضر

﴿ الفوسجين ﴾ اهم غازات هذه الطائفة هي الفوسجين والپرستوف والكلوروبكرين . فالفوسجين (COCl_2) غاز من اشد الغازات فعلاً ساماً . وهو غاز لا لون له، قوي الرائحة تشبه رائحته رائحة التبن الفاسد، اقل من الهواء ثلاثة اضعاف . فاذا اضيف الى الماء انحل الى ثاني اكسيد الكربون والحامض الايدروكلوريك . ويفوق في شدة فعله السام الحامض الايدروسيانيك ثلاثة اضعاف . فالتر المكعب من الهواء اذا كان يحتوي على ٤٥ ملغراماً من هذا الغاز كان خطراً على مستنشقه . فاذا استنشق منه ما مقداره ثلاثة ملغرامات ونصف ملغرام (٣.٥ ملغرام) في الدقيقة كان مميتاً . ومما يجب ان يذكر ان الهواء المحتوي على مقادير يسيرة من الفوسجين، لا يسبب اعراضاً ما عند استنشاقه ، ولكن اثره يتجمع فيصبح مميتاً اذا طال زمن الاستنشاق . فاذا رش المكان الذي يكون فيه هذا الغاز بالماء النشادرى انحل وزال . واذا كان هناك مقدار يسير منه في الهواء كانت رائحة الهواء تشبه رائحة التفاح الفاسد . لذلك كان الجنود يدعون في خلال الحرب غاز التفاح . وهو يختلف عما تقدم من الغازات المهيجة في انه يؤثر في اجزاء الرئتين العميقة فهو يهيج أدق اطراف جدران الرئتين عند انحلاله بامتزاجه بالماء الذي في نخاريهما وتحوله بعد الانحلال الى حامض ايدروكلوريك وثاني أكسيد الكربون . وقد يؤثر تأثيراً مباشراً في جدران الرئتين . واذا كان مقداره في الهواء يسيراً (من ٥ ملغرامات الى ١٠ ملغرامات في المتر المكعب) لا يهيج الافعال العكسية الدفاعية في الجسم مثل السعال والاختلاج الشعبي وكذلك يمكن أن يستنشقه المرء وهو لا يدري

يحدث استنشاق هذا الغاز زيفاً في الاغشية المخاطية وانتفاخاً شديداً (اوذيما) في الرئتين ، ويتلف نخاريب الرئتين ، فيختنق مستنشقه في سائله الدموي . ويتضخم حجم الرئتين حتى تبلغاً من اربعة اضعاف الى ستة اضعاف حجمهما السوي وتبدوان كأنهما مضغوطتان بين الاضلاع . ولما كان الارتشاح من الرئتين كثيراً ، فالدم يتركز بسرعة فيسفر ذلك عن وجود تخثر دموي محمر الى السمرة في جميع الاوعية الدموية وفي القلب كذلك . ثم ان جدران النخاريب تصبح مما يسهل على الدم اختراقه فتتملى بالسائل الدموي وكذلك تظهر اعراض الاوذيما الحادة . ومما يشار اليه في هذا الصدد ان حالة الاوذيما تتكوّن ببطء اولاً ثم بعد بضع ساعات تظهر اعراض الاختناق الشديد واذن هناك فترة حضانة بين استنشاق الغاز وظهور الاعراض . ففي حالات التسمم الخفيفة لا تبدو عليها علامات خطيرة خلال بضع ساعات ، بل قد تبدو انها تتحسن تحسناً يسيراً . ثم ان القلب والدورة الدموية يتأثران عند ما يبدأ الدم ، بتركزه ، يمتك بمجران الاوعية الدموية الكبيرة فالحالات « الخفيفة » تظهر فيها علامات التهيج في جهاز التنفس وعلامات التهاب شعبي منتشر يعقبه الشفاء السريع

والحالات « المعتدلة » يخف انتفاخ الرئتين (اوذيما) تدريجاً فيها

وفي الحالات « الشديدة » يزداد عسر التنفس خلال بعض ساعات بعد استنشاق الغاز وتحدث الوفاة بالاختناق عقب ألم شديد . فاما ان يبقى المصاب فاقد الوعي أو يصاب بحالة هبوط سببها ضعف الدورة الدموية . ففي الحالات الاولى يكون لون الجلد مزرقاً وفي حالة خور القلب يصبح شاحباً . أما البصاق فيكون رغوة مصفارة ، او حمراء الى السمرة . وقد تفضي نوبة السعال الى تمزيق نسيج الرئة وقد يحدث حينئذ اما انتفاخ البلورا واما انتفاخ عام

ويعقب التسمم الشديد بعد بضعة ايام الاصابة بالزلة الرئوية الشعبية (برونكرونومونيا) ومن مضاعفات هذه الحالة انتفاخ الوجه والاصابع وزيف في الشبكية والاعشية المخاطية ويقترن مصير المريض النهائي بحالة قلبه ونمضه . ويجب ان ينعم المصابون بالراحة التامة لاجتناب كل جهد عضلي فيقل بذلك مقدار ما تستهلكه الاعضاء من الاكسجين

والعادة ان المصابين الذين يتحملون الثلاثة الايام الاولى من الاصابة يمكن عقد الرجاء على شفائهم . فمن المتعذر ان يعرف الطبيب ، عند حصول التسمم ، مبلغ شدة الاصابة او خفتها ، ولا يمكنه ان يعين الانذار النهائي . فقد لا تبدو على المصاب اعراض خطيرة في فترة الحضانة ، بل قد تظهر عليه احياناً بوادر التحسن ، ولكن الوفاة قد تقع احياناً بعد انقضاء بضع ساعات على ذلك بسبب انتفاخ (اوذيما) الرئتين . وانما يمكن ان يقال ان اكثر الوفيات تحدث في الايام الثلاثة الاولى وتقل بعد اليوم الخامس ويقوى الامل في الشفاء بعد اليوم الثامن ومن اخطر ما يتعرض له المصاب من بدء التسمم الى حين الشفاء ، الجهد العضلي ، وذلك

بانتفاخ الرئتين وتركز الدم وضعف القلب . فلمصابون بالغاز السام لا يسمح لهم بالتحرك ويجب ان ينقلوا نقلاً رقيقاً من مكان الى مكان ، لان بذل الجهد العضلي يقضي في الغالب الى الوفاة بخور القلب وبعض المصابين يبقون بعد اليوم الثامن مصابين بالتهاب الشعب والربو ويظل القلب متعباً مدة طويلة **﴿ البرستوف ﴾** ويعرف هذا الغاز باسم « سورباليت » بالفرنسية وباسم دايفوسجين بالانكليزية . وهو شبيه بالفوسجين الا انه اشد منه فعلاً فتقله ضعف ثقل الفوسجين بل هو سائل لالون له ودرجة غليانه ١٢٨ درجة مئوية . يرش على الارض والملابس فيلبث لا يتطرق اليه الانحلال بضع ساعات . اما الابخرة المتصاعدة منه فتتهيج جهاز التنفس اكثر مما يهيجها غاز الفوسجين . ثم ينحل في الرئتين كما ينحل الغاز السابق

﴿ العلاج من الاصابة بالغازين ﴾ وتتقضي معالجة المصابين بهما نقلهم حالاً من منطقة الغاز الى الهواء الطلق وتغيير ملابسهم بل يجب اخراج الملابس من حجرة المصاب بسرعة لان الغاز يلصق بهامدة طويلة — واجتناب كل جهد عضلي — واستعمال غسول خفيف مثل محلول الحامض البوريك أو محلول ملحني فسيولوجي بمنغنيات البوتاس (واحد في الالف) لتخفيف التهاب الاغشية المخاطية — وغسل العينين بمحلول سلفات الزنك (قوة نصف في المائة) او دهنهما بمرهم كبرونات الصوديوم (قوة ٢ في المائة) لتخفيف تهيجهما — استعمال محلول خفيف من الاثروبين لمعالجة نفور العينين من الضوء — واستنشاق بخار الماء لتخفيف تهيج جهاز التنفس — وحقن حقن تحت الجلد (٤٠٠ - ٨٠٠ سنتغرام من محلول كلوريد الكلسيوم قوة واحد في المائة وغلوكونات الكلسيوم) لتخفيف انتفاخ (اوذما) الرئتين — الامتناع عن التنفس الصناعي في حالة انتفاخ الرئتين لما تقتضيه حركاته من الجهد العضلي ويجوز استنشاق الاكسجين الصرف — فاذا تعسر التنفس يحقن تحت الجلد بحقن لوبيلين (٠.٠٠٥ الى ٠.٠١) او بحقن كافور

اما حالة تركيز الدم قبل حصول انتفاخ الرئتين فالفصد خير علاج لها . وانما يجب على الفاصدان يلاحظ ان الدم يكون كثيفاً في الغالب وانه يتخثر في الاوردة . ففي هذه الحالة يمكن فصد الشرايين على ان تربط حالاً بعد ذلك . ويمكن فصد مقدار من الدم يختلف من ٥٠٠ سنتمتر مكعب الى ٧٠٠ او الى الف . ويفضل ان لا يكون الفصد مرة واحدة بل مراراً حتى يسع القلب ان يلائم عمله لقلة الدم الناجمة عن الفصد . ولتخفيف ما يخسره المصاب من الدم يصفق المفصود على دفعات ، بمحلول ملحني فسيولوجي . ويستعمل لتخفيف ركيز الدم حقن قطارة ويعمد الى شرب المياه المعدنية القلوية ويستعمل لتنبيه القلب الكارديزول او الكافيين او الديجيتاليس او حقن وريدية من الغلوکوس بمقدار ٣٠ الى ٥٠ سنتمتر مكعباً بقوة ١٥ الى ٢٠ في المائة . ولما كانت المواد المخدرة وخاصة المورفين ضارة فيحسن استعمال قطرات من الفاليريانا والبرومور . ومما يستعمل لتخفيف الظلم اللين الساخن والشاي والقهوة وعصارة الفواكه والمياه المعدنية ويفضل استعمال الغذاء المائع

طائفة الصليب الاصفر

١٤ الغازات في هذه الطائفة غاز اسمه الكيماوي «دايكور داي اثيل سلفيد» ويعرف باسم غاز الخردل وهو غاز شفاف كالماء يذوب في الكحول والايثر وينحل انحلالاً متدرجاً في مقادير كبيرة من الماء له رائحة مثل رائحة الخردل الخفيفة او البصل واذا كانت مقادير صغيرة منه منتشرة في مقادير كبيرة من الهواء تعذر تمييزه برأيته . وقد استعمل في الحرب الكبرى للدفاع بنشره بواسطة قنابر تخشى به في مناطق واسعة . وهو غاز بطيء الفعل ولكنه شديد . فما ينشر منه في الهواء الغائم يظل فعالاً مدة طويلة واذا كانت الحرارة معتدلة احتفظ بفعله اياماً بل وأسابيع . ولكن ضوء الشمس والمطر يضعفان من فعله كثيراً

وهو يحل بفعل محلول كلورو الجير او المستحلبات التي تصنع منه وعوامل الاكسدة كما يحل بفعله بالماء . فالمناطق التي يذث فيها هذا الغاز يجب ان تغسل بالماء ، او بما يفضل الماء في هذا الصدد وهو محلول كلورو الجير . واذا اذيب الكلورامين في الماء كان المحلول مما يزيل فعله السام

وانما يجب ان يراعى في استعمال محلول كلورو الجير ان لا يتصل بالغاز في حالته المركزة لان مقادير كبيرة من الغاز تبخر قبل انحلالها بالاكسدة وهذه الابخرة تحرق الجلد وجهاز التنفس

وموضع الخطر في استعمال هذا الغاز مقدرة على تخلل الملابس جميعاً وحتى الجلد . فالذين تقضي

اعمالهم بالسير في مناطق بث فيها هذا الغاز يجب ان يرتدوا الملابس التي تمول دون تخلل اياها

ومن اسهل ما يكون ان يتعود عصب الشم رائحة غاز الخردل ، فيعتقد من تعود عصبه هذه

الرائحة ان الغاز قد زال من المنطقة التي يكون فيها ، مع ان الغاز يكون باقياً فيها . وقد تنقضي

ساعات بعد استنشاق الغاز ، قبل ان تظهر اعراض التأثر به ولذلك يعسر على مستنشقه ان يعين

الساعة التي استنشقه فيها أولاً . وخير وسيلة لدرك خطره عند اجتياز منطقة بث فيها ان تغطي

الاحذية بدثار مبلول بمحلول الكلورامين . اما الملابس التي لصق بها هذا الغاز فيجب الا تعلق في

البيوت والمشافي بحيث تنتشر منها دقائق الغاز في الحجر . والغالب ان تتحرك غيمة غاز الخردل في جهة

هبوب الرياح على سطح الارض ولكنها قد يستقر جانب منها في حفرة او خندق ، او تتغلغل في

الادوار التي تحت الارض من المباني كما يفعل غاز الكلور وغاز ثاني اكسيد الكربون

﴿ فعله ﴾ هذا الغاز لا يؤثر في المرء على الفور ، فلا يحس من يتعرض له بحكة او حرق في

جلده ، ولكنه يتخلل الجلد في خلال ثلث ساعة . وانما يتوقف اختراقه للجلد على بنائه التشريحي

فجلد العنق والابط والذراع والصفن اسرع تأثراً به من جلد الكفين والقدمين . ويظهر على الجلد عند

تأثره بهذا الغاز بقع حمراء لا تلبث ان تتخذ شكل النقاط الناشئة عن الحرق بالنار . واذا استنشق

المرء ١٢ ملغراماً منه في الدقيقة افضى ذلك الى تلف الرئتين . ولا يخفى ان المصاب بغاز الفوسجين

يضيق نفسه فيحاول عيماً استنشاق نسمة من الهواء ، واما المصاب باحد غازات الصليب الاصفر

فيجلس ساهماً محدقاً في الفضاء . وتناثر العينان بهذا الغاز فتتقيحان وتتلف ملتصقتيها وقرنيتيها . بل تتلف العين كلها . واذا كان مقدار الغاز في متر مكعب من الهواء يختلف من عشر سنتيمتر مكعب الى خمس سنتيمتر مكعب اثر في الاغشية المخاطية فاذا بلغ المقدار من سنتيمتر واحد الى ثلاثة سنتيمترات مكعبة في متر مكعب من الهواء كان استنشاق هذا الهواء مميتاً

ويشبه غاز الخردل في فعله غازاً آخر يدعى « لويست » وهو خليط من كلورو فينيل ارسين

دي كلوريد وداي كلور دي فينيل ارسين كلوريد وراي كلور تري فينيل ارسين كلوريد

علاجه افضل طريقة لمعالجة تأكل الجلد استعمال كلورور الجير ويمكن دهن الجلد به جافاً او معجوناً ، فيه يستطيع منع تلف الجلد في الدقائق الاولى من اتصال الغاز به . وبعد انقضاء عشر دقائق لا يبقى الا احمرار خفيف او نقاط خفيفة . واذا كان مقدار غاز الخردل الراسب على الجلد كبيراً وجب ان يغسل ويمسح بكلورو الجير حالاً واذا كان الجلد قد اصاب بالتهاب فيجب ان يستعمل كلورور الجير في غسل الجلد المجاور للبقعة الملتهبة لوقايتها . وبعد ذلك يجب ان يغسل مدة ساعة او ساعتين بمحلول داكين او محلول كارل . اما الاول (اي محلول داكين) فمؤلف من ٢٠ غراماً من كلورور الجير و ١٤ غراماً من كربونات الصوديوم في لتر من الماء تخض خضاً غنياً مدة نصف ساعة . ثم يرشح المحلول ويعدل باضافة اربعة غرامات من الحامض البوريك . واما المحلول الثاني (اي محلول كارل) فمؤلف من ١٢ غراماً ونصف غرام من كلورور الجير تسجن جيداً مع قليل من الماء حتى تصح معجوناً ثم يضاف اليه الماء رويداً رويداً حتى يصبح حجم الكل لتراً واحداً . وبعد الخض جيداً يضاف ١٢٥ غرام من الحامض البوريك ويخض الكل جيداً ثم يرشح المحلول . وجميع المحلولات التي يدخل كلورور الجير في تركيبها لا يمكن حفظها مدة طويلة فيجب ان تحضر قبيل الاستعمال . واذا تعذر الحصول على كلورور الجير فيمكن استعمال برمنغنات البوتاسيوم (قوة نصف في المائة) او كلورامين (قوة ١ في المائة) او ماء الصابون عند الاضطرار . ثم يفرك الجلد بالغازلين وعلى الطبيب ان يلبس قفازاً من الجلد في خلال قيامه بهذه الاسعافات . اما المناشف التي يستعملها فيجب اما ان تحرق وإما ان توضع في محلول كلورور الجير . والملابس التي تخللها غاز الخردل يجب ان تغسل حالاً بمحلول كلورور الجير في ماء صابون ساخن

وقد تشق النقاطات على ان تتخذ الاحتياطات المانعة للفساد في شقها ، ولكن جلدنا يجب ألا يقطع لان الجلد افضل واق للانسج الحساسة التي تحته . ويجب كذلك الامتناع عن تضميد النقاطات والقروح المشقوقة بضادات رطبة . او رشها بمسحوق ما . ويمكن تخفيف جرح رطب بالهواء الساخن ثم يغطى بالغازلين ويشار باستعمال الغازلين مع مادة مخدرة في حالة الالتهابات والنفطات الالمية اما العيون الملتهبة فيجب ان تغسل مرة كل ساعتين او ثلاث ساعات بمحلول بيكربونات الصودا ، ثم يلى ذلك دهنها بمرهم قلوي . ثم ان دهن العينين بالغازلين يفيد في وقاية العين من فعل غاز

المرجل ويعالج تأكل الاغشية المخاطية في مسالك الانف والحاق باستعمال البخار الصاعد من ابريق الزلة الشعبية ويمكن تخفيف السعال باستعمال الكوداين واليوكوداين

وسائل الدفاع

تختلف المشكلات التي يتعرض لها جمهور الشعب وتتحم عليه معالجتها ، في الوقاية من قنابر الغاز ، عن المشكلات التي يتعرض لها الجيش . وقد اجتمعت الامم الاوربية بعد الحرب الكبرى على ان الدفاع العسكري وحده لا يكفي لحماية الشعب الآمن ووقايته الصحية . فأتخذت الوسائل اللازمة لتنظيم هذا الدفاع . فيقسم الشعب الى طائفتين احدهما صغيرة وتعرف بالطائفة الفعالة ، active وهي تشتمل على رجال البوليس والمطافئ وجمعيات الاسعاف والاطباء وعمال النقل . اما الطائفة الاخرى فتشتمل على بقية الشعب . فالطائفة الاولى تجري على قواعد معينة اهمها تحذير الجمهور من هجوم جوي منتظر وانباؤه به عند وقوعه وعند انتهائه والحفاظة على النظام والامن العام ونشر غشاء من الضباب للتخفي عن المهاجمين واسعاف المصابين بالعناية الطبية اللازمة وتنظيف الشوارع والمباني باستعمال المواد الكيميائية التي تغسلها او تملؤها

ولارب في ان فائدة كبيرة عامة تجني من تنفيذ هذه الوسائل تنفيذاً دقيقاً ولكنها قلما تجدي في وقاية افراد الطائفة الاولى وكل منهم بمثابة الجندي العامل يكون دائماً في مواقع الخطر . ففي حالة هؤلاء تستعمل الكمامات . والكمامات المعروفة باسم S تنطوي على احدث وجوه التقدم في هذه الصناعة . وهي تشبه الكمامة العادية في انها تصنع من ثلاثة حجوم ولها صمام خاص لفر النفس فلا تدخل رطوبة الهواء المزفور المرشح الذي داخل الكمامة ومن المعروف ان الرطوبة تقصر مدة فائدته . اما رجال فرق اطفاء النار ورجال الاسعاف فيجب ان يجهزوا بأجهزة تغذيتهم بالاكسجين عند الحاجة . ولما كانوا يتعرضون لغازات الصليب الاصفر وجب ان يرتدوا ملابس وفلانس وقفازات واحذية تقي من فعل هذه الغازات . واستعمال مقادير كبيرة من الماء وكلورور الجير في تنظيف المناطق التي غشيها الغاز يعرضهم لتطرق بعض دقائق الماء ومقادير غير يسيرة من كلورور الجير الى مرشحات التنفس داخل الكمامات ، فتبطل فائدتها . فيقترح في هذه الحالة استعمال مرشح واقٍ لتغطية مرشح التنفس . وهذا المرشح يصنع عادة من مادة يخترقها الهواء دون الماء اما جمهور الشعب فمن المتعذر ان يجهز بالكمامات فالتمن كبير والكمامات لا فائدة منها الا اذا استعملت كما يجب ان تستعمل وحفظت سليمة من العطب بفحصها فحصاً دورياً وهذا الفحص لا يمكن ان يتم الا في حجرات صنعت خاصة لذلك . والغالب ان السواد من الشعب لن يعنى بجميع هذا عناية وافية . يضاف الى هذا ان العناية الفردية غير لازمة اذا اتبع الجمهور التوصيات اللازمة للوقاية الاجتماعية . فاذا اعتدت الاجيء لوقاية طوائف كبيرة من الشعب من تأثير الغازات اصبحت العناية الفردية غير ضرورية فالذين يتفق وجودهم في الشوارع او الميادين او صحون الدور عند وقوع الهجوم الجوي يتعرضون

خطر قنابر الغاز التي قد تنفجر على مقربة منهم . فشعار هؤلاء يجب ان يكون الفرار من الميادين الى اقرب دار واذا دخلوها يجب ألا يقتربوا من الباب . واذا تعذر عليهم وجود دار على مقربة منهم فليبحثوا عن اي منخفض في الارض ويستلقوا فيه ووجوههم الى سطحها . اما اذا كانوا خارج المنطقة التي تلي فيها القنابر فليبقوا حيث هم . فحاولتهم مساعدة غيرهم عبث علاوة على تعرضهم لاعظم المخاطر ثم ان الطبقات الارضية والتي تحت الارض (البدروم) افضل الامكنة في الدور المختلفة للالتجاء اليها . وقد ثبت في خلال الحرب الكبرى ان هذه الطبقات تقي من تركيز غازي في الهواء يفوق اي تركيز عرف حينئذ . اما الطبقات العليا فمعرضة للهدم بوقوع القنابر المحشوة بالمواد المتفجرة عليها . يضاف الى هذا ان الطبقات التي تحت سطح الارض لا نوافذ لها في الغالب او لها نوافذ قليلة وصغيرة فيمكن سدّها سداً محكماً . ويفضّل ان يكون امام « البدروم » دهليز يحول دون دخول الغاز مباشرة الى الحجر حيث يتجمع اللاجئون ، ويستعمل لتنظيف المتأخرين في دخول « البدروم » مما يكون قد علق بهم من الغاز

اما عدد الذين يسعهم اللجوء الى « بدروم » ما فيختلف باختلاف سعته . وقد حسب الحاسبون ان المرء يحتاج الى متر مكعب من الهواء في الساعة . فاذا اضطرّ ان يبقى في مكان ما ثلاث ساعات استنفد الاكسجين من ثلاثة امتار مكعبة من الهواء . وانما يجب ان يلاحظ انه رغبة في الحيولة دون استنفاد مقدار زائد من اكسجين الهواء يجب ان يمنع التدخين والانارة باشعال شموع او ما اليها والحركة ومما يستعمل لسد هذه الحجر وجعلها منيعة على الغاز وضع لوحين من الخشب على كل نافذة بينها اكياس من الرمل . واذا كانت الالواح مصنوعة من قدد فيجب ان تسد الفواصل بين القدد بقدد ضيقة توضع فوق الفواصل . ويحسن ان يغطى اللوح الداخلي بورق يلصق عليه بالغراء . اما الابواب فتسد سداً محكماً بتغطيتها بقدد من اللباد المغموس في زيت او اية مادة عازلة او قد يستعمل ورق مطوي عدة طيات . وتسد ثقوب المفاتيح بالقطن . واذا لم يكن بين البدروم ودهليزه باب ، وجب فصل احدهما عن الآخر بملاءات كثيفة مغموسة في محلول الصودا . ويجب ان تكون الملاءات طويلة حتى تدلى على الارض حيث تثبت عليها باثقال منعاً لتسرب الغاز من الفاصل بين طرفها الادنى وارض الحجرة

واذا انقضت مدّة وفريق من الناس محصور في ملجأ من هذا القبيل ، يقل الاكسجين في هواء الغرفة ويكثر ثاني اكسيد الكربون فيجدد الهواء باستعمال خراطيش صوديوم بيروكسيد فتثبت ثاني اكسيد الكربون وبخار الماء وتطلق الاكسجين او باستعمال قنابر الاكسجين لزيادة اكسجين الهواء وفي الوقت نفسه تبيض الجير الجدران فيثبت ثاني اكسيد الكربون ويجب ان تكون هذه الملاجئ مجهزة ببطريات جافة للاضاءة او بمصابيح كهربائية من نوع مصابيح الجيب ويتحتم الامتناع عن انارة الشموع او اي ضوء ذي لهب . ويجب ان تكون فيها جميع وسائل الراحة والغذاء والاسعاف الاولى ومكافحة النيران والماء للشرب والغسل

السَّاعِرُ وَالْمَرْأَةُ

للسَّاعِرِ عَلَى مُحَمَّدٍ طه

قصيدة اخرى ، من ملحمة البعث الاول التي نشرنا احدي قصائدها في
مقتطف يونيو ، وفي هذه القصيدة حديث عنراء الى صواحبائها عن فن الرجل
وكن يقرآن لها شيئاً من اشعار شاعر ضمنها اتهام امرأة بأغراء فنان شاب ،
كان يرى فيها روحاً للجمال والفن ، فأصبح يراها كلها مادة من جسد يشتهي :

كفانا فقد جنَّ هذا الفتي وجاوز حدَّ الكلام المباح
نكاد نحسُّ اختلاجَ النجوم ونسمعُ مضطرباً في الرياح
مريضُ الغريزة فتَّاكها حبَّته الطبيعة أمضى سلاح
سَقَتُهُ الشياطينُ يحمومها فيجَّ الرحيقَ وذمَّ الصباح

تأثَّم بالفنِّ حتى غوى وما الفنُّ بالمرأة الخاطئه
هو الدَّمُ واللحمُ ما يشتهي هو الحرُّ والمتعة الطارئه
وكم في الرجال سُماعُ الوحوش اذا لمسوا الجنة الدافئه
فلا تذكرني فنَّ هذا الفتي بل الحيوانية الخاسئه

رأى جسمَ حواءَ فاشتاقه فهاجتُ به النزوة المسكرة
حوى جسمها فاشتوى روحها فنسارتُ بعزقٍ مستكبرة
سمتُ روحها وتابَّتْ عليه فخرَّدَ في وجهها خنجره
وهمَّ بها فالتوى قصده فأرسل صيحته المنكوره

ألم ينسم الخلد من عطرها ؟ ألم يعبد الحسن في زهرها ؟
 ألم يسرق الفن من سحرها ؟ ألم يقبس النور من فجرها ؟
 شفت غلة الفن حتى ارتوى وإن دّس الفن من طهرها
 وهامت على ظلي روحها وكم ملأوا الكأس من خمرها !

على مذبح الحب من قلبها سراج يسبح من لأله
 منار يجوب الدجى لمحبه فيلقى الضليل به رفاه
 يبت الحرارة برد الشتاء ويلهب شعلته المطفأه
 وتمشي الحياة على نوره وما نوره غير عين امرأه ! !

لهيب إذا الروح طافت به تضاعفت الروح في ناره
 يطبق القوي لظى جره ويعشو الضعيف بأنواره
 رمّت فيه حواء آثامها فسالت كذائب أحجاره
 لقد قرّبت جسداً عارياً وقلباً يضن بأسراره

أمن صنعة الله هذا الجمال ؟ نعم ومن الفن هذا المثال !
 على معرض مرمرى الدمي رامي أشعته والظلال
 تماثيل من جسد فاتن تأبى على شهوات الرجال
 حبه الطبيعة أسرارها ولاقى الحقيقة فيه الخيال !

تحدّب الفضاء

وماذا عني به النسيبيون ؟

ولماذا لا تصالح له هندسة اقليدوس ؟

بقلم نقول الحراد

اذا قلت للعالمي : الفضاء منحني ، او متحدّب ، حسب هذا القول هدياناً او كلاماً فارغاً ، كفراغ الفضاء ، لا معنى له . واذا قلت للمثقف ثقافة عامة وهو يفهم ان اي حجم من الفضاء هو ذو ثلاثة ابعاد متعامدة وذو جهات ستّ يستهجنه ويسأل : ماذا تعني بتحدّب الفضاء ؟ فاذا قلت له : اعني به ان الخط المستقيم الذي عرفه اقليدس بأنه اقصر مسافة بين نقطتين لا وجود له في الفضاء لان كل خط في الفضاء منحني بالنسبة الى هذا الخط المستقيم الذي عرفه اقليدس ، وبالتالي الفضاء متحدّب — اذا قلت له هذا القول عدّه سخافة واجابك انه قول غير منطقي لانه مناقض لبعضه البعض ، فضلاً عن انه مناقض للاختبار ، لاني اذا ادليت بحبل طويل معلق فيه جسم ثقيل من مكان عالٍ رأيت الحبل خطاً مستقيماً . واذا تصورت حبلاً مثله مدلى من الارض الى الشمس التي هي مركز الثقل في النظام الشمسي تصورت هذا الحبل الذي طوله ٩٣ مليون ميل خطاً مستقيماً . لا استطيع ان اتصوره منحنيّاً . واذا كان الخط المستقيم طبيعة للفضاء فلا استطيع ان اتصور الفضاء منحنيّاً . ولا افهم كيف يكون متحدّباً

هكذا يكون جواب الشخص المثقف على اقوالك الآتية . فكيف به اذا زدت عليها فولك : ان الخط المستقيم يلتقي طرفاه ، خلافاً لقول اقليدس البديهي ان الخط المستقيم مهما مددته فلن يلتقي طرفاه . وكيف به اذا قلت له ان الخططين المتوازيين يلتقيان ، خلافاً لقول اقليدوس البديهي انهما مهما امتدّا فلن يلتقيا البتة . وكيف به اذا قلت له ايضاً ان زوايا المثلث لا تساويان زاويتين قائمتين وان زوايا المربع والمكعب ليست زوايا قائمة ، خلافاً لما هو معلوم في هندسة اقليدس التي لا تزال هندسة المدارس والعلوم والفنون العصرية — كل ذلك يعدّه هذا المثقف سخافة وخرافة

لذلك يجب ان نتحقق ماذا عني اينشتاين واتباعه من علماء النسبية بتحدّب الفضاء واستحالة وجود خطوط مستقيمة فيه بالمعنى الاقليدوسي

ما هو الفضاء

ليس فيما قاله أولئك النوايغ ما يستفاد منه تلك المزايم المناقضة للمعقول . ولا يمكن ان يلقوا الكلام على عواهنه . وانما كتاب الجرائد والمجلات الاجنبية عزوا تلك المزايم الى نظرية النسبية على ارضهورها ولغطوا بها كثيراً من غير ان يفسروا المراد بها لانهم لم يدرسوا النسبية ولا تفهّموها . وحذا كتاب العربية حذوهم . فترأت قضايا النسبية ، ومنها «تحدّب الفضاء» سخافة مستهجنة . والحق يقال انهم بكتابتهم عن تلك القضايا بلا تفهم ولا تفسير مسخّوا نظرية النسبية مسخّاً اجرامياً والسبب الاساسي في هذا المسخ هو عدم تفسير الكتاب الاجانب لفظ «الفضاء» وترجمة كتاب العربية كلامهم بلا تفسير ايضاً . فاولئك ذكروا الفضاء بلفظ Space وحسبوه فضاءً خالياً Emptiness . وكذلك فهمه كتاب العربية فترجموه بلفظ «فضاء» وهو لفظ ابلغ لمعنى ذاك اللفظ لانه يُشعرنا بمعنى الفراغ المطلق

ولكن علماء العصر ، ولا سيما علماء النسبية ، عنوا بلفظ Space الحيز الذي تشغله المادة من اجرام واجواء Fields جاذبية وكهرطيسية واثير (اذا اقتضى الامر ان يذكرنا الاثير) فهو حيز مملوء لا فارغ . واما اذا اقتضى الامر ان يذكرنا الفراغ المطلق قالوا Emptiness . وهم يعنون به الفضاء المجهول الطبيعة الذي يحيط بالحيز الكوني المادي ، وما هو الا العدم

لذلك يعد استعمال لفظ «فضاء» في لغتنا العربية لرحاب الـكون المادي خطأً لان هذه الرحاب ليست خالية بل هي مملوءة من انواع التشعّع او التوج المختلفة : جاذبية وكهرطيسية . والاصوب استعمال لفظ «حيز» تحاشياً لايهام معنى الفراغ المطلق او الخلاء . فالمقصود بالتحدّب الذي نحن بصدد هو تحدّب الحيز والانحناء كل خط حركة فيه على الاطلاق . ولذلك لا يستقيم تفسير هذا التحدّب الا بما عنيناه بلفظ الحيز المشغول بالمادة والمحدود بها . فكيف يكون هذا التحدّب ؟

اذا اريد بالخط رسم الخط الوهمي التصوري فالخط المستقيم الاقليدوسي (اقصر مسافة بين نقطتين) موجود . يمكن وجوده بالتصور ، وبالفعل ايضاً في المسافات القصيرة ، وبالرسم على الورق . واما اذا اريد به الخط الذي يسلكه الجسم المتحرك فلا يكون الا منحنياً . لان العلم العملي مختص بالحركة التي هي حاصل اندماج القوة بالمادة . وخط الحركة لا يكون مستقيماً بالمعنى الاقليدوسي بل هو منحن . اي ان خط الحركة الفعلي لا يطابق الخط الهندسي الاقليدوسي . ولا يمكن ان يطابقه . لماذا ؟ ان سرّ هذا الانحناء هو في مصدر القوة المنتجة كل حركة في الوجود . وما هو مصدر القوة ؟ — الجاذبية !

سنة الجاذبية سبب الانحناء لكل خط حركة في كل جو جاذبي على الاطلاق . ولانه لا وجود للحركة خارج الجو الجاذبي اذ لا جسم متحرك هناك فلا وجود لخط حركة مستقيم البتة . اذن لابد من تفسير معنى الجاذبية ولو بايجاز كلي تمهيداً لتفسير كيفية هذا الانحناء

ما هي الجاذبية

رأى فاراداي كما رأى غيره ان جذب المغنطيس للحديد عن بعد ، من غير واسطة تصل بينهما تنقل القوة من الواحد الى الآخر ، امر غير معقول . لذلك فرض وجود شيء ينشره المغنطيس حوله الى جميع الجهات بالتساوي سماء الجو المغنطيسي Magnetic field وهذا الجو يفعل في الحديد فيدفعه الى جهة المغنطيس . فليس المغنطيس نفسه فاعلاً مباشرة في الحديد بل جوه الذي هو محدثه يفعل في هذا . ولكن ما هو هذا الجو ؟ لم يستطع احد تحقيقه . وانما استعين بفرض الاثير في تفسيره باعتبار انه موجات اثيرية يحدثها المغنطيس في الاثير . وسواء كان هذا التفسير سديداً او خطأ ففكرة فاراداي تعني ان الحيز الذي بين المغنطيس والحديد او بالاحرى الحيز المحيط بالمغنطيس ليس فراغاً مطلقاً كما زى ونظن بل هو جو صالح لانتقال القوة (او بالاحرى حركتها) فيه .

لم يقتصر فاراداي على النظريات الفلسفية بل اعتمد على الامتحانات العملية فاكتشف « الامواج » الكهرومغناطيسية Electro Magnetic وسمي الحيز الذي تنتشر فيه الجو الكهرومغناطيسي . وجاء بعده مكسويل وآخرون واشتغلوا عملياً في تحقيق خواص هذا الجو . ثم جاء نبحاخ اختراع اللاسلكي بهائناً دامغاً على نظرية فاراداي وفوزاً باهراً لها جعل مجد فاراداي لامعاً .

ولما ثبتت هذه النظرية اطلقها العلماء وفي مقدمتهم اينشتاين على كل ظاهرة من ظواهر الجذب ، ولا سيما على « الجاذبية العامة » بين اجرام السماء . فقالوا ان الاجرام تنشر حولها جواً جاذبياً الى جميع الجهات تساوي حدته Intensity حاصل ضرب كتلتها المتجاذبة بعضها ببعض وتنقص كمربع البعد بينها . وهذا الجو هو الذي تنتقل به قوة الجذب من جرم الى آخر بالتبادل . فالشمس مثلاً لا تجذب نفسها السيارات اليها وانما جوها الجاذبي الذي تنشره حولها هو الذي يدفع سياراتها اليها كما ان جو السيارات بنوبته يجذب الشمس اليها . فاذا صح ان كل جو جاذبي : مغنطيسي او كهرومغناطيسي ، انما هو امواج اثيرية يصدرها الجسم فلا بدع ان تكون « الجاذبية العامة » امواجاً اثيرية ايضاً يحدثها الجرم او الجسم ، وان ذلك الجو الجاذبي بحر اثيري متموج .

وحاصل القول ان الرحاب التي بين الاجرام ليست فراغات مطلقة بل هي بحار امواج (اثيرية) عند من يعتقد بنظرية الاثير او بمجھولة الحقيقة عند من ينكر النظرية) وهي « الجو الجاذبي » بعينه . فاذا قلنا ان الفضاء ، او بالاحرى ، الحيز متحدب عنينا ان هذا الجو متحدب بمعنى ان الخطوط التي ترحل فيها القوة على متن تلك الامواج بين الجاذب والمجذوب منحنية لا مستقيمة . وهو ما نسمى بشرحه فيما يلي . ومنه نعلم الفرق بين جاذبية نيوتن وجاذبية اينشتاين : —

هائليه نيوتن وهائليه اينشتاين

لم يراع نيوتن الزمن الذي تستغرقه القوة « الجاذبة » في رحيلها من المركز (الشمس مثلاً)

الى الجسم الواقع تحت تأثيرها (كالارض) ولذلك صاغ ناموس الجاذبية باعتبار ان القوة تبلغ الى الارض حالما تصدر من الشمس بلا استغراق مدة البتة . واما اينشتاين فراعى الزمن لان ناموس سرعة النور وناموس النسبية ايضاً الذين لاغبارعليهما يقضيان حتماً بأنه يستحيل ان توجد في الكون سرعة اسرع من سرعة النور . ولذلك مهما كانت القوة الراحلة من المركز الى المحيط سريعة يستحيل ان تكون اسرع من النور . حَسْبَها ان تكون كسرعة النور . (وفي رأي هذا الضعيف انها كسرعة النور تماماً بناءً على عقيدة ان الجاذبية كالنور تتوجج اثري . ولتموج الاثير سرعة واحدة في كل مكان وزمان . لان سرعة التموج تتوقف على الكثافة كما شرحناه في المقال السابق في المقتطف تحت عنوان «حجم ذرة الاثير» . ولان الاثير اكدف مادة في الكون . فتموجه اسرع تموج . او هو منتهى السرعة . وهو السرعة المطلقة Absolute Velocity)

والتموج الاثري هذا هو الوسيلة لنقل القوة Energy او الطاقة محمولة على منته . فلننتبع موجة جاذبية واحدة فقط صادرة من الشمس (في الرسم) ومنشرة في الحيز الجاذبي (الفضاء بعرف العامة) الى جميع الجهات بسرعة واحدة . ولنفرض ان الدوائر التي في الرسم تمثل المواقع المتوالية لتلك الموجة المفردة في خمس برهات متساوية . ولنفرض ان الارض (ض) انتقلت في اثناء هذه البرهات الخمس من ض الى ض' متنقلة على النقط الخمس ب ج د هـ ض ذات المسافات المتساوية في نفس البرهات الخمس التي تنقلت فيها القوة (الموجة) على الترتيب نفسه من ١ - ٥ . لو كانت الارض خلواً من حركة استمرارية Inertial البتة ، اي لو كانت ساكنة لكان حكمها حكم الحجر الساقط من عل الى الارض . اي انها تسقط في الخط المستقيم من ض الى ش . ولكن لان لها قوة استمرارية تعادل قوة الجاذبية وتعامدها تسير في فلك مستدير (تقريباً) بفعل القوتين المتعامدين كما هو معلوم

قلنا ان القوة الصادرة من المراكز تنتشر الى جميع الجهات فلا يصيب الجسم الواقع تحت تأثيرها كالارض الا جزء منها كما هو ظاهر ومفهوم بالبدهة . ويسمى الخط الذي يسير فيه هذا الجزء «خط القوة» Radius Vector لانه يجتاز خطاً من الشمس الى الارض (فلا هو مسطح ولا هو مجسم) فاما كانت الارض عند ض كان جزء القوة يتجه اليها في الخط ش ض . ولكن الارض لم تبقي في مكانها تنتظر جزء القوة هذا بل سارت في سبيلها . فما بلغ جزء القوة الى ب في البرهة الاولى حيث صارت الموجة في الدائرة الثانية حتى كانت الارض قد رحت الى ب واصبحت تقابل خط قوة آخر أي صار جزء قوة آخر يتجه اليها في الخط ش ض . ولكن القوة لم تدركها هناك فما بلغت الى ج في البرهة الثانية حيث صارت الموجة في الموقع الثالث حتى كانت الارض قد رحلت الى ج واصبحت تجاه جزء آخر من القوة قادم اليها في الخط ش ج . ولكنه لم يدركها ايضاً هناك لانها سبقت الى د واصبحت تجاه جزء آخر من القوة في خط ش د . وهكذا لم تبلغها القوة عند هـ لان الموجة لا تزال في الدائرة

الرابعة والارض تجاوزت اتجاه خط القوة ش هـ . فما ادركها من القوة الاَّ الجزء المتجه في الخط ش ض فالتقيا عند ض

نرى مما تقدم ان جزء القوة الذي ادركها في الموجة التي صدرت من الشمس حين صارت عند ض هو غير الجزء الذي كان متجهاً اليها حين كانت عند ض . فاذا وصلت بين نقط «خطوط القوة» التي تعاقبت في الاتجاه اليها في البرهات الخمس المتوالية (ش ج د هـ ض) رأيت الخط الذي يمر في هذا النقط منحنيًا . اذن القوة التي رحلت من الشمس الى الارض لم تسر اليها في خط مستقيم — لا في الخط ش ض ولا في الخط المنقوس ش ض — بل رحلت اليها في الخط المنحني ش ض ج د هـ ض . ولك أن تقول بعبارة اخرى: منذ صدرت من ش القوة ، أو الجزء منها المقابل للارض ض جعل هذا الجزء يميل في سيره منحنيًا كما تراه

يستفاد مما تقدم ان ناموس نيوتن يعتبر القوة راحلة الى الارض في خط مستقيم في الحال (بلا استغراق وقت) قبل أن ترحل الارض من موقعها ض . ولكن ناموس اينشتاين يعتبر ان القوة استغرقت وقتاً في الرحيل الى الارض السائرة في طريقها . فاضطرت (أي القوة) أن تسير في ذلك الخط المنحني لكي تدركها

فالخط المستقيم ش ض الذي اعتبره نيوتن «خط القوة» يمثل مسافة البعد بين الشمس والارض مجرداً من الزمن . لذلك صاغ ناموسه باعتبار ان الرادايوس (نصف القطر) ش ض مسافة البعد بين المتجاذبين الشمس والارض وان نسبة قوة الجذب بينهما كنسبة مقلوب مربع البعد بينهما $\frac{1}{(ش ض)^2}$

وأما الخط المنحني الذي اعتبره اينشتاين طريقاً للقوة في رحيلها من الشمس الى الارض فلا يمثل مسافة البعد فقط بل يمثل المسافة والزمن جميعاً . لأن الرادايوس يمثل الزمن الذي استغرقتهُ القوة في مسافته ، والخط ش ض يمثل الزمن الذي استغرقتهُ الارض في سيرها من ض الى ض . ومجموع مربعي الرادايوس وهذا الخط يساوي مربع الخط المنحني ش ض كما هو معلوم . فاذاً هذا الخط المنحني يمثل الزمن الذي استغرقتهُ القوة في سيرها من ش الى ض واستغرقتهُ الارض في سيرها من ض الى ض حيث التقت بالقوة . لذلك صحح اينشتاين ناموس الجاذبية بأن حسب البعد بين المتجاذبين ذلك الخط المنحني لا الرادايوس الذي حسبته نيوتن . فاذاً

$$\text{ناموس نيوتن للجاذبية} = \frac{\text{ش} \times \text{ض} = \text{كتلة الشمس} \times \text{كتلة الارض}}{(\text{الخط ش ض})^2}$$

$$\text{ناموس اينشتاين : الجاذبية} = \frac{(\text{ش} \times \text{ض})}{(\text{الخط ش ض المنحني})^2}$$

$$(\text{الخط ش ض المنحني})^2 = (\text{ش ض})^2 + (\text{ش ض})^2$$

يتضح مما تقدم ان معنى تحدُّب الجو الجاذبي هو أن الجسم الذي يقع في أي جو جاذبي يكون تحت تأثير قوة واردة اليه في «خط قوة» منحني كما علمت

قصور هندسة اقليم روس

اذا سكتنا عند هذا القول بقي البحث ناقصاً . فلنتقدم فيه خطوة اخرى لكي نعلم كيف يختلف هذا التحدّب باختلاف مواقع الاجسام في الجو الجاذبي

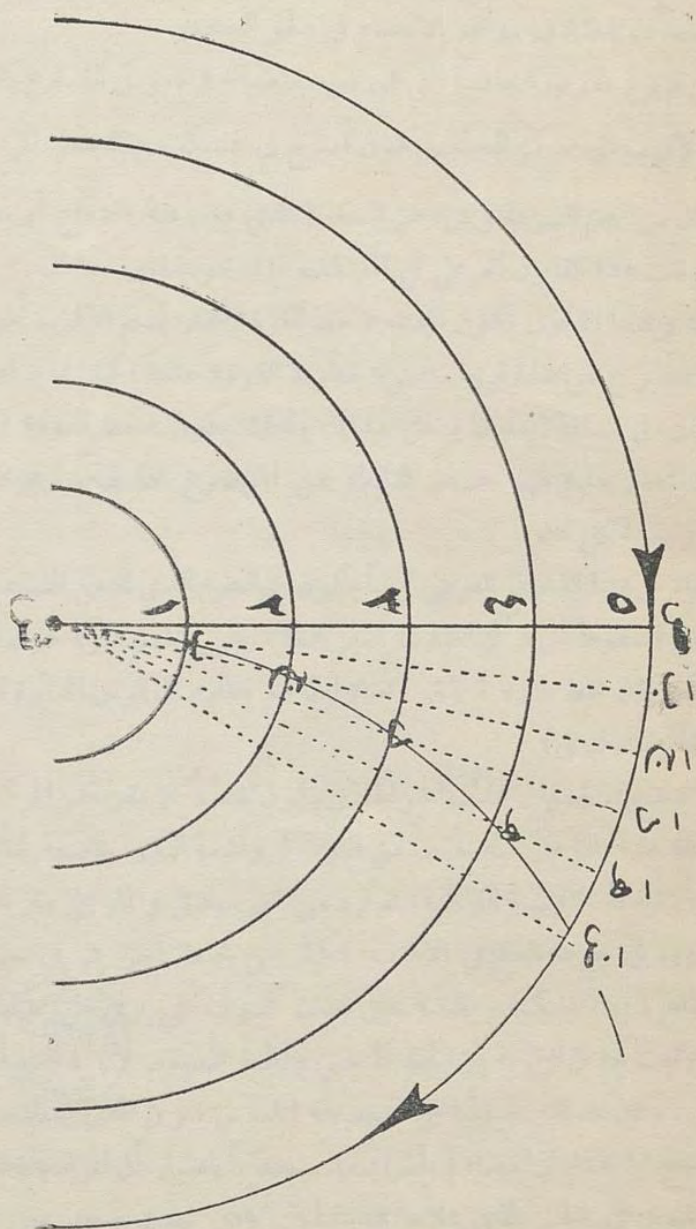
من فروع ناموس الجاذبية التي هي من مقتضياتها « ناموس التسارع بالنسبة الى البعد » وهو ان الجسم الاقرب الى مركز الجذب يكون أسرع في فلسكه من الجسم الابعد عن المركز بنسبة $\frac{1}{r^2}$ باعتبار ان r رمز السرعة و r رمز البعد (الذي يعبر عنه بالشعاع أو نصف القطر أو الراديو) وقد شرحت هذا القانون الفرعي في المقتطف منذ نحو سنتين

بناءً على هذا القانون يكون انحناء « خط القوة » تجاه الجسم الاقرب أشد منه تجاه الجسم الابعد . لان ذلك اسرع من هذا فيواجهه من « خطوط القوة » عدداً اكثر مما يواجهه هذا ، فلا تدركه القوة الاً وقد رحل مسافة (بعد ما يرحل هذا) . ولذلك يكون « خط القوة » اكثر انحناءً . ولا أظن القارئ يتعذر عليه فهم هذه النقطة من الموضوع اذا فكّر قليلاً . ولذلك لا أرى داعياً لتمثيلها برسم شكل ثان

وبناءً على هذا القانون الفرعي ايضاً يكون ان الجرم الذي له من السرعة الاستمرارية (الذاتية) ما يحمله من السقوط الى مركز الجذب يسير بخط منحنٍ متمم دائرة حول المركز . فكلما كان اقرب الى المركز كان خط سيره اكثر انحناءً (كما هو معلوم ان قوس الدائرة الصغرى اكثر تقوُّساً من قوس الدائرة الكبرى)

إذا يتضح مما تقدم ان تحدّب الجو الجاذبي يكون أشدّه على مقربة من المركز واضعفه كلما كان ابعد عنه وبناءً عليه اذا مرّ فيه خيط من النور (واشعة النور خاضعة لتأثير الجو الجاذبي كما رأى اينشتاين وأيدته الارصاد الفلكية) الوارد من نجم سحيق والمار على مقربة من الشمس يظهر انحناءه حين مروره في جوها الجاذبي الاقرب اكثر من خيط آخر يمر في جوها الابعد . وقد حققت هذه الظاهرة بعثة فلسكية بريطانية حين حدث كسوف كلي يرى من مناطق الارض الجنوبية سنة ١٩١٨ وثبت لها ان الزاوية بين الخط المنحني والخط المستقيم ٧ ، ١ الثانية كما تنبأ اينشتاين بحسابه الرياضي . وكان حسابه مبنيّاً على تصحيحه لناموس نيوتن الذي بسطناه آنفاً

يتضح مما تقدم ان الفضاء (الحيز) يُعدّ متحدّباً باعتبار أن المراد بالفضاء ذلك الجو الجاذبي الذي نحن بصدد اي الحيز الذي يملأه هذا الجو . فاذن حيث يوجد جو جاذبي ، اي حيث توجد اجرام متجاذبة ، يكون الحيز (الفضاء) متحدّباً . وحيث لا اجرام فلا جو جاذبي ، كما هي الحال في الرحاب الشاسعة بين الجزر الكونية — المجرات المتباعدة ابعاداً سحيقة . وبالتالي يعتبر الفضاء الخالي هناك غير متحدّب



هنا
البنية
منح
قاعد
والدالة
فواء

الفضاء
مطابقة

الكوكب
face

رأيه
نسيم

الوع
بحيث

منها

ومع
الذي

الافاق
تجزي

حتى
ولا

زواياها

في نقط

في هذه الرحاب الخالية تصلح هندسة اقليدوس ذات الخطوط المستقيمة اذ لا أجرام متحركة هناك . واما في الاجواء الجاذبية فلا تصلح ، لانه يستحيل ان تحدث فيها حركة في خط مستقيم البنية . والاجرام تسير في افلاك مستديرة (او اهليلجية) والقوى الفاعلة فيها ترد اليها في خطوط منحنية . لذلك لا يصح اي حساب فلكي على قاعدة الخطوط المستقيمة بل لابد من الحساب على قاعدة الخطوط المنحنية على الاطلاق . وقضايا اقليدوس بشأن الخطوط المنحنية قاصرة لا تفي بالغرض . ولذلك توسع فيها الرياضيون الحديثون الى ان وقت بالغرض . ولا ينكر انهم بنوا توسعهم على قواعد الهندسة الاقليدوسية . لذلك لا يصح القول انهم كسفوا مجد اقليدوس بل بالاحرى اظهروه لا معاً

بقيت ملاحظة اخرى لا بد من ذكرها لازالة وهم قد يطرا على ذهن القارئ . وهي ان رحاب الفضاء الخالية من السدم والاجرام وجزر الكون الاعظم ليست خالية من الاجواء الجاذبية خلواً مطلقاً بل ان اجواء الجزر منتشرة فيها انتشاراً ضعيفاً جداً لا يحسب حسابه

بناءً على ثبوت التحجب في كل حيز جاذبي بالمعنى الذي شرحناه آنفاً يستنتج اينشتين ان حيز الكون الاعظم الذي يشمل الملايين من العوالم كعالم المجرة انما هو لوح (يعبرون عنه بلفظ Surface) محدب بحيث تلتقي جميع حواشيه بعضها ببعض ويصبح كالكرة الفارغة الجوف (وفي رأيه كالبضعة ، اي بيضي الشكل Oval) ضمنه فراغ مطلق وحوله فراغ مطلق (عدم) والعوالم تسبح في قشرة البضعة . وبسط مذهب اينشتين هذا يشغل مقالاً قائماً بذاته

فاذا صح ان الكون الاعظم لوح محدب على هذا النحو فبالطبع كل خط مستقيم يمر في هذا اللوح يكون محدباً ويمكن ان يلتقي طرفاه ، كما ان الطيار الذي يطير في جو الارض في خط مستقيم بحيث لا يحيد يمنة ولا يسرة ولا يحاق ولا يهبط لا بد ان يصل اخيراً الى النقطة التي رحل منها . فالخط المستقيم الذي لازمه في رحيله انما هو دائرة تامة لا خط مستقيم اقليدوسي . ومع ذلك لك ان تقول ان هذا الخط اقرب مسافة بين نقطتين في حين انه متحجب كتحجب السطح الذي مر فيه . لا يكون الخط الاقصر بين نقطتين في قشرة البضعة المحدبة الفارغة مستقيماً بالمعنى الاقليدوسي الا اذا اخترق القشرة ومر في فراغها وظهر مخترقاً ناحية اخرى فيها . وهذا خط تخيلي لا يمكن ان يتسنى لخطوط الحركة الكونية التي لا تستطيع ان تفارق الاجواء الجاذبية . حتى النور نفسه لا يستطيع ان يفارق الحيز الكوني الكروي الفارغ الجوف . فلا يمر في تجويفه ولا يشرده في العدم المحيط به بل تضطره الاجواء الجاذبية ان يلازم اللوح الكروي

بعد هذا الشرح اصبح الرياضي يفهم كيف ان المثلث في سطح محدب لا يمكن ان تساوي زواياه قائمتين . والمربع والمكعب لا تكون زواياها قائمة . وكيف ان الخططين المتوازيين قد يلتقيان في قطب — الى غير ذلك مما يناقض هندسة اقليدوس

النسوة والارتقاء

للشاعر عبد الرحمن كرى

أراك فريسة الجوع عَيْنِي سغباناً وشهوانا
 برَبِّكَ أيها الانسا ن لَمْ أَصْبَحْتَ إنسانا
 بعقل يبلغ الشمس وأقصى الكون عرفانا
 وجدت لكل ما كان من الأكوان ميزانا
 كأنك خالق الخلقَيْن أَكواناً وأزمانا
 وسَخَّرْتَ الرياحَ مَطِيَّةً والبرق فرسانا
 وقد أعليتَ عمراناً وقد قدَّستَ أديانا
 وردت العيشَ عرياناً وترجع عنه عريانا
 وملء حياتك الأحزان والآلام ألوانا
 وتُبكيك الحياة كما يفتُّ الجَوْ صوانا
 وتصرعك الجرائم كما لو كنت ديدانا
 وقد تهلك غرثانا وقد تهلك مِبْطَنا
 وقد تغدو إلى اللذات فتتأكَّ وخزينا
 فبين الجوع والشهو ة قد أُجريتَ ميدانا
 وللتحليل والتحرير قد أعددتَ تديانا
 فما أصلحتَ حالِيكَ ولا طهرتَ أدراننا
 وفُتَّت الطير والحيوا ن آثاماً وأشجانا
 وزنت الدَّرَّةَ الصغرى وما أعددتَ ميزانا
 لعيشك كي يكون العيش إسمعاداً وإحسانا
 برَبِّكَ أيها الانسا ن لَمْ أَصْبَحْتَ إنسانا

غزل المتنبي

خليل سيبوب

يجوز لنا ان ننتع بعض الابواب من الشعر كالمديح والثناء والهجاء بانها موضوعية الى حد ما لان الشاعر ينظر فيها الى ممدوحه او الى خصيمه ليقول ما فيهما حيناً وما ليس فيهما احياناً ما . اما النزل في الشعر فانه ذاتي محض لان الشاعر ما لم يكن مقلداً او سارقاً لا يمكنه ان يعرب الا عن شعوره الخالص فيسبغ على قوافيه فيض احساسه وقرارة نفسه

والشاعر غزل بطبيعته لانه مرهف الحس متسع الخيال . وهما جناحان يحلق الشاعر بهما في مباء الفن . ومن كان كالمتنبي جامع العبقرية ، صعب الشكيمة ، دافق النفس كان لابد ان يفوق سواء في افتتانه بالمرأة التي تظل المثل الاعلى للجمال في هذه الدنيا لانها هي الجمال بمختلف صورته ومعانيه التي تزهو فيها الحياة فتخطب العقل والقلب والدم وتتحد فيها اغراض الحياة جميعاً

ولا اعرف في غير آداب اللغة العربية تقسيماً للشعراء يتناول جزئيات الشعر من الجهة الفنية . فليدنا يقال ان شكسبير روائي وهو ميرس قصصي ترانا نقول هذا شاعر غزل مثل عمر ابن ابي ربيعة او مداحة نوحاة مثل ابي تمام او هجاء مثل دعلج او وصاف مثل ابن المعتز او ما شا كل كل ذلك من العوت التي تعد من تفاصيل الشاعرية العامة لأن في الرواية او القصة غزلاً ومدحاً ونوحاً وهجاء ووصفاً ، وقد يحميد الشاعر الموهوب القصة والرواية مما او يحميد هذه ولا يحميد سواها

وإذا نظرنا الى المتنبي على ضوء التقسيم العربي نخطيء اذا قلنا انه غزل او مداح او هجاء او وصاف لانه كل هذا بل هو فوق هذا كله لانه شاعر الحياة فهو اذن من كبار شعراء الانسانية

ان هذا الرجل الفذ الذي نبت في الطبقة الدنيا اذ كان ابوه يبيع الماء بالكوفة حدثته نفسه ان يدعي النبوة وان يطمح الى الامارة فعاش عيشة الجد والاستكبار متطلعاً الى غرض سام اراد تحقيقه عن طريق النبوة ثم قذف به من حالق فعمد الى الشعر يتخذة وسيلة حتى اذا فاته ذلك الغرض عاش اسمه بهذا الشعر في درجة الخالدين من الانسانية . وها هو بعد الف عام من وفاته بقم الشرق ويقعده . وتعد له الحفلات في كل بلد . وتخصص له اعداد الصحف الدورية وغير الدورية فاذا كان قد فاتته الامارة في عصره فانه بلغ اماره الشعر على العصور . واذا لم يحكم على الاجسام بسيفه وسطوته فقد تحكم في العقول والنفوس بعبقريته وقوافيه

وطالما سألت نفسي ما كان يجري لو بلغ المتنبي مأربه من الولاية او الامارة . أترأه يبقى على

عبقريته القوية ام يجنح به تصريف آلة الحكم عن الادب والنم ام يتمشى به الترف الى الليونة والتراخي ؟ وهو سؤال لم اقنع نفسي بأي رد عليه الى اليوم . . . ولكنني اميل الى الاعتقاد بأنه لو تم ذلك له لما افقل باب التاريخ في وجه ابن الرومي دهرأ . ولا رجح اسمه بأي تمام والبحثري ولا شغل الناس عن الشريف الرضي ومهيار الديلمي وابن حمديس وجميع من جاء بعده الى الحد الذي شغلهم به عنهم

وقد اجمع المؤرخون على ان المتنبي كان كثير الجدي في حياته . قويم الخلق لا يميل الى الهوى ولا الى دعاية . واكبر الظن انه لم يكن يزح بل لعله لم يفهم الدعاية والمباينة . وكم تصورته في تخيلتي رجلاً عصبياً . عابس الوجه . مرير الطبع . منغص القلب في معيشته مقيماً لكل حديث وزناً لا ثم له الا كسب الاموال . وبلوغ المعالي . وسبق الاقران . واثارة الاعجاب بنفسه عند الذين يحيطون به . ومن كان كذلك لابد له ان يتجانب عن اللهو والمزح ويصدف عن مجالس الشراب الا اذا اضطر اليها ويكتب ميله الى الحسان اذ كان العرف السائد ان العشق اذا طغى على قلب الرجل ذهب به كل مذهب . ودفع به الى الاستهتار بحج الامور . وقعد بهمة عن جلائل الاعمال . ولا يتفق هذا لمن يطمح الى اماراة وزعامة

لم تذكر التراجم العربية عن المتنبي هوى اختص به امرأة بعينها ولكننا نقرأ له كما نقرأ لسواه شعراً يعرب فيه عن شغفه بالنساء ووقوفه بالاطلال وتفجعه من الوداع وما يلحق بهذا من وصف الحمى ومنازل الحسان وسكب الدموع شوقاً . ونحول الجسم هياماً . وما اشبه ذلك من مألوف الغزل الذي عاش به الشعر العربي قروناً طويلة

تلك هي النظرة العجلى في ذلك الغزل المتفشي في تضاعيف القصائد . ولكن القارئ المتربص يلاحظ في ثنايا المعاني اتجاهات خاصة اذا الف بينها انجلت له مبادئ المتنبي الغزلية — اذا جاز هذا التعبير — فنفى من شعره ما كان فيه مقلداً وأخذ بما هو ذاتي جديد صادر عن شعور عميق صادق . وليس كشعر المتنبي للاستدلال بالبحث فيه على الذاتي منه وغير الذاتي . لانه صاحب اغراض خاصة . ومعان متسلسلة مبتدعة لم يسبقه اليها من تقدمه ولم يلحقه فيها من تأخر عنه لفقدانه الحاجة اليها بفقدانه الغرض منها وان كان المتنبي ليتناول البادرة الهيمنة فيتوسع فيها الى ابعاد غايات الحياة من مشاعر كل عصر . واغراض كل جيل . حتى يبرز بها من سبقه ومن لحق به

ولابد هنا من الاشارة الى ان ديوان المتنبي فريد بين الدواوين القديمة بكونه مبوراً على الطريقة الحديثة لان قصائده متسلسلة التنسيق تبعاً لسني النظم والانشاد لا لابواب الشعر وحروف الهجاء . وعلى الرغم من ان بعض ما نسب منها الى نظمه اياها في صباه لا تقنع بصحة موقعها من الديوان الا ان ذلك التنسيق يساعد كل المساعدة على تتبع المتنبي في اطوار شبابه ونضوجه واكتفاله اجل لقد اشتهر كثير من الشعراء بغرام خاص حفظ التاريخ اسم صاحبه امثال ابي نواس وجنان

وإن الأحنف وفوز وقبلهما عشاق الصدر الأول للإسلام ولكن المتنبي لم يشتهر بحب امرأة بعينها فهل كان ذلك مجرد مصادفة؟ ... لا اظن ذلك كذلك بل اظن ان مرضه بحب الامارة جعله يستنكف اقتران اسمه باسم امرأة ربما غير بها اعداؤه وان تغنى بحب الجمال وانتسب الى زمرة العشاق ابان صباه الاول اثباتاً لرجوليته . وتوكيداً لسامعه ان لم يكن بعزهاة معتبراً هذه الصفة منقصة لشعوره . فالمسألة خلقية قبل كل شيء ولعلها الى جانب هذا تدخل في طبيعة المتنبي لان شعره يدل على انه كان غزلاً ملتهب العاطفة الا انه كان عزوفاً عن مواقف التخصيص فهو من الفريق الذي يسميه الفرنجة «دون جوان» Don Juan — ولعل لفظة عشيق (بكسر العين والشين المشددة) لا زير نساء تؤدي معناها — فهو تستصبيه المرأة الجميلة كيفما عنت له ولا يقنع بحب واحدة او اثنتين بل يعشقهن جميعاً ويصبو اليهن جميعاً . وهذا الطراز من المحبين يأخذ بالصورة المائلة التي تثير العاطفة وتستفز نوابض القلب ولا يهمه ما وراء هذه الصورة ولعله لا يطيل التفكير بها كأنما كل صورة اذا لم تح سابقها فهي تضعف تأثيرها بلا ريب وقد ابداع المتنبي يصف نفسه في مواقف غزله بما ينطبق كل الانطباق على تعريف هذا الصنف من المحبين حيث يقول :

فما امر برقع لا اسائله ولا بذات خمار لا تريق دمي
وحيث يقول : ما لاح برق او ترنم طائر الا انثيت ولي فؤاد شيق
وحيث يقول على التعميم :

فالنغر والنحر والمخلخل — والمعصم دائي والفاحم الرجل
وهكذا لا يمر برقع الا وقف يسأل قطينه اين ذهبوا وماذا جرى لهم ولا يرى ذات خمار الا
استشف جاهلها من وراء خمارها فشمع انه يموت حياً وهو ما كنى عنه بأراقة دمه كما انه يصبو
لكل برق يلوح وطائر يترنم وانما داؤه حب النغر والنحر والمخلخل وسائر الاعضاء الجميلة ومظاهرها
فإن تذهب بهذا تلك المحبوبة المنفردة التي يختصها بعاطفته ويقف عليها صبوته لذلك نرى المتنبي
يفرط في التغزل بالنساء عامة وبالحسان مجتمعات كقوله :

الراميات لنا وهن نوافر والخاتلات لنا وهن قوائل
وقوله أيضاً : لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجالا
وضفرون الغدار لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا
وقوله وهو في درجة لا تداني من الابداع :

ديار اللواتي دارهن عزبة بطولي القنا يحفظن لا بالتأمم
حسان الثني ينقش الوشي مثله اذا مسن في اجسامهن النواعم
ويديمن عن در تقلدن مثله كأن التراقي رصعت بالمباسم

وفي البيت الثاني صورة يعجز عن ابرازها اكثر الراسمين . وان الشعر الذي يؤيد هذه النظرية متوافر في الديوان كل التوافر . على ان من كان ملتهب العاطفة كثير التعشق على هذا النحو لا يبعد ولا يستغرب ان تستعبده احدى الجميلات ولو حيناً فتشعره بنار العشق التي تقلقل الضلوع . ولعل المتنبي وقع في العشق واكتوى بناره أيام شبابه الاول على الاقل وقبل اتصاله بسيف الدولة . لانه لا يمكن للعبقرية مهما عظمت ان تدل صاحبها على شعور لم يحسه فلا بد ان يحس به ولو قليلاً لان تجسيمه عن طريق الخيال لا يستقيم الى الحد الذي يستقيم به من وراء الاحساس وكل صاحب فن لا تتطرق الصورة او العاطفة الى فنه الا عن طريق حواسه . غير ان العبقرية هي التي تجعله يحلل شعوره ويدرس خلق النساء في تفكير وتأمل . ولم يكن المتنبي في ادبه صاحب فن خفس بل هو مفكر نافذ البصيرة ثاقب النظر الى الحياة يحيط بها من شتى جوانبها . ولعله قد وقعت له حادثة غرام واحدة تضاف الى تنقله في التعشق جعلته يصف أخلاق النساء على نحو ما قال :

اذا غدرت حسناء وفّت بعهدا فن عهدا ان لا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت اشد صباة وان فركت فاذهب فما فركها قصد
وان حقدت لم يبق في قلبها رضى وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك اخلاق النساء وربما يضل بها الهادي ويخفى بها الرشد
ولكن حباً خامر القلب في الصبي يزيد على مر الزمان ويشد

ولا شك ان هذه الابيات تشعر بشيء من القسوة في الحكم مرجعه الى العصر والبيئة وما عدا هذا فانه فيها من تفهم طبيعة المرأة ما تبقى حقيقته ما بقيت هذه الطبيعة . على انه في البيت الاخير مرارة ولوعة لا يحس بهما الا من جرب مثل ذلك الحب الذي خامر القلب في الصبي ولم يزد مر الزمان الا اشتداداً على الرغم مما خبره من تلك الاخلاق التي وصفها . واننا نعرف ما نعرف عن كبرياء المتنبي وتماظمه حتى قال عن نفسه

تغرب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً الا لخالفه حكماً

وقال كثيراً غير هذا في معرض القوة والجبروت فاذا به في معرض الحب يقول :

تذل لها واخضع على التقرب والنوى فما عاشق من لا يذل ويخضع

فلا ريب ان شعوراً مفراطاً بالحاجة الى استرضاء جيبية بعينها افهمه ان الخضوع هنا لا يعد هواناً وجعله يحرص كل الحرص على انه يدعى عاشقاً ويقول معتزلاً :

وعذلت اهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

ولا يني في الاعراب عن خوا لج صدره بالذهاب في صحة عاطفته الى اقصى غايات الوصف التي لا يوفق اليها الا من ذاق واختبر وهده اختباره الى استنباط الدقائق الحية واستكناه خفيات المشاعر النفسية كقوله جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي فاصبح لي عن كل شغل بها شغل

وقوله أيضاً : قد كنت اشفق من دمعي على بصري فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
وقوله في موقف الوداع : تنفست عن ولاء غير منصدع يوم الرحيل وشعب غير ملتئم
قبلتها ودموعي مزج ادمعها وقبلتني على خوف فمأ لفم
ولقد ركت تلك القبل في فمها طعاماً تناولته شاعريته الكبيرة فوضعت موضع التشبيه البارع حيث قال :

للهو آونة تمر كأنها قبل يزودها حبيب راحل
قال كثيراً من هذا الشعر الغزلي الصادق الذي يتدفق من صميم النفس والقلب. وقد ظن المتنبي

ان العاشق يجب ان يكون نحيلاً فقال في صباه :
كفى بحسبي نحولاً انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني
فاذا به يعجب بهذا المعنى جداً والمرء معجب بينات افكاره حتى لو كان المتنبي لذلك عاد الى نظمه ثانياً
ولو قلم القيت في شق رأسه من السقم ما غيرت في خط كاتب
وماد فنظمه ثالثاً : وبليتي فقد السقام لانه قد كان لما كان لي اعضاء
ونظمه رابعاً باضافة شيء على المعنى :

دون التعانق ناحلين كشكوتي نصب ادقهما وضم الشاكل
وكرر معنى صدر هذا البيت خامساً :

حلت دون المزار فاليوم لوزرت لحال النحول دون العناق
وهكذا بقي المتنبي شغوفاً بمعناه هذا يبالغ به في وصف النحول وصفاً يخرجُه عن المعقول بل
هو من الاغراق المرغوب عنه . وهو في جملة لا يخرج عن قول ابن ابي ربيعة :
وتقلبت في الفراش وما تعلم الا الظنون اين مكاني
ولا شك ان المتنبي وضع معناه وضعاً ولم يقتبس اقتباساً والاً لما افترط في الاعجاب به حتى
كرهه ايضاً وهو يهجو ابن كيفلغ لما ورد الخبر بأن غلامانه قتلوه فقال :

فسألو قاتليه كيف مات لهم موتاً من الضرب ام موتاً من الغرق
واين موقع حد السيف من شبح بغير جسم ولا رأس ولا عنق
وبصح ان نسمي البيت الاخير من الخيال المستحيل على انه وفق مرة واحدة الى وضع هذا المعنى في
موضعه الصحيح حين صرفه الى وصف الموت فاستقام في قوله :

وما الموت الا سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل
ولم يفت المتنبي لعريف الحب ونشأته وحالاته وكيف يطغى على العقل ويغلب العاطفة على الفكر
ويلعل الارادة فقال :

وما هي الا لحظة بعد لحظة اذا نزلت في قلبه رحل العقل

وقال : ومن يعشق يلذ له الغرام . وقال في باب التعريف :

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلننا

ويعتبر هذا البيت من ادق الملاحظات النفسية المتوافرة في الديوان . وقد اشتط بعض النقاد حينما وهم ان في البيت تنافراً معنوياً اذ زعم ان الحب يمنع اللسان من الكلام وان الشكوى لا تعلن إلا بالكلام الذي منعه الحب فكيف يكون ذلك . على ان هذا الاعتراض لا يؤبه له اذا علمنا ان العاشق الصادق يذهل في موافق الغرام ويختبل حتى لا ينبس بحرف وهذا معنى صدر البيت ثم انه لا بد له ان يشكو فاذا أعلن شكواه شعر بلذة غريبة قريبة من بعض اللذة التي يحدثها الالم وهذا معنى عجز البيت . وفي تناقض العشق والعقل يقول المتنبي

يا عاذل العاشقين دع فئمة اضلها الله كيف ترشدها

ويقول ايضاً : الى م طماعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل

هذا هو موقف المتنبي من العشق والغزل الى السنة الاولى التي لحق بها بسيف الدولة . ومن ثم بدأ عند سيف الدولة حياة جديدة تقتضيه التسامي بنفسه عن كل شائبة . صوناً لكبريائه بين منافسيه فصرنا حينئذ نسمع مثل هذا السؤال الانكاري : أكل اديب قال شعراً متيم . . . وصار غزله صنعائياً الا اصداً بعيدة تتجاوب في نفسه لتلك العواطف الزاخرة التي تدفقت في شعره الاول كقوله :

وكيف التذاذي بالاصائل والضحى اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبنا

ذكرت به وصلأ كأن لم افز به وعيشاً كأنني كنت اقطعهُ وثبنا

ومثل قوله وهو يسيل حناناً : اذا زلتم ثم لم ابكمم بكيت على حي الزائل

ومثل قوله ايضاً : لعينك ما يلتقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي

ولا بد هنا من الاشارة الى افتتان المتنبي بجمال العينين لوفرة ذكرها في شعره فهل كان ذلك مصادفة شعرية ام هو افتتن بذات عينين جميلتين انطبعت صورتهم في قرارة صدره حتى قال

عزيز اسي من داؤه الحديق النجل عياء به مات المحبون من قبل

وقال : وعيون المهى ولا كعيون فتكت بالمتيم المعمود

وقال : وقتانة العينين قتالة الهوى اذا نفحت شيخاً روائحها شبا

وفي القصيدة التي ساق مطلعها الى هذا الاستشهاد على السؤال يقول :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه واسكن من يبصر جفونك يعشق

ويقول في وصف العيون مبدعاً :

ادرن عيوناً حاربات كأنها مركبة احداقها فوق زئبق

ويقول ايضاً : ألم ير هذا الليل عينيك رؤيتي فتظهر فيه رقة ونحول

ولما اكتمل قال متغزلاً وهو صادق :

افسدت بيننا الامانات عينها نغانت قلوبهن العقول

وقد اشار الى ان الجمال اكثر ما يكون في العينين حيث قال :

الحسن يرحل كلما رحلوا معهم وينزل حينما نزلوا
في مقاتي رشاء تديرها بدوية فتنت بها الحلل
وما احسن قوله : كل جريح ترجى سلامته الا فؤاداً رمته عيناها

ثم ان المتنبي لما لزم سيف الدولة طفق يبعد بنفسه عن كل ما يخشى ان يعكس عليه سوء فهمه
لم يمد يكثر من ذكر الغرام والهيام كأنه يريد تفهيم سيف الدولة ان نفسه لا تشغله اليوم عنه كما
كانت تشغله من قبل عن سواه وان همه ان يرضيه ويظهر لدنه بمظهر الرجل الكبير الذي يستحق
الامتيازات التي حصل عليها منه . انه لا يقبل الارض بين يديه ولا ينشده الشعر واقفاً ويتقاضاه كذا
الوفاء على قصائد معدودة فهو جدير بكل احترام على الرغم من ان حرفة الشعر لم تكن ايامئذ تسمو
بصاحبها الى المعالي وعلى هذا شرع المتنبي يصف نفسه بالعفة والتصون كقوله :

يرد يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد
وهل يشتفي من لاجع الشوق في الحشا محب لها في قربها متباعد

بل هو ذهب الى ابعد من ذلك فنبذ استهلال القصيدة بالغزل على طريقة اسلافه من الشعراء
ومار يدخل مباشرة في موضوعه والشواهد عديدة على ذلك :

— اعلى الممالك ما يبني على الاسل — على قدر اهل العزم تأتي العزائم
— اذا كان مدح فالنسيب المقدم — بغيرك راعياً عبث الذئاب
— لكل امرئ من دهره ما تعودا — عقيب الميمن على عقيب الوغى ندم
— طوال قنا تطاعنها قصار — غيري باكثر هذا الناس ينخدع

وعشرات غير هذه من القصائد التي لا ذكر للغزل فيها البتة. وانتفضت اوداج ابي الطيب كبرياء
لما علت مرتبته وانتشر اسمه في الاقطار ولقي من سيف الدولة بالغ الحفاوة والاحلال فتطورت آراؤه
في النساء تطوراً عجيباً حتى صارت الانوثة شبه مسببة عنده فهو يعتذر عن ام سيف الدولة انها انثى

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير نفرة للهِلال

ولا يقولن احد ان المتنبي اراد في البيت الثاني ان يساوي بين التذكير والتأنيث وانما ساقه
لوقوف الى هذا التشبيه بعد ان قرر في البيت الاول تفضيل الرجال على النساء . وجاء بعدئذ يقول
ان التأنيث ليس عيباً . ومعنى ذلك انه ليس بعيب اذا كانت ام سيف الدولة انثى ولكنه عيب في
سواها . . . وبلغت قلة الذوق بالمتنبي وهو مسوق بأرائه هذه انه لم يستنكف حين عزى سيف
الدولة فيما بعد بفقد اخته الصغرى ان يقول له :

واذا لم تجد من الناس كفوفاً ذات خدر ارادت الموت بعلا

وذهب الى أبعد من ذلك فقرر ان شيمة النساء الغدر وان الدنيا خادرة فهي تشبه النساء. ولعل هذا الشبه جعل لفظ الدنيا مؤنثاً . فقال والضمير عائد الى الدنيا :

وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا تتمم وصلاً

شيم الغانيات فيها فما أدري لذا أنث اسمها الناس ام لا

فالتأنيث والغدر ونقض العهد كل هذا واحد في نظر المتنبي. وقد لزمته هذه الفكرة في الغواني الى آخر عمره فصار لا ينظر الى المرأة الا انها أداة لهو واستمتاع وصار غزله مادياً بحثاً حينما عاد في ابان اكتماله الى الغزل كقوله :

ولا ليلة قصرتها بطويلة أطالت يدي في جيدها صحبة العة .

وقوله : شامية طالما لهوت بها تبصر في ناظري محياها

فقبلت ناظري تغالطني وانما قبلت به فاهها

وقوله ايضاً وهو قبيح : عد وأعدّها خبذا تلف الصق ئدي بئديها الناهد

ولولم تكن نضبت حيوية المتنبي لما قال :

فما حرمت حسناً بالهجر غبطة ولا بلغت من شكا الهجر بالوصل

كل هذا وقع له وهو كهل في السنوات القصيرة التي قضاها بعد يأسه من التصون والتعفف ولكنه كان قد قسا عوده وجفت عواطفه واصبح لا يستلذ بالخالجة التي تلجج النطق وتذهل العقل بل صار يطلب الموقف المثير والملبس الوثير بل صار يعكس مواقف الغرام فيجعل المرأة تقبله وتستدبته ولم يعد طلب الوصل رجاء بل اغراء فلسفياً مزيجاً من اللذة والتفكير بفناء الدنيا والقارئ المتأني يعجب كل الاعجاب بهذين البيتين :

زودينا من حسن وجهك مادام فحسن الوجوه حال تحول

وصلينا نصلك في هذه الدنيا فان المقام فيها قليل

على انه بعد انفصاله عن سيف الدولة ولحاقه بكافور لزم في مصر حيال كافور خطته مع سيف الدولة في الانصراف عن الغزل . ولا نرى المتنبي تغزل في مصر الا مرة واحدة حينما وازن بين الحضريات والبدويات في قصيدته التي مطلعها

من الجاذر في زي الاعارب حمر الحلي والمطايا والجلابيب

اما قصيدته التي يقول فيها : ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب . فقد دعا حسناء ابنة القوم وفاقاً لعادة عربية قديمة تنادي بها المرأة هكذا امتداحاً لها بأن لها قوماً تعز بهم فجعل نفسه غريباً عنها وفيها يقول

احن الى قومي واهوى لقاءهم واين من المشتاق عنقاء مغرب

وهل اشرف من طائفة الحنين الى الاهل فالمتنبي يقف في مصر مواقف مشرفة لان رأسه تغلي بأطباعه المعروفة وكافور يطاوله ويمنيه واذا جاز الافتراض قلنا لعل كافوراً أوعز من باب السياسة الى

بعض اشياءه ان يعير المتنبي بتطلعه الى النساء ومعاقرة الحمر دفعاً عن اطاعه ولعل التهمة قرعت سمع المتنبي والا فما معنى ان يدلل طويلاً بعفته وابائه واجتنابه للخمر ويذكر هاتين الخملتين مفتخراً فيقول
 وغير فؤادي للغواني رمية وغير بناني للزجاج ركاب
 ثم يشفق ان يتهم بالضعف في موضوع الحسان فيقول :
 وللخود مني ساعة ثم يبيننا فلاة الى غير اللقاء تحجاب
 وراح يسلك في تعريف العشق مسلكاً لا يتفق مع ما سبق له في قصائده السالفة فيزعم ان
 العشق غرور وطمع حيث قال :

وما العشق الا غرة وطماعة يعرض قلب نفسه فيصاب
 ومار يقول ايضاً : يحب العاقلون على التصافي وحب الجاهلين على الوسام
 فيجمع بين الحب والعقل بعد ان اشد طويلاً بالتفريق بينهما وينسب الجهل الى عشاق الجمال وانكى من هذا قوله
 مما اضر بأهل العشق انهم هووا وما عرفوا الدنيا ولا فطنوا
 تقنى عيونهم دمعاً وانفسهم في اثر كل قبيح وجهه حسن
 كأن كل عاشق جاهل وكل جميل الوجه قبيح النفس وكأنه لم يكن يحب اهل العشق هؤلاء
 الذين يرميهم بالجهل وهو الذي قال :

وما انا الا عاشق كل عاشق اعق خليليه الصفيين لائمه
 وقد تيزيا بالهوى غير اهله ويستصحب الانسان من لا يلائمه

وهو الذي قال : ضروب الناس عشاق ضروبا فاعذرهم اشفهم حبيبا
 اجل لم يكن المتنبي ليحسر على الجهر باطاعه عند سيف الدولة ونحن نعرف ما كان عليه من
 النجاعة والفروسية والعزة والسطوة بل هو من قومه بني حمدان في سياج من الامراء والقواد
 من لا يجوز لمتنبي ان يفكر في تخطيمهم الى ملك او اماره . ولكن الحالة في مصر غير الحالة في
 حلب وكافور عند اسود اغتصب ملك سيده وتصدر لتصرف شؤون البلاد والعباد وليس له
 نوم يرتكز على عصبيته فيهم وقد الح في استدعاء المتنبي ليرفع به جاهه ويدل به على غيره من الملوك
 فلاضير على المتنبي اذا طلب الولاية والامارة وهو لن يتخطى اليها احداً من اهل كافور الاقربين
 وسواء في حلب او في مصر فان المتنبي لزم خطته في التغني بمناقبه الرفيعة واخصها بعده عن النساء
 وزفقه عنهن ولكن بعد ان هرب من مصر ولحق ببني بويه وقد انهارت آماله واخفقت مساعيه
 عاد الى الغزل واطلق لنفسه العنان في صدر قصائده على السيرة القديمة المألوفة ولكنه كان قد تجاوز
 سن العشق بجفاء غزله مادياً كما اسلفنا وظلت المرأة كما صورتها له كبرياؤه بعد طور الصبا
 ومن العجيب ان يذهب المتنبي ضحية امرأة هجاها فأخش فقتله اخوها . وهذا منتهى
 سخريه الاقدار !

آراء الباحثين

في اصل الشعور الديني

للمكتوب عبد الرحمن شهبندر

كثيراً ما كنت اسأل والدتي في طفولتي ورأسي على حجرها سؤالاً كان يشغل بالي يومئذ كما يشغل بالي اليوم وهو « من اين اتى ابي ؟ » فتقول « من جدك » و « جدي ؟ » فتقول « من جد بابا » وهكذا الى ان نصل الى آدم كما هي العادة فاسألها « ومن اين اتى آدم ؟ » فتقول على الاصول « خلقه الله من التراب » وهنا تحاول كثيراً ان تقطع الحديث ولكنني ويا للأسف كنت استمر في سؤالي شأن من لم يستفرغ الحقائق المنشودة فاقول لها ببساطة الاطفال ومن غير وجل « ومن اين اتى الله ؟ » فتعبس في وجهي حالاً وتقطب جبينها وتقول « اسكت ... حرام ... كفر ... » فكنت اسكت حقاً ولكن على مضض وانا خائف ان اكرر سؤالي حتى لا اغضبها

تمثل هذه الصفحة المقتضبة من طفولتي تاريخ كثير من الاطفال غيري ، وما حب الاستقصاء المتسلسل الوارد فيها الا ميزة من ميزات العقل البشري وصفة ملازمة له لا تستطيع الوالدة مهما كانت محبوبة ومحترمة ان تقف في وجهه . فالسؤال عن اصل الموجودات او عن سبب حدوثها متأصل في النفس تأصل سائر الخصائص التي لازمت العقل البشري منذ ما انتقل من البساطة الحيوانية التي كان عليها . واذا صحّت نظرية النشويين فيما يقولون من ان سن الطفولة في الفرد يمثل عصر البشرية في المهد فيكون مثل هذا السؤال الذي ازعج والدتي كثيراً من الاسئلة التي خطرت للانسان الاول وهو لا يزال في الكهوف والبحيرات والغابات ، وكانت مساعيه يومئذ للحصول على الجواب الشافي بمثابة البحوث الاولى في الدين والعمل لتعليل السبب والمسبب واللازم والمزوم والازل والابد . لا جرم اننا نرى في جميع الاديان المعروفة خبراً طويلاً مستفيضاً عن بدء الكائنات ومصيرها وعن الجلد والظلمة والعمر وروح الله التي كانت ترفرف على الماء وعن خلق آدم من التراب وحواء من ضلعه وكذلك الخبر عند المجوس عن الاثني عشر الفا من السنين الطوال التي يتصارع فيها اله النور (اهورامازدا) واله الظلمة (اهورامان) وعند الهندوكيين عن تلك العشرات من ملايين السنين التي تنتهي بتفاني الخلق واندثارها في براها

ان هذه الصفحات الغزيرة المستوفاة عن البدء والمصير هي روح تلك الصفحة الاولى التي خطرت لي وانا مستند الى حجر والدتي وستخطر للاطفال امثالي ما بقيت لهذا العقل الذي زين الانسان تلك الخصائص النفسية التي يحق لنا ان ندعوها « السببية » « والتلازمية » « والازلية » « والسرمدية » ، وفي نظري ان مذهب النشوء والترقي ان هو الا محاولة علمية استقرائية بعثها في قلوب العلماء مثل

هذا الشعور المتأصل في النفس لتعليل الانسان بالعودة بأصله الى الحيوانات من القرود فما دون الى الحيوانات ذات الخلية الواحدة . بيد ان هذه النظرية تقف وقوف سائر المذاهب والعقائد عند ما تتساءل « ومن اين اتت الحياة لهذه الحيوانات الدنيا ؟ » ومتى وصل العالم حتى من كان دهرياً بحتاً الى هذا المقام فهو ليس ببعيد كل البعد عن منطقة الدين وما له من وله في تعليل المبدأ والمصير . وفي الجزء الثاني من كتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن القيم الجوزي (ص ٣٥) : « وقال صلى الله عليه وسلم (لا يزال الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ فن وجد من ذلك شيئاً فليستعد بالله ولينته »

وقرأت في مقتطف ما يو الماضي للاستاذ نقولاً حداد مقالاً طريفاً عن « الزمكان » فيه خلاصة النظرية النسبية للاستاذ (أينشتين) في الزمان والمكان فقلت في نفسي هذه هي الضالة التي اشدها وهذا بيت قصيدي لانه يعالج بالطرق الحديثة الفضاء ويضع له حدداً فلنصغ الى طريقته قال الاستاذ حداد : « لذلك ما نسميه فضاء هو فضاء محدود بالمادة ، متناه ، لان المادة متناهية اي ان لها قدراً معيناً والفضاء محدود بها ، له اول وله آخر » ، فقلت في نفسي ان (اينشتين) وجميع شهرته العالمية لم تحل وبلاأسف شيئاً من العقدة لانني لا ازال حتى هذه الساعة اسأل بحكم فطري وتركيب عقلي واختباري اليومي في الموجودات « ما الذي كان ياترى قبل اول الفضاء وما الذي يأتي بعد آخره ؟ » ولشد ما كان تعجبي اذ رأيت الاستاذ حداداً نفسه يعقب على جميع ما اتى به من البراهين لاثبات ان المكان محدود بجملة واحدة تهدم هذا التحديد وتعود بنا الى المواقف المتحيرة التي وقفها حكماء الهند واليونان والعرب منذ الوف السنين وهي قوله « ولا تسئل عما قبل الاول وعما وراء الآخر فهذا مستحيل على العقل البشري تصويره » وهو لا يختلف كثيراً عن قول والذي ورأسه على ركبته « اسكت ، .. حرام .. هذا كفر .. »

ثم اني لم اقصر سؤالي لها على آدم وتسلسله فقط بل كثيراً ما كنت اسألها عن السماء ايضاً وما فوقها وعن الارض وما تحته فلم يكن ليصعب عليها ان ترد عليّ بذكر السبع الطباق وبقرن الثور ولكنني كنت ألاقى منها نفس الاعراض والتقطيب متى جاوزت السماء السابعة الى العرش وقعر الارض الى قرن الثور

فانت ترى ان البحث في المكان والانهاية مثل البحث في الزمان والازل خاصية من خصائص العقل البشري لا محيد عنها ، وقد جال فيها علماء الطبيعة كما جال فيها الحكماء المتقدمون وعلماء الدين ، ولعمري ان المستكشفات الحديثة في علم الفلك وما توصلت اليه من تقدير الابعاد بالسنين الضوئية قد ضاعفت حيرتنا من هذا الكون وابهته وجلاله ، وكل طالب علم يذكر كيف قضى في فراشه الليلة الاولى التي رصد فيها الافلاك بالمرقب لأول مرة وكيف سبّح وهمه ساعتئذ بين الاجرام السماوية محاذياً لها حتى تراءت له حدود الانهاية فعاد خاسراً وهو حسير . ومع كل هذا

السلاح العلمي الدقيق الذي نتسلح به اليوم فنحن ازاء هذه المعضلات الزمانية المكانية لسنا بعيدين عن مقام الحيرة الذي بلغه اعلام التصوف من رجالنا الماضين ، وبخاصة الحيرة من الانهائية فقد مثلت هذه الحيرة ادق الادوار وأخطرها في تصوراتنا الدينية ومعتقداتنا الروحية

ولقائل ان يعترض فيقول ان ما ذهبنا اليه من هذه الخصائص العقلية التي مازت الانسان لا ينطبق على الانسان الوحشي الاول فمثل هذه المرتبة الراقية في التفكير تحتاج الى انسجام منطقي لم يبلغه ، وان الطفل ابن الخامسة من انشاء اليوم هو في مقام الحكماء اذا ما قيس بالانسان النيندرتالي مثلاً ، ثم ان الدين قضية اجتماعية من اولها تولدت من اتصال الانسان بأخيه الانسان ولا يكفي في تعليلها الاعتماد على الشعور الفردي مهما كان خطيراً ، وجوابي عن ذلك كله ان الشعور بالانهائية على انواعها ، الانهائية المكانية التي لا قرار لها والانهائية الزمانية التي لا تنتهي لها ، والانهائية الطبيعية في القوة التي لا تنضب وظواهرها الجبارة التي يتضاءل عندها الانسان فينقاد لاحترامها وتبجيلها والرهبة منها صاغراً ، كل ذلك كان له اعظم الاثر في تفكيرنا الديني منذ ما جاز ان يطلق على هذا الانسان انه حيوان مفكر

المذهب الاجتماعي الطبيعي في تعليل الدين : ان هذا الذي ذكرناه في تعليل الدين يحتاج ولا شك الى شيء من الارتقاء العقلي قد لا يكون موجوداً في البشر الاول ، لذلك رأينا ان نطلع القراء على خلاصة رأي الاجتماعيين في هذا الباب وكيف عللوا الظواهر الدينية منذ نشأتها الاولى معتمدين في الاكثر على ما كتبه الاستاذان (هوبكنس) و (جيندنغز) وعلى ما ورد في « الموجز في علم الاجتماع » :

ان المشاكل المعضلة التي لقيها الانسان في حياته على وجه الارض فولدت في نفسه الافكار الدينية وما يتعلق بها من أعمال هي مشاكل شديدة التعقد ، والملائق القائمة بينها دقيقة جداً ، فزى ان العقل البشري بما بذله من المساعي الجدية للخروج من التيه المرتبك الذي وضعته فيه ظواهر الطبيعة والخلاص من الحيرة المختبطة التي احاطت به من البشر انفسهم قد هيأ التربة الصالحة التي نمت فيها شجرة الدين ، فيجوز ان يقال اذن ان البشر الاول وهو منتقل حديثاً من المرتبة الحيوانية المعجماء بعقل لا يفضل كثيراً عقل الحيوان حلق في هذا الكون فرأى ما فيه من قوى وحشية وبشرية همجية فاعتراه الخوف ولكنه لم تتضح له جلية هذا الشيء المخوف اذ كانت الافكار التي تحول في نفسه لا تزال مجموعة صور خليط لم تدخلها بعد عوامل التنسيق والتبويب . بل امتلأ قلبه ذعراً من شيء اطلق عليه العلماء اسم « المرعب الاعظم » او « البعيع » وعنوا به قوة مرعبة محجبة تكتمنها الاسرار وتحيط بها الهواجس تسلطت على لب هذا البشر الوحشي وضابقتة ولازمته حتى حملته على اتخاذ اتجاه خاص نحوها فكان يفكر كيف يفسر هذا المرعب الاعظم ويعلمه ويقوم بمعاملته والتقرب اليه ومن هنا ابتدأت فكرة الاسترضاء والاستفسار والعبادة كما يتضح مما يأتي

فالبشر حتى منذ ما كان على الحالة الحيوانية ادرك معنى التفوق او السيادة من جهة والخنوع والخضوع من جهة اخرى ، وتوصل الى فهم بعض الاشياء والاحاطة بمعناها وذلك لفهم الناس من حوله ، وتعلم كيف يعقد أواصر الاتصال بهم ويمشي اموره معهم ، ومن المعقول جداً ان يمتد هذا الفهم وتزداد أواصر الاتصال حتى يتسعا فيشملا الظواهر الطبيعية المحيطة به والتي لم يدرك كلها ولكنه حرص على استمالتها اليه واسترضائها ، لم يدرك البرق والرعد والعاصفة والسيل والشلل مثلاً ولكنه توسل بجميع الوسائل التي سبق له ان استعان بها لاسترضاء أخيه الانسان لاكتساب عطفها ورضائها . لا جرم انه فسر كل شيء مستغرب مجهول بالمشاعر التي تجول في نفسه وتجول في نفس البشر اخوانه وعزا اليها ما عزا اليهم وعامل هذه المجهولات التي اعجزه فهمها بنفس الطريقة التي عامل بها اخوانه ومشى حاله معهم

وعلاوة على ذلك فقد دللته التجارب على ان الطريقة التي نجحت في اكتسابه معونة البشر اخوانه واسترضاءهم قد نجحت هي ذاتها في اكتسابه معونة الحيوانات واسترضائها . وقد تحلى ذلك له في تدجين بعضها والعمل لتأنيسها . ثم ان الصراع الذي كان قائماً بينه وبين الحيوانات البرية قد أرشده حتى قبل مباشرته عمل التدجين هذا الى ان عقول هذه الحيوانات تشبه بعض الشبه عقول الناس من كان عليه ان يتصل بهم ويعاملهم . فاذا كان في وسعه ان يعيش مع الناس ويتعامل مع الحيوانات باتباعه بعض القواعد وسلوكه بعض السبل ، افليس من المعقول ان يستنتج استنتاجاً منطقياً خالياً من الارتباك والتعقيد ان هذه القواعد والسبل نفسها تنجح في فهم واسترضاء اشياء اخرى منتشرة حوله في الكون لا تقل غموضاً وغرابة ؟

وقد احتفظ الانسان بهذا الاتجاه العقلي المنطقي في جميع اعماله وطوال حياته ، واذا كان جاهلاً ان في الدنيا اسباباً غير شخصية تصدر عن قوى طبيعية عمياء فقد توهم الشخصية في كل سبب مرغماً ونسب الى الظواهر الطبيعية من حوله التي لا دخل للناس فيها ايدي الاشخاص ، اذن فما دام السبب الذي يحدث النتيجة شخصاً فالواجب ان يكون شخصاً مثل سائر من عرف من الاشخاص — شخص حبيب وكره ، شخص عطف ونفرة ، شخصاً مكوناً من قوة مستغربة غامضة ، عليه ان يعاملها بطريقة من الطرائق . فاذا كانت هذه القوة ساخطة فالواجب استرضائها وتسكين روعها ، والطريقة المثلى الوحيدة التي تحظر بالبال هي الطريقة التي يسترضى بها البشر متى كان ساخطاً لذلك تخيل الانسان الطبيعة جميعاً حافلة بالارواح من نمطه ، ثم ان شخصيته ذاتها لم تكن اقل غموضاً وتعمية بالنسبة اليه من ظواهر الطبيعة ووقائعها فهو اذا ما صاح سمع صوتاً يهزأ به يتردد من الروابي والغابات وهو الصدى الذي لا بدش أحداً منا ، واذا ما انحنى على البركة ليشرب رأى في اعماقها وجهاً ينظر اليه مثل وجهه او وجه من يكون معه من الرفقاء وهو الصورة المنعكسة عن سطح الماء التي لا يكثر لها احد منا ، واذا ما نام حلم في منامه انه يجول ويقوم بشتى الاعمال ولكنه عند ما يصحو يجد انه لم يغادر البقعة

التي نام فيها ، وفي بعض الحالات الاخرى يضطجع ثم يقوم ويمشي وهو نائم الى ان يصطدم بشيء من الاشياء فيصحو ، اذن فهذه الحوادث الطارئة والاختبارات المتتابعة التي مشى فيها وجال وتكلم هي في منطق البسيط اختبارات حقيقية وحوادث واقعة لا غبار عليها . فكيف يفسرها ؟ كيف يستطيع المرء ان ينام ويمشي في آن واحد من غير ان يغادر مكانه ؟ والتعليل الوحيد الذي يخطر له من جميع هذه المشاهدات هو انه شخص مزدوج مؤلف من قرنين -- والقرن في العربية هو النفس او هو الشيطان المقرون بالانسان لا يفارقه ، وكلا المعنيين لا يبعد عن معنى الازدواج الذي قصدناه -- ففي المنام يبقى احد قرنيه في موضعه والقرن الاخر يتمشي خارجاً ، ومعنى ذلك في حسابه ان له روحاً وهذه الروح تلازمه في صحوه ، واما اذا نام او اصاب باغماء او ذهول فانها تغادر جسمه وتروح وتغدو بعيدة عنه ، وهي محجوبة عن نظره لا يستطيع مهما حاول ان يراها . ولكن اي برهان على وجودها يا ترى اصح وأسد من هذا البرهان المحسوس الملموس ؟

ثم انه بسائق العقل البسيط الذي يحمله في رأسه يستنتج ان روحاً تشبه هذه الروح تحل في الطبيعة كلها وهذه الروح هي شخص ذو خصائص ذاتية مثله ومثل رفقاته ، تحب وتبغض ولها شهوات وانفعالات وعواطف ويساورها الغضب وتشتهي الهدايا والمنح وتصاب بالهوى والوسواس ، اذن فهي شيء ينظر المرء اليه بالرهبة والخوف ويعقد معه او اصر الصلح والسلم والوئام

ثم هنالك حادثة الحوادث -- هنالك الموت وما فيه من غرابة وغموض وابهام ، وقد دلتنا جميع الملاحظات التي جمعناها على أن الشعوب الابتدائية البالغة درجة التفكير في الامور تهتم بالموت ، فالانسان الاول وهو مقيم دائماً في وسط القوى الوحشية التي قضت عليها المدنية فيما بعد او اخضعها ودجنها لخدمة البشر قلما مات ميتة طبيعية حتف أنفه ، فاذا كتب له أن يعيش فيموت هذه الميتة فانها تكون حينئذ ظاهرة غريبة تفسر على هذا النمط المزدوج القائم على وجود آخر هو الروح المحجوبة أو القرن الخفي

والغالب أنه يموت قبل بلوغه اُرذل العمر وهو سن الشيخوخة البالية اذ يقول انه لا يرى لذة في الحياة بل تكون الحياة على عكس ذلك لا تزال لذبة حلوة والموت نكبة لا راحة ، ولما كانت الوحوش البرية الضارية والبشر الاشد منها توحشاً وشراسة واقفة له بالمرصاد في كل ناحية للانقضاض عليه فالخوف الطبيعي الغريزي من الموت كان ابدأ ماثلاً أمام عينيه ، ولما أخذ يفكر في هذه الاحوال والاشياء خطر له هذا السؤال بالطبع وهو « ما هو الموت ؟ » فهل يجد الجواب الشافي عن هذا السؤال الا في تلك الاختبارات التي تشبه الموت كثيراً ؟ لقد نام وأفاق ، ورأى في بعض الاحيان أناساً صرخوا في القتال فأغمي عليهم حيناً من الزمن ثم عادوا الى وعيهم ، ورأى آخرين أصيبوا بغشيان او دهشة وذهول فلما صحوا قصوا على الناس ما رأوا وما سمعوا ، أليس الموت شيئاً مثل النوم والالغاء والذهول الا ان غياب الروح فيه عن الجسد أطول أمداً ؟ ألا تكون الروح أو

القرن في حالة الموت حية في مكان آخر ترى وتسمع وتتأذى وتعي وتشتهي وتنفعل وتحب وتبغض كما لو كانت في الجسد ؟ ثم تحدث حادثة مشؤومة ليس لها سبب ظاهر ، فليت شعري لم لا يكون بيت من الاموات الساخطين قد أحدثها ؟ فمثل هذا الميت لما كان حياً انتقم لنفسه ، والآن وهو ميت وقد غضب واغتاظ فالواجب ان يسترضى ويهدأ روعه بنفس الطريقة كما لو كان حياً وربما كان الميت رئيساً كبيراً أو حاكماً للجماعة مطلقاً فيخشى منه في موته بقدر ما كان يبجل في حياته وزيادة ، لان المعروف من أمره وهو ميت أقل بكثير مما كان يعرف وهو حي ، لذلك نفقه الموت بالاسرار وحجبه بالاطلام والمعميات فاحاطه بالاسباب الداعية إلى الذعر والرهبة ، وهكذا نشأت عبادة السلف أو بمثل هذه الطرق كاخت الافكار الدينية الاولى الخالية من الانسجام الاغراب عن نفسها ، وهي أفكار طائفة بالمتناقضات مثل أفكار الرجل الابتدائي أو مثل أفكار الطفل الصغير في أوائل تفكيره ، ومغشاة مبهمه « ومتبلة » خليط بعضها فوق بعض تشبه العواطف والاتفعالات والاندفاعات المتولدة في نفسه من اتصاله بالكون وما فيه من أشياء وأشخاص . على ان هذه الافكار هي جهود جهدها لانقاذ الموقف الكريه بشيء من العمل مهما كان نوعه ، هي بوادر تحليل نظري للعالم الذي يعيش فيه ، وهي المحاولات المغلوطة الاولى للحصول على الوسيلة التي يتمكن بها من اخضاعه والتسلط عليه . هي آراء منعكسة عن الجمعية البشرية التي هو جزء منها وعضو فيها ، ولهذه الآراء نظائرها في نفسه وفي نفوس الناس من حوله ممن يتصل بهم ، فالآلهة التي يصطنعها لنفسه يعملها على غرار غرار اخوانه ولكنها اعظم منهم شأنًا وأشد بأسًا وأشد حكمةً وأكثر ابهاماً وأقل جلاءً

وقصارى رأي الاجتماعيين الطبيعيين في نشوء الاعمال الدينية والعبادات هو ان اتصال الانسان الابتدائي الاول بالطبيعة وبالناس من حوله ادى الى استحداثهما في نفسه فهما من صنعه وابتدئان من عنده وينعكسان عن تجاربه . وكلما نما الطفل الصغير وأضحى على اتصال بالشخصيات الاخرى تعلم ان يكيف نفسه بحسبها وعلى مقتضى الاحوال التي تحيط بها فهو يرى انه اذا قام ببعض الاعمال استرضاها وعقد اواصر الوفاق معها وان قام بغيرها أغضبها وأثار حفيظتها ، فهناك اشياء تستدعي مرورها واخرى تسيئها ، ومن مثل هذه المفاجآت الاختبارية الدائمة يتعلم ماذا يعمل لاكتساب رضا الشخص الآخر . وعلى اساس هذا الاختبار يستخلص لنفسه قاعدة عامة ويختار دستوراً يوافق جميع الناس . والآن وهو يعتقد ان الظواهر الطبيعية يسببها اشخاص فانه يتبع في معاملته روح الجبل او روح العاصفة مثلاً نفس الخطة التي يتبعها في معاملة الناس . ويجب ان يكون الاشخاص الذين يحدثون هذه الظواهر ويدبرون امرها مثل الاشخاص الذين عرفهم لذلك يتخذ انهماكاً خاصاً نحوهم ويستميلهم بالهدايا والقرابين ويسكن غضبهم او يكتسب رضاهم وورعاتهم بالناء عليهم والتضرع اليهم واقامة الصلاة لتمجيدهم

العناية بالصحة الشخصية

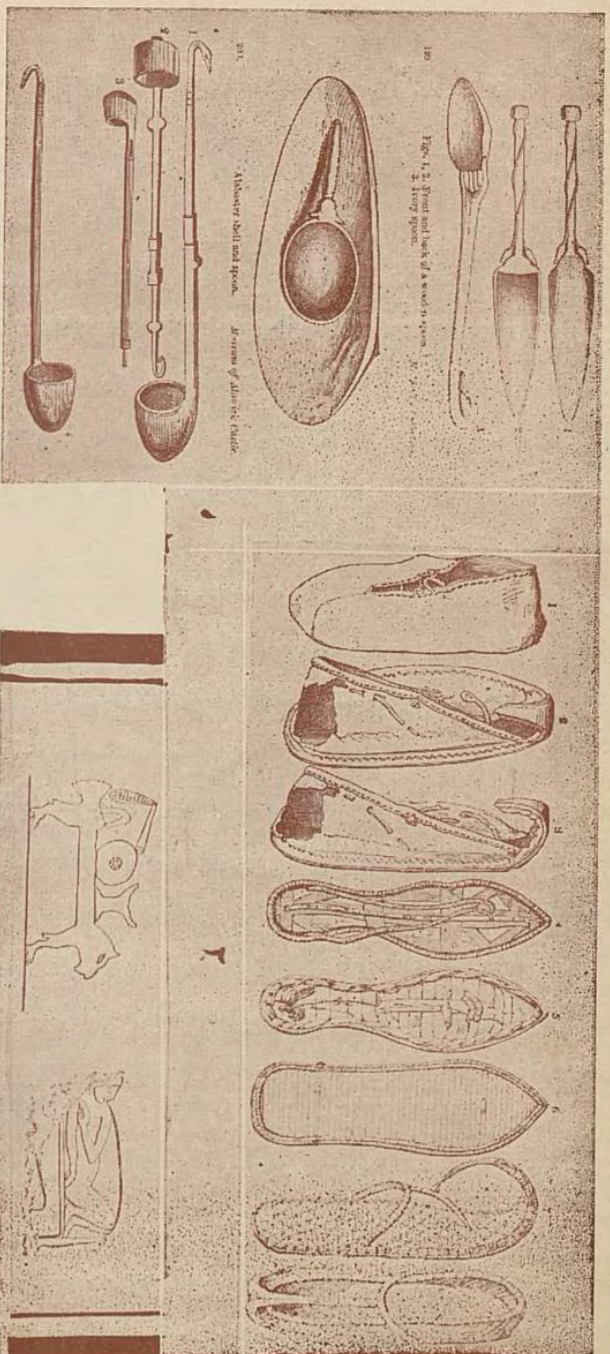
في العهد الفرعوني

للمركز نور حسن كمال

١ - مقدمة * كلنا نعرف ان العناية بصحة الفرد أصبحت الآن غير قاصرة على الفحص وقت المرض ووصف الدواء . بل تعددت وتنوعت وأصبحت تعرف الآن بالطب الوقائي . يضاف الى ذلك الوسائل الحديثة في التشخيص والعلاج . وقد تغلغل الطب الوقائي حتى شمل حالات الانسان الخاصة كالمأكل والمشرب والمسكن ونظافة الجسم والعناية بالجلوس والنوم واستنشاق الهواء النقي والاهتمام بالالعاب الرياضية وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر . وهذه الامور الشخصية لم تكن الى عهد قريب موضوع بحث فني ولا عناية طبية . لكن مكانتها اصبحت الآن حقيقة ثابتة لا تقل عن التطعيم ضد التيفودية او الدفتريا على سبيل المثال

٢ - وكلنا نعرف ايضاً ان المشرب والمأكل والملبس وكثيراً من العادات الشخصية هي وليدة التربة والطقس والوطن وذات صلة وثيقة بمدينة الشعب ورقية الفكرية واستقلاله السياسي . هذه كلها عوامل جدية في حياة الانسان المعاشية . وعليه نجد للقطر المصري ميزات خاصة منذ قديم الزمان . وهذه الميزات طبيعية واجتماعية . اما الطبيعية فلكثرة الخضراوات واللحوم وانتشار الزراعة والتعرض للشمس وغير ذلك نجد ان قدماء المصريين كانوا يرضون بما له صلة بهذه العوامل كالديدان المعوية والبلهارسيا والانكلستوما . واما العوامل الاجتماعية فنتيجة نشاط العنصر المصري وذكائه وقوة ابتكاره وشعوره بالسيادة . لذلك نجد اجدادنا شديدي العناية بكل ماله علاقة بمظاهر السيادة والتفوق مثل نظافة الجسم والمسكن ووسائل الراحة والنعيم والعناية بالملبس والصحة بل وحتى تجاعيد الوجه الدالة على الشيخوخة . وقد توسعوا في ذلك فشمولوا بعنايتهم حجرات النوم والدورات المائية والالعاب الرياضية وغيرها . وصحب كل ذلك تحسين وتفسيق وتهذيب على ممر الايام حتى بلغ القوم في العناية بأشخاصهم درجة حسدتهم عليها الممالك الاجنبية . وصار هذا المجهود نموذجاً يراعى في البلاد الراقية ايما مراعاة وله فيها حرمة التقديس لكن نكبات الدهر والغارات الاجنبية والاسراف في الترف اضعفت من نفوس المصريين - كما اضعفت من نفوس الرومان - فأنستهم فضل آبائهم واجدادهم وألهتهم عن النافع ووجهتهم نحو الفساد وذلك منذ الفتح الفارسي عام ٥٣٥ ق . م

ولما بدأنا حديثاً نبحث عن مدينتنا القديمة اتضح لنا ان كثيراً من العناية بصحة الفرد الحديثة انما يرجع الفضل فيه الى مجهود اجدادنا . وسيأتي ذلك مفصلاً ومدعماً بالصور الاثرية بوضوح



- ١ — ملائق ومغارف مصرية قديمة — ٢ — احذية ومبازل من العهد اليوناني في الغالب وبعضها اقدم من ذلك
- ٣ — (جين) مضجع للنوم من عهد المملكة الحديثة. (يسار) سرير نوم بمعداته : وسادة . مسند للرأس . (منقشة) لطر والباب

قال هيرودوتس (١١ - ٧٧) ان المصريين كانوا اكثر الناس اشتغالا بالأمور الذهبية . يشربون مسهلاً كل يوم ثلاثة ايام متوالية . ويعنون بمدارة صحتهم وحفظها بواسطة المقيّمات والمسجلات لانهم يعتقدون ويؤكدون ان كل الامراض تأتي من الاطعمة . واورد ديودورس الصقلي ما يؤيد هيرودوتس فيما ذهب اليه . والآثار المصرية والقراطيس البردية تحوي الكثير من المعلومات في هذا الموضوع

٢ - * العناية بالرأس * اهتم المصريون قديماً بحلق رؤوسهم رجالاً واطفالاً واحتفظوا لآخرين بمخصلة طويلة على احد الجانبين . وكان العمال والفلاحون يخرجون الى الحقول عراة الرؤوس . قال هيرودوتس وهذا هو السبب في صلابه جماجم المصريين وعدم انتشار الصلع بينهم . ولا يعنى هذا ان افراد الطبقة المذكورة لم يلبسوا لباساً لرؤوسهم مطابقاً فقد وردت رسوم كثيرة تظهرهم بهذا المظهر في ظروف خاصة . اما سراة القوم فامتازوا بلبس الشعور العارية في الاحتفالات وغيرها . وارسل النسوة شعورهن طويلاً ولم يحلقنها الا وقت الحزن . واخذ الرومان عن المصريين استعمال الشعر المستعار ولا يزال قضاء الانكليز يلبسونه في جلسات محاكمهم

واعتاد القوم ان يحلقوا لحاهم وشواربهم ولا يرسلونها الا وقت الاتراح . وجاء في التوراة ان سيدنا يوسف عليه السلام حاق رأسه لما استدعاه فرعون مصر من السجن . وكان هذا الحلق ضرورياً حتى انهم مقتوا كل مرسل لشعره . واذا ارادوا ان يحقروا شخصاً رسموه بلحية وشارب . ولما كان حب النكتة غريزياً في مصر لم يسلم ملوكهم منه . فرسج القوم ملكهم رمسيس السابع بقبره في طيبة ملوناً باللحية كأنها مرسله لمدة ثلاثة ايام . وورد على الآثار رسم لرمسيس الثاني في موقعه الحربية يمثل به بلحية مرسله قصد اثبات انها كاه في الحرب بدرجة أنسته حلق لحيته

وامتاز الكهنة بالنظافة المطلقة . فحلقوا اجسامهم كل ثلاثة ايام . واستحموا مرتين صباحاً ومرتين مساءً كل يوم . واتبع كثير من الاهالي هذه التعاليم . وجاء عن يوسف عليه السلام انه طلب من اخوته ان يحلقوا لحاهم وينظفوا اجسامهم وقت استحضار والدهم لمصر مراعاة لعادات المصريين واحتراماً لها . وحقر المصريون الاسيويين واليونانيين لارسالهم لحاهم . ورفضوا اكل حيوان ذبحه يوناني لهذا السبب . والحلاقة اولى خطوات التمدن . والحلاقون نسل الحضارة . ولا ادل على ذلك من علة الرومان الذين كانوا يحلقون لحاهم عند بلوغهم سن المراهقة ويقدمونها الى آلهتهم اثباتاً لرشدتهم . وعلى ذلك حلاقة الرأس بأكمله عادة مصرية قديمة . وهذا هو السر في ندورة امراض الشعر المتعددة عند كلقراع والاكريميا الجافة والسعفة (ringworm) . ويمتاز سراة القوم بلحاهم المستعارة ذات الاشكال المخصوصة . وكان افراد الطبقة الوسطى يتزينون بلحى مستعارة لا يزيد طولها على خمسة سنتيمترات ولحى الملوك المستعارة طويلة وذات زوايا مستقيمة . ولحى المعبودات ملتوية الطرف السفلي واعتاد النسوة ان يرسلن شعورهن وان يضفرنهن ضفائر رفيعة حتى لوحى الظهر . وان يرسلن

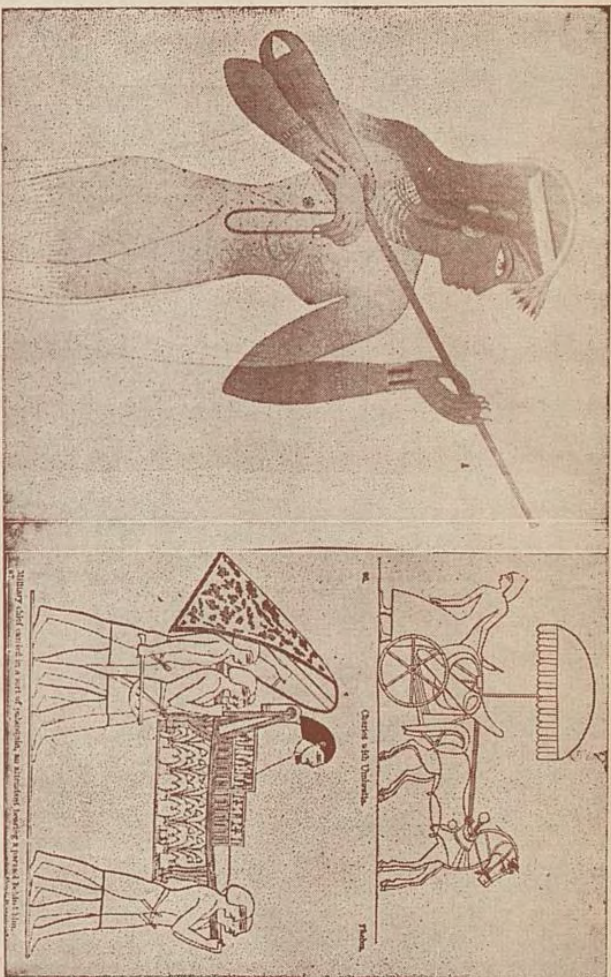
شعر جانبي الرأس المضفر بنفس الكيفية على صدورهن من الامام . وكل صغيرة عبارة عن مجموعات ثلاث كما هي العادة الآن . وتثبت حول الرأس شبكة خفيفة للحلية وحفظ الشعر محله . وتزين هذه الشبكة احياناً بزهرة اللوطس . وكثيراً ما كانت صفائر الرأس تثبت بامشاط او دبائيس كما هي العادة الآن . اما الامشاط فكانت ذات حدين احدهما غليظ الاسنان وثانيهما دقيقهما . ويبلغ طول المشط عشرة سنتيمترات تقريباً . وهناك امشاط بمحد واحد . والقصد من الاسنان الغليظة تسريح الشعر . اما الدقيقة فلتنظيفه من الحشرات ، والمشط من اهم ادوات العناية بصحة الفرد . وابتكاره راجع الى قدماء المصريين . وتستعمل الامشاط الآن في مقاومة التيفوس والحمى الراجعة

واهتم القوم باطالة شعر المرأة واستعملوا لذلك زيت الخروع (ايبرس وصفة رقم ٢٥١) . وكذلك عنوا بانبات الشعر بعد سقوطه كما هو واضح بقرطاس ايبرس (وصفة ٤٦٤ - ٤٧٦)

٣ — * العناية بالعينين * ليس هذا مقام الاشادة بفضل قدماء المصريين في تشخيص امراض العيون وابتكار العقاقير الهامة التي لا تزال مستعملة للآن في الرمد الحبيبي وغيره . لذلك سأقتصر هنا على ما كان الفرد يقوم به في سبيل تجميل عينيه . ويشاهد ذلك بوضوح عند السيدات . والمعروف انه كلما زادت الرغبة في اظهار جمال الشيء كانت العناية به في حالتي الصحة والمرض عظيمة

اعتاد المصريون منذ اقدم العصور ان يكحلوا اعينهم . واتى الرومان فأخذوا عنهم ذلك . والقصد من ذلك تجميل العينين باظهارها كبيرتين وذلك باضافة اطار اسود حولهما . واعتقد المصريون ان الكحل يحسن البصر . وهذا يفسر كثرة المسكاحل والمراد التي عثر عليها في المقابر المصرية وتعدد انواعها وتباين المواد المصنوعة منها كالخشب والخزف

وهناك نوعان من الكحل اخضر واسود . اما الاخضر ويعرف بالخضر الملحي Malachite (وهو المعروف كيميائياً باسم green ore of copper) احد املاح النحاس . واما الاسود فهو احد املاح الرصاص (يعرف باسم dark grey ore of lead او galena) والكحل الاخضر اقدم من الاول . ولكن استعيز منه تدريجاً بالاسود . واستعمل القوم كلهم جافاً او ممزوجاً بالماء وذلك بعد سحقه جيداً في كلتا الحالتين . ويرتد استعمال الكحل الاخضر الى اقدم الازمنة المعروفة حتى عهد الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ - ١٢٠٠ ق. م) . اما الكحل الاسود فبدأ استعماله منذ عهد الاسرة الاولى تقريباً ودام حتى العهد القبطي . وقد عثر على مقادير من الكحل بنوعيه مسحوقة وغير مسحوقة . ولم يعثر على الاثمد (antimony) الا في نموذج واحدة من الكحل القديم . اما الكحل الحديث فمصنوع من هباب البخور او قشر اللوز او من حرق القرطم ويستعمل ببل المرود بالماء ثم غمسه في مسحوق الكحل ثم وضع الكحل حول الاهداب . واقدم مراد عثر عليها يرجع تاريخها الى عهد الاسرة الحادية عشرة (٢١٠٠ - ٢٠٠٠ ق. م) . ويغلب ان القوم كانوا يكتحلون بأصابعهم قبل ذلك . وموطن الكحل الاخضر طور سيناء وصحراء العرب اما موطن الكحل



هازفة المود

رسم على جدار قبر في الاقصر
من عهد الملكة الحديثة

مظلتان من المظلات التي كان قدماء

المصريين يستعملونها والعلما منها
شبيهة بالمظلات الحديثة

الاسود فاقليم اسوان وشاطئ البحر الاحمر. وقد وردت وصفات عديدة في القراطيس الطبية خاصة بالعين كقطامة العدسة « ايرس ٣٧٨ — ٣٨٠ » واحتقان العين « ايرس ٣٩٠ » وتقوية البصر « ايرس ٤٠٧ و ٤١٤ » والشعرة « ايرس ٤٢٤ » وضيق الحدة « ايرس ٣٤٥ » والرمد الحبيبي « ايرس ٣٥٥ الخ » والرمد الصديدي « ايرس ٣٥٤ » وغير ذلك

٤ — ﴿ العناية بالاسنان ﴾ اهتم المصريون بازالة الالم وقت التسنين (ايرس ٧٤٨) وبتقوية اسنانهم (ايرس ٧٤٣ — ٧٤٤) وبتعطير رائحة افواههم بمضغ مزيج من الكندر والينسون والعسل وغيرها (ايرس ٨٥٣ ب) . ولم نهتد للآن الى استعمال السواك او الفرش لتنظافة الاسنان . لكن بالاحاطة الموميات القديمة امتازت بسلامة اسنانها على اختلاف اعمارها . وذلك لان صحة الاسنان نابعة لصحة الجسم فاذا كان الاخير سليماً كانت الاسنان سليمة ايضاً

٥ — ﴿ العناية بالوجه ﴾ عثر على كثير من ادوات الزينة (التواليت) بالمقابر المصرية من فارورات واوان توضع فيها المراهم والاحمال والقطرات . وعثر ايضاً على عدد وفير من المرايا والامشاط والصدانق الصغيرة والملاعق والاطباق الصغيرة . ومراهم القوم المستعملة للوجه والجسم كانت عطرية ولا يزال بعضها حافظاً لرائحته للآن . ووضع القوم مراهمهم في مواعين او اوان مرمرية او زجاجية او حاجية او عظمية او محارية او حجرية « ولكنسون ٢ — ٣٤٤ » . وحضر القوم عطورهم بشكل زبوت او مراهم ورد ذكرها بكثرة على الآثار وفي مصنفات اليونان والرومان (لوكاس مواد مصرية قديمة ٨٥) . والمعروف ان العطور الحديثة عبارة عن محلول كحولي متباين النسبة مذاب فيه العطر . وهذا الاخير يستخرج من الزهر او الفاكهة او الاخشاب او اوراق النبات او حبوب النبات اما عطور قدماء المصريين فتختلف كثيراً عن الحديثة لجهلهم بإمكان ذوبان العطر في الكحول ولطرق تقطير الكحول بالاساليب الحديثة . ويجدر بنا ان نذكر في هذا المقام ان اقدم ذكر للتقطير هو الذي اورده ارسطوطاليس (Meteorologica I 9, 11 II 3) وذلك في القرن الرابع بعد الميلاد واحسن مادة لحفظ العطر بعد الكحول هو الزيت او الشحم . ولا تزال هذه الطريقة مستعملة في استخراج عطر الازهار وذلك بنقع ورق الزهر في الزيت او الشحم المدة الكافية ثم اذابة ذلك في الكحول ثم تقطيره . اما قدماء المصريين فاقنعوا بنقع الازهار او ما شاكلها في زيت الزيتون او زيت اللوز وزيت الهليج او الزقوم (Balanitis agyptiaca) او الشحم الحيواني . وولع المصريون برائحة المر والينسون وصنعوا منها زيوتاً عطرية بكثرة كما رواه بلينيوس وثيوفراستوس

اما احمر الخدين فقد عثر على كثير من بقاياه على الواح بالمقابر وهو عبارة عن ملح حديدي يعرف باسم (haematite او red ochre او red oxide of iron) والغالب ان المصريين الون به خدودهم

وشفاهن (ارمان ص ٢١٦ رسم ١٠١)

وتتجسم المهمة في ازالة تجاعيد الوجه في العبارة الواردة بآخر قراطس ادوين سميت الجراحي

« ١٦٠٠ ق . م تقريباً » وتتلخص في غلي نبات يقال له همايت مراراً ثم دهن الوجه بالعجين الناجم من هذا الغليان ويقرب فعل هذا الدواء من « حسن يوسف » المستعمل الآن عند العامة لهذا الغرض ووردت عدة وصفات لملاسة جلد الوجه « ايبرس ٧١٧ - ٧٢٠ » وتحسين الجلد « ايبرس ٧١٥ » اما المرأة وهي التي تعكس لهم صورتهم الشخصية وتشجعهم على العناية بمظهرهم وصحتهم الخارجية فابتكار مصري قديم ككل شيء قديم مفيد . وكانت تصنع من النحاس المصقول بدقة وتعكس المرئيات بوضوح تام . وفي المتحف المصري امرأة قديمة يشاهد فيها الناظر تقاطيع وجهه جلياً . وكانت العادة في المرأة ان تكون مستديرة مثبتة في يد خشبية او معدنية

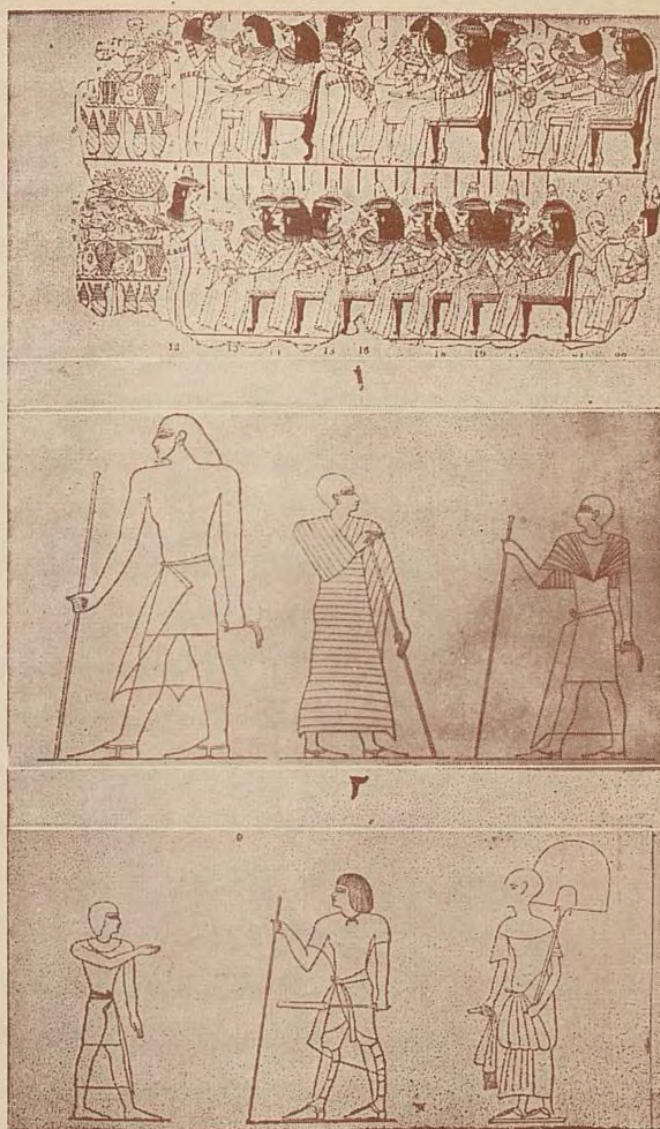
٦ - * العناية باليدين والقدمين * في مقبرة (سسا) بسقارة (٢٦٠٠ ق . م) رسوم تمثل احد الاطباء يعالج اليد اليمنى لمريض يظهر على وجهه أثر الألم ، ورسوم اخرى تمثل علاج القدمين . ويظن (كابر) ان هذه الرسوم تمثل تقليد الاطافر

اما « القفازات » فالمعروف انها كانت مستعملة منذ عهد الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ - ١٣٥٠ ق . م) كما انها كانت ضمن الجزية التي قدمتها آسيا لمصر في عهد الملك تحوتمس الثالث (١٥٠١ - ١٤٤٨ ق . م) . وعثر على كثير من القفازات الكتانية الطويلة المحلاة بخطوط زرقاوية . ومقبرة (توت عنخ امون) تحوي كثيراً من هذه القفازات وهي معروضة الآن بدار تحف القاهرة والقفازات ابتكار هام في الطب الوافي . ولو انها كانت تستعمل اولاً لتدفئة اليدين ووقايتها من البرد الا انها لما صنعت احياناً من المطاط وافادت كثيراً في عدم وصول جراثيم الامراض الى جروح العمليات من جهة والى يدي الجراح من جهة اخرى

اما « النعال » المصرية القديمة فعلى عدة اشكال . فنعال السيدات وافراد الطبقة الراقية كانت مجدولة ملتوية الطرف الامامي وتممل من سعف النخل او سيقان البردي او سبور الجلد وتكسى بعد ذلك بقماش مرسوم عليه أسير اجنبي (وليكنسون ص ٣٣١) . وعثر على كثير من الاحذية في طيبة والغالب انها من العصر اليوناني وهي مصنوعة من الجلد الاخضر

وكثيراً ما كان القوم يغسلون ايديهم قبل الطعام وارجلهم قبل الدخول في الولائم والافراح (وليكنسون : ص ٧٦) . وجاء في التوراة ان سيدنا يوسف عليه السلام امر خدمه ان يغسلوا أرجل اخوته قبل تناولهم الطعام . حيث ورد بسفر التكوين اصحاح ٢٤ ما تعريبه :

« وأدخل الرجل الرجل الى بيت يوسف وأعطاهم ماءً ليغسلوا أرجلهم » . واستعملوا لذلك الابريق والاطشاش كما يرى ذلك على الآثار . وأورد هيرودوتس ان امازيس وزأريه كانوا يغسلون اقدامهم في طشت من ذهب . ووردت على الآثار (ارمان ص ٢٣١ كتابه عن مصر) رسوم توضح أساليب غسل الملابس وعصرها وتجفيفها مما يضيق المقام عن سردها هنا وما دمننا الآن نتكلم عن العناية باليدين والقدمين جاز لنا هنا ان نذكر شيئاً عن استعمال الحناء



١ - ولية تبين المأكل والمشرب واستعمال الكرامى ومرور
الخدم والموائد ولبس السيدات وقص شعورهن ٢ - الرمان
الايمان والايمن والايمن يمثلان ثوبين غير اعتيادين من عهد الدولة الوسطى
والرسم الايسر يمثل الرداء المزدوج ٣ - ثلاثة نماذج الايمان من
عهد اخناتون والايمن من عهد امنحوتب الثالث ويشاهد فيهما
الرداء الخارجى اطول من الداخلى . والايمن يمثل اللباس في عهد

عند قدماء المصريين. فقد استعملها القوم كما تستعمل الآن وذلك بسحق أوراقها وتحويلها الى معجونٍ بإضافة الماء اليها ووضع هذا المعجون على راحتي اليدين واطمخ القدمين والاطافر والشعر. واخذ الرومان عن المصريين طريقة صبغ الشعر بالحناء. وعثر الاستاذ البيوت سميت على شعر موميا (حنتاوي) (اسرة ١٨ - ١٥٥٥ - ١٣٥٠ ق. م) مخضبة بالحناء على الأرجح. واثبت نافييل ان اطافر بدي موميا من عهد الاسرة الحادية عشرة (٢١٠٠ - ٢٠٠٠ ق. م) كانت مصبوغة بالحناء ايضا. وعثر (نيوبري) على افرع الحناء في مقبرة هواة من عهد البطالسة

٧ - الختان ✽ وردت عمالية الختان مرسومة على مقبرة بسقارة (٢٦٠٠ ق. م) مما يشير الى ان المصريين كانوا لا يختننون الا قبل الزواج بزمن قليل. والجثث المصرية القديمة يكثر فيها الختان وهكذا يكون اجدادنا قد سبقونا في اتخاذ الوسائل الجراحية الفعالة للتوقاية من الزهري والسرطان

٨ - الملابس ✽ للملبس شأن كبير في صحة الجسم لانها تدفئ الجسم وتحفظ حرارة الجلد بقدر الامكان عند حدها الطبيعي وتمتص العرق. وهي تصنع الآن من الكتان والقطن والحرير والصوف. ومعظم الاقمشة المصرية القديمة التي عثر عليها هي الخاصة بالموتى ولما كان الكتان شبه مقدس عندهم كانت معظم تلك الاقمشة من الكتان. والكتان المصري القديم من النوع المعروف باسم *Linum usitatissimum* ويرجع تاريخه الى عهد البداري. اما الصوف فانه بالرغم عن قلة ما عثر عليه من منسوجاته فان سرة القوم صنعوا بعض ملابسهم منه. واما القطن فاقدم ذكر ورد عنه هو عن (پلينيوس) - القرن الاول بعد الميلاد - واما الحرير فصناعته بدأت في الصين ومنها انتشرت الى الفرس ثم الى سواحل البحر الابيض المتوسط. هذا باختصار تاريخ هذه المواد الاربعة

أما تحويل الملبس فموضوع مشوق كل التشويق لانه ولد وترعرع في مصر. ففي عهد المملكة القديمة (٣٢٠٠ - ٢٢٧٠ ق. م.) كان اللباس قصيرا ساترا للعورة بادئا من الخاصرة ومنتهيا عند الركبة. وحوالي عام ٢٠٠٠ ق. م. ظهر ردائ آخر فوق المذكور واصل الى منتصف الساق. وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد وبعده زاد حجم الملبس حتى كسى الصدر والساقين. وملابس الملوك كانت تمتاز عن ملابس الامراء. وهؤلاء كانوا يلبسون زيا مخالفا لزي الفلاحين. ولما كان الصغار كثيري التشبه بالكبار في الزي اضطر هؤلاء الاخرون أن يغيروا ملابسهم محافظة على مكانتهم الاجتماعية كما لاحظوا أن زيهم أصبح دارجا. وهذا هو سرّ تغيير الازياء « المودة »

لكن هناك احوال أخرى تحتم على الشخص تغيير ملبسه ككبر السن وما يتطلبه من التدفئة واتقاء تقلبات الجو. كذلك مقابلات الملوك كانت دائما تتطلب هنداما خاصا

لذلك نجد أن المصري بعد ما كان قدما يستر نفسه بفراء الحيوانات كالغهود أخذ يلبس منطقة حول الخاصرة مثبت فيها من الامام كيس يستر بها عورته. وفي ذاك الوقت كانت النسوة يسترن أجسامهم بملاءة. بعد ذلك ظهر اللباس القصير المنقوش على الآثار والذي يظن أنه كان مصنوعا من

القصبة أو الياف النخيل لأنه يحوي خطوطاً رأسية . ولما تعلم المصري صناعة الكتان ظهر الرداء على الآثار أبيض اللون أملس ومثبتاً حول الخاصرة بحزام . وفي عهد الازهرام زاد هذا الرداء طولاً . وحوالي ٢٦٢٥ ق . م . زاد القوم على هذا الرداء بعض الحلية . وحوالي ٢٠٠٠ ق . م . صنعوا حزاماً لتثبيت انثياب حول الخاصرة انيق الشكل ينتهي مقدماً بانشودة . ولما تفنن القوم في صناعة المهمل من الكتان لبسوا ثوباً آخراً تحته لستر العورة . اما الطاعنون في السن فكانوا يرتدون ثوباً كاسياً لجميع الجسم تقريباً . ومنذ سنة ١٥٥٥ ق . م انتشر بين القوم لباس الاثواب القصيرة الواسعة المثبتة في الخاصرة . واصبح للذراعين كامل الحرية في الحركة لان الجزء العلوي المضاف الى الجزء القديم لا يحيط بالعضدين بل يكسوها حتى وسطهما . وهذه هي الخطوة الاولى في ابتكار الاكمام . اما الجزء السفلي فحافظ على جزئيه بدون تغيير من حيث احتوائه على جزئين داخلي وخارجي . لكن يلاحظ ان الرداء الخارجي اخذ يقصر تدريجاً من الامام ويزداد طولاً من الخلف وفي سنة ١٣٨٠ « عهد اخناتون » ازداد الازار الداخلي طولاً وسعةً واما الزي الخارجي فثني الى اعلا وثبت طرفه في الخاصرة فظهر بشكل منتفخ . والازار الداخلي كان مجمداً بهيئة ثيابا صغيرة « تعرف الآن باللفظ الفرنسي (بليسه) . ويلاحظ ان طرفا الحزام ينحدران اماماً الى اسفل السرة . وبعد زوال اخناتون ودولته بطل زي عصره وصنع القوم لباسهم الخارجي أملاًساً وزادوه طولاً عن قبل . هذا من حيث زي الرجال . اما لباس السيدات فيتكوّن من رداء واسع او قميص واصل الى الكعبين له كمان واسعان اوضيعة ان ملتصقان بالجلد . وهذا الرداء مثبت حول العنق برباط . وكنّ يلبسن فوق ذلك رداءً آخر قصيراً مثبتاً في الوسط بحزام

اما نساء الطبقة الراقية فكانّ يرتدين قميصاً مثبتاً بحزام ملوّن او بشرطين على الكتفين وفوق هذا القميص كنّ يرتدين جلباباً مهمللاً من الكتان بأكمام طويلة ومربوطاً اماماً اسفل النهدين . وفي بعض الحفلات كانت النسوة يخرجن اذرعهنّ اليمنى من اكمامهنّ ويتركنها عارية كما يشاهد ذلك في الرسم الوارد في عازفة العود . واما الاطفال فاعتاد القوم ان يلقوهم في ملاءات ومحمولهم على ظهور امهاتهم او فوق صدورهنّ واعتادوا ايضاً استعمال التمام لهم وذلك من ذهب او حجر بهيئة علامة العدالة او الميزان قصد جلب الفضيلة والذكاء وابعاد العين الخبيثة او نكد الطالع كما يشاهد الآن بين طامتنا من ذلك يتضح ان الزي المصري القديم تتوفر فيه كثير من الشروط الصحية كعدم الضيق والخفة وموافقته لمناخ القطر . وابتكر القوم طريقة عمل تمثال لنصف الجسم العلوي « كال معروف الآن باسم مانوكان » صنعوا عليه الملابس كالذي عثر عليه بمقبرة توت عنخ امون . بهذه الطريقة كانت الملابس تقطع وتحاط وترسل لصاحبها جاهزة مطابقة لجسمه من حيث الطول والعرض وخلافه مما يزيد في مظهر الشكل رونقاً وجمالاً « البقية في باب الاخبار العلمية »

تحديد الادب

بقلم حليم متري

يستطيع هذا الجيل الصاخب بشقى الظواهر أن يلهم الاديب من المعاني والصور ومن الأفكار والآراء ما يؤهله لدرس معضلات الحياة. ويستطيع هذا الجيل أن يلهم الاديب من التعابير المستحدثة والخيالة الرائعة ما ينتج به ، أدباً خالصاً ممتازاً ، يستطيع هذا الجيل أن يلهم الاديب هذا ويستطيع أن يلهمه أكثر من هذا ككل عهد من العهود أو جيل من الاجيال في تاريخ الحياة الانسانية . فقد لا يحسب الادب قوة نافذة اذا لم يطرق هذا الكون بحثاً ودرسا . وليست الحياة قاصرة على العلم بحقائق الاشياء بل ليست الحياة متجهة دائماً الى النظر الفلسفي أو متجهة دائماً الى الهدف العلمي . فالحياة العقلية في الانسان بدأت بالدين وستنتهي حتماً بالعلم . وأقول ستنتهي بالعلم لأن العلم بعيد الغور لا يستطيع عالم في أي فرع من فروعه أو قسم من أقسامه ان يحدده ولا يستطيع ان يدل على نهايته . بل لقد استأثر العلم بكثير من الحقائق او ما يشبه الحقائق فلم يخرجها عن كونها « ظواهر اجتماعية » كغيرها من الظواهر العامة في الوجود . أليس يرى العلم في الفن أنه ظاهرة من ظواهر التاريخ ؟

ثم أليس يرى العلم في الدين أنه ظاهرة من ظواهر الاجتماع كاللغة يبحثها على الضوء الارضي الذي يبحث عليه نشوء الجماعة نفسها. ويعمل ذلك بأن الدين وما يشبه الدين واللغة وما يشبه اللغة إنما دراجودهما كما دبرت الجماعة نفسها وجودها في الحياة واذن فالعلم هو التحليل والتطور عماده البحث والاستقصاء بل ان وظيفة العلم التي يسعى لاثباتها وصف الظواهر وتحليلها الى عناصرها الاولى . فالحياة العقلية اذن لا تستطيع ان تنتهي الى العلم الا اذا مرت في مرحلة تطورها بالأدب والفلسفة . ولعل اتصال الادب بالفلسفة مما جعل له مكانة خاصة في تراث الثقافة العالمية . بل لعل اتصال الادب بالفلسفة مما جعل للحياة العقلية هذا الانتاج الفكري القوي الذي ينمو بتطور الحياة نفسها ويسمو بما فيه من حيوية

أما الادب فهو الانتاج الفكري في قالب المنطق والخيال . وان كان التعبير عنه باللفظ المختار واعتماده على المادة والروح — انصح هذا التعبير . ولا ينبغي للاديب أن ينحو نحواً خيالياً عامساً فيكون تعبيره حسيّاً فرديّاً أو ينحو نحو المنطق فيكون تعبيره علمياً تركيبياً نائياً عن الروح الادبي . فطبيعة الادب اذن ان يمزج مزجاً دقيقاً ليجمع بين هاتين الناحيتين وهذا المزج هو التصوير

الحقيقي للادب بل هكذا يجب أن ننشئ الادب ونترواه . فنشوء الادب كنشوء أي كائن حي يتخذ حياته من طبيعته الاولى التي تحوي التراكيب والمعاني . فالتراكيب تهيم برسمه وقيمة وجوده المادي . والمعاني تهيم للعقل ما يتضمنه من تعيين عبارة أو وصف خاطرة أو التبيان عن طائفة . والادب اذن يستمد عنصريه من اللغة ومن العقل فاللغة لها نشوؤها الخاص ولسنا بصدد بحثه فرجع هذا الى «علم اللغات» والعقل له مناحيه واستنتاجاته ومظاهر تفكيره العامة

والادب فن من فنون الجمال . غايته تصوير ما في النفس الانسانية من معان وأوضاع وما في الاجتماع من أساليب ونظم . وما في الوجود من آثار قيمة لها مكانتها . وما في الحياة بوجه عام من اخلاق وطبائع ومن أسباب ونتائج . على أن الادب في العصر الحديث يشمل مناحي جديدة في الدراسات النفسية العميقة فيعرضها على أنها طائفة شائعة من البحوث الخالدة التي تستحق التسجيل والتي يجب ان يعرض لها بكل ما فيه من أداة للبحث . . . وفي هذا الجو نشأت الدراما والقصة التحليلية وأشباهها من الآثار الممتعة . والادب لكي ينتهي الى هذا كله يتخذ العلم والفلسفة سبيلاً لتوضيح هذه الموضوعات . بل يتخذ أدواته الطبيعية لايداعها في أجزل اسلوب وأقوى معنى . وليس الادب حديثاً للفظ منمق أو عبارة موشاة انما الادب أسمى من أن يقصر على هذه الألفاظ الجوفاء التي اُسم بها كتاب العصر الماضي عند ما كانت «المقامة» وأشباه المقامة والهجاء والمديح في الشعر تطمو على هذا الفن الرائع . وحياة الادب في استيعاب شؤون الحياة نفسها فليس بدعاً ان يعرض الادب للاجتماع أو الاقتصاد أو التاريخ كما تحتكم للعلم أو كما تحتكم للفلسفة . فالادب مرآة الجيل اي الظواهر الحية بوجه عام . ولسنا بصدد حالات معينة أو طائفة من الآراء خاصة تدع الادب وقفاً على بحث دون آخر . واذا كان العلم لم يدع شيئاً مادياً أو روحياً الاً وتناوله بحثاً واستقصاءً ، فأحرى بالادب أن يصور المثل الأعلى لاتساع الامد العقلي وسبر غور الحقائق المعنوية في اطراء المعضلات الاجتماعية اذ انه من تحصيل الحاصل ان ينتهي الادب الى تقدير الالفاظ ودلالاتها على المعاني . او المشتقات اللغوية فليس هذا موضوع الأدب . وليس هذا مجال البحث القائم على الاسلوب العلمي . ولكي نقدر هذا ينبغي ان نعلم ان هناك طبقة من رجال الادب تنتصر للاساليب القديمة التي محورها البهرجة والزينة . والتي تنفرد بالمديح حيناً وبالهجاء حيناً او تفهم من الأدب انه أداة للكسب . ولعل هؤلاء يصورون احوال الناس وطرائقهم في الحياة كما تحكم المادة وحدها . وشر الأدب ما استعمل في تصوير وجهة خاطئة في لباس من الصدق وان كان في هيكل من هياكل البيان الرائق الجذاب . بل شر الأدب ما استعمل في الحياة لا كساب الشر معنى الخير وهو عنه ناع . ولعل في تاريخ الشعراء والكتّاب في عصور الادب المتباينة ما يقرر هذه النظرية . ولعل في تاريخ الشعراء والكتّاب ما يعبر بأجلى بيان عن ابتذال الادب اذا ما استخدموه في مبادل عهودهم وجعلوه

سبيل حديثهم وعلاقاتهم بالخلفاء والامراء واصحاب السلطة ... ان العصور التي ساد فيها هذا الأدب لاوجه فيها بتاتاً لهضة ادبية جديدة بالتقدير . فليس تحقير النفوس والاعمال في غير صدق بأدب وان بلغ فيه الاسلوب حد الاعجاز . وليست الرفعة للكاذبة بمجدية خيراً على الحياة والواقع ، وان صورت باطيايف الطبيعة وكان الفن فيها حقيقة ملموسة . فادب المديح او الهجاء له أسلوب خاص فيه كثير من الإثم والمبالغة

بين التقليد والخيال

يجب ان نعلم ان هناك طبقة من الادباء تمجد هذا الروح القديم الذي سيطر على الحياة الادبية في العهدين الجاهلي والاسلامي . وقد انفرد هذا الروح بنزعة اللفظ المبهرج في مختلف المناسبات الادبية لغونه الرسائل الخاصة والعامة والاحاديث والخطب والمديح والهجاء في الشعر والنثر والتفاسير والسير والتاريخ بوجه عام . فالكتابة بأسلوب معين متشابه في كل مناسبة تثبت معنى التقليد وتحصر فيه ميزتها ولعل التقليد في الادب العربي يلمس لمساً شديداً في هذه الفصول التي كان يكلف الأدباء واشباه الأدباء وضعها في سبيل الامراء والخلفاء من اصحاب القوة والسياسة فكان الأدب التقليدي ادب فئة خاصة لا تظفر فيه بعواطف العامة ولا تلمس فيه الروح الانساني الشعبي بل . نستطيع ان نجد فيه هذه الالقاب ومظاهر الثراء واخبار المجالس التي يكثر فيها السمر والشراب والتي اقتصرت عليها حياة بعض الخلفاء والامراء والتوابع والخدم . ولعل هذا تلمسه في كثير من ادب الشعراء وأخبار الادباء . هذا الادب الذي ساد في العصر الوسيط . على ان العامة كان لها كلف شديد استطلاع القصص التي كانت تتلى عن الابطال والعظماء . وكان لها ولع خاص بهذه الموضوعات التي تصور حياة الناس وقائع الملوك والقادة . وكان الكتاب الشعبيون يشيرون بهذا شعوراً قوياً . فبدأوا بوضع الاقاصيص الخيالية التي لا تنطبق في كثير او قليل على الواقع والتي لا تنخرج عن حد المبالغة في تصوير الوقائع والحوادث . وجد الكتاب والشعراء اذن في هذا انصرافاً عن هذا الادب الخاص الذي لا يعدو اصحاب السياسة وينحصر في مرضاتهم

على أن هذا اللون من الأدب الخيالي كان نتيجة لازمة لعهد الأدب التقليدي وان كنا نرى في الأدبين التقليدي والخيالي صوراً مشوّهة فيها كثير من التجني والتحريف عن الادب الواقعي . والتي لا يلمس في اشباه « الف ليلة وليلة » هذا اللون الظاهر للادب الخيالي . فالف ليلة وليلة من المصادر الدالة على النزعة الخيالية في الأدب . على ان هذا اللون الخيالي لم يترك غرضاً الا وعالجه في لفظ مصطفي ودقة إداء وبلاغة تعبير

ولقد اعتمد الادب الاوربي على هذه النزعة الخيالية العربية التي اكسبته لوناً جديداً من الوان التأليف والتي كانت محط العواطف الانسانية الشعبية ترى فيه راحة وإقبالاً لمناحي غرائزها وتذكيرها

ولقد نشأ الادب «الرومانتيكي» على انقاض الحياة العربية . وانك لتلمس فيه روح الادب العربي في المعاني والآراء والنتاج .. ويعيبك التحليل والبحث اذا أرجعته الى الادب اللاتيني .. لانه لا ينتمي اليه بحال

النزعة الانفرادية والادب القومي

الادب نوعان خاص وعام . فالادب الخاص ما يصور حياة جماعة او امة . والادب العام ما يصور حياة جيل ملخصاً في مجموع طائفة من الامم والشعوب . والادب العام هو الادب الذي يحدد التفكير الانساني والعقلية الاجتماعية في شتى مظاهرها . فالادب العربي له نزعة الخاصة في العصر الاموي وله نزعة اخرى تغايرها المغايرة كلها في العصر العباسي على ما بين العصرين من مواضع للشبه ومناخ للتمثيل . ولقد زخر الادب بلونيه الانشائي والوصفي في هذا العهد العباسي العظيم كما اتيج لهذين اللونين ان يظهر اظهراً ووضوحاً ايضاً في غضون الحياة العربية بالاندلس . فكان للادب من منشور الكلام ومنظومه روح خاص وطابع متماز في املاء الخواطر النفسية والمشاعر الاجتماعية . فكان الطابع الانساني لحياة هذه الطائفة الخاصة من الناس سبيلاً لإنشاء الشاعر وسبيلاً لخلق الادب العصري المصور للحياة «الارستقراطية» التي سادت جو الامراء والخلفاء . كما تناول الادب الوصفي حياة هذا الادب الانشائي تناولاً عاماً يحل ما فيه من قوة وضعف ومن خيال وحقيقة . وبخلق هذا الادب الوصفي سادت الحياة الاجتماعية ظاهرة النقد في مناحيها المختلفة . ولقد نشأ الادب العام بنشوء العقلية الشرقية متمثلة في الجنسيتين السامي والآري . ولعلك تجد هذا واضحاً في ادب القدماء المصريين . فهذه الناحية من حياتهم العقلية تجدها في قصص البردي والاقاصيص الدينية التي اخذت تنمو في عصورهم الذهبية وقد تزعمها الكهان والملوك والزعماء . والادب الآري له نزعة خاصة من وجهة الخيال وفيه اثر الروح الشاعرة التي لا تحي في جو التفكير المادي . والادب الآري يحوي فيما يحوي الادبين الهندي والفارسي والادب الهندي ادب الحكمة العالية والفلسفات الدينية والتصوف وله في الجوهر منزلة خاصة عند مؤرخي الآداب العامة . والادب الفارسي له تاريخ عظيم في سجل الآداب الشرقية وبه طائفة من صفوة الكتاب والشعراء المنتجين ويكفي ان نذكر على سبيل المثل منهم الشاعر العظيم الفردوسي صاحب الشاهنامه

والادب الذي يعبر عن رأي خاص لكاتب من الكتاب او جماعة من الجماعات هو الذي يدعو الى النزعة الانفرادية وأما الادب القومي فهو ادب خاص بأمة لا يستطيع ان ترده الى غيرها . فالادب العربي أدب قومي لا يستطيع ان ترده بحال من الاحوال الى الاغريق او اليونان وانما الادب الانجليزي ليس ادباً قومياً في نشأته لانه يرد الى الادبين اللاتيني واليوناني . على ان الأدب العالمي بصفة عامة ما مما الى المثل العليا الجديرة بالتسجيل والخلود . والمثل الاعلى في الادب يمثل النظرة الفنية له . فقد

تكون هذه النظرة خاصة بالحقيقة او بالجمال او بالدين أو بالطبيعة . نعم النظرة الفنية لا النظرة العلمية او النظرة الطبيعية او النظرة الفلسفية . فالنظرة الفنية نظرة المزاج ونظرة النفس وطبيعة الخلق واكتمال الثقافة . واما ما عداها فنظرات فيها هذا اللون من الادراك العقلي الخاص بالنفس وكنه الاشياء او هذه الفلسفة التركيبية التي عبر عنها بادراك الحكيم الاجتماعي العالمي « سبنسر » على ان نظرة الاديب في الحياة تحدد ادبه او تحدد عقليته الاجتماعية في الحياة والوجود وهذا ما يعبر عنه بمواهب الاديب وطابع أدبه أو ما ندعوه « رسالة الأديب » . فإسبن كانت له رسالة في حياته وان عرف عنه طابع « الهوسية » وشو يماثله من الوجهة الاجتماعية في هذا العصر ووزل له رسالة « العالمية » « وأتوفارنجر » له رسالة « الجنسية والنوع »

وطالبة الادب تكون عظمة الأنتاج العقلي لأمة أو أم ولشعب أو شعوب على ان الأدب الذي يمثل العالمية من بحر التاريخ هو الأدب الاغريقي الذي يدعو الى كثير من التأمل والدرس والذي يصور في مجموعته أرقى نزعات الآداب واقواها . فالى اليوم يُعد غذاء طائفة كبيرة من اعلام الكتاب وأتمتهم . بل ان طابع القوة لأدب هذا العصر يستقي خصائصه ومميزاته من عناصر الأدب الاغريقي

حرية الادب

هي روح البحث العلمي الذي يجعل من الادب فنا قائماً بنفسه فيه عناصر الاستقلال يتحدث عن الشعور والحس بل هذه الحرية ما ينبغي ان نتناول فيها الأدب كما نتناول ظواهر الحياة كلها نتناوله كما نتناول فنون الجمال وكما يتناول العالم الرياضي أو الطبيعي الموضوعات العلمية بالبحث والتحليل . يجب ان نخضع الأدب للحياة لا أن نخضع الحياة للأدب . فالجوهر ان تترك هذا المعتقد البالي الذي صور الأدب في هيكل القداسة والالوهية . والذي لم يجرؤ اصحاب الأدب القديم ان يبحثوه على أنه شيء يستحق البحث . ان هذه الحرية تتيح للأديب حظاً وافراً من قوة البحث بل ان هذه الحرية التي تسود جو الأدب هي الفضيلة العلمية التي يستطيع الأدب ان يفخر بها والتي تُعد دُرّة الفكر في جبين الثقافة الحديثة

بين الادب والدين

الحياة كفكرة . والحياة كذهب من المذاهب . والحياة كما افهمها انا لا كما تفهمها انت . والحياة كحوار متصل بين اصحاب الأدب واصحاب العلم أو بين اصحاب الأدب واصحاب الدين جعلت العقول تتحفز للوصول الى معنى فيه شيء من الاستقرار وفيه شيء من الاقتناع . على ان الأدب الذي حاصر الدين من يوم بعثه كان ولم يزل عنصرأ لازماً لنشره وكان ولم يزل سبباً لهذا

الضرام المستعر الذي يقوم بين اصحاب الأدب والفكر الحر وبين اصحاب الدين . فشاعر المعرفة لا تستقيم آراؤه واصحاب الدين وقد كان الغزالي متهماً بالاحاد وان مات وهو حجة الاسلام وقد يكون هذا سببه تعريض اصحاب الأدب برسالة العقيدة أو المذهب الديني ولقد كانت كتابات روسو وفولتير ورينان نقداً عنيفاً للمذاهب والمعتقدات بل أن « جسيم دانتى » أروع صورة من صور الأدب المناهض للدين . . مصدر هذا كله هذه الثورة التي طالما خبا أوارها في صدور الابداء المفكرين الذين يجعلون من اقلامهم سبيلاً لبعث الأدب الحي الذي يعبر عن مكنونات النفس الروحية وكان الابداء في اوربا في خفية هذا الصراع يسرون على غمط زعيمهم الأ كبر « ديكرت » عندما نشر كتابه « عن الاسلوب » واصبح من حق المفكرين ان يقيموا الحجج أمام اصحاب الدين ممن استولوا على سلطة العلم والفن والثقافة في وقت واحد . وقد ظفر الأدب حقاً يوم اتيح للدولة ان تنفصل عن الكنيسة

بين الادب والسياسة

العلاقة بين السياسة والأدب قائمة على ممر العصور . لا سبيل الى قطعها . فقد تطفئ السياسة على الادب كما تطفئ على العلم أو الفلسفة . فالتاريخ يحدثنا عن هذا كله والتاريخ يحدثنا مثلاً عن فوز الأدب في فترات الجمود السياسي . والتاريخ يحدثنا ايضاً عن ازدهار الأدب في ايان النهضة السياسية . نعم قد تدعو السياسة الى نهوض الأدب أو الى اهماله وقد تكون السياسة باعثاً قوياً على نشاطه وذنبه . ولكن الادب في الحالين لا يكون صالحاً للتعبير عن المثل الأعلى الذي من اجله وجد . فالأدب قد يقرر هذه الحالات كلها وقد يعرض لها في شيء من التحليل والتفصيل على ان هذه الحالات استحققت التسجيل والتقرير فهي صورة من صور الوصف المحدود بالزمان والمكان أو هي صورة نقدية لعصر من العصور ادعى للأثبات . وان كان الفن فيها مفقوداً أو شبيهاً بالمفقود

نعم قد تعتور الأدب فترات ركود أو خمود ويكون سببها هذه المحن السياسية وهذه الدوافع الخفية التي تحوط الجو الأدبي . ولكن الثورات السياسية التي تعرض للحياة الاجتماعية كثيراً ما تنهض بالأدب فيبرز في حلته الرائعة ومظهره الاعلى . وقد نرى ابلغ دليل نهضة الأدب الفرنسي الثائر عقب نهوض الثورة الفرنسية الكبرى متمشياً مع نهوض الاجتماعي الفكري في كل مظاهره وكذلك نهضة الأدب الانجليزي في اواسط القرن التاسع عشر في اعقاب عهد « اليصابات » وبزوغ فجره في العصر الفكتوري المجيد

المعادن والتبغات الدولية

مكانتها في الصناعة

وصلتها بالحرب والسلام

يعتمد الانسان كل الاعتماد على الوسط الذي يعيش فيه . ولكن هذا الوسط قد بلغ من التعقيد في هذا العصر بحيث يتعرض الانسان لنسيان العوامل الطبيعية والحيوية التي لا ندحة عنها حياته . فارتقاؤه الاجتماعي الى المرتبة التي بلغها الآن ، قد استغرق نحو مائتي الف سنة ، كان همه الاكبر في خلالها ، حاجته الى الطعام ، والى وسط مؤات يعيش فيه ، ورغبته في انجاب الاولاد . ولا تزال هذه البواعث بوجه عام همه الاكبر الآن . الا ان التقدم الاجتماعي في القرون الحديثة ، وخبرة اسلافه المتجمعة ، وسعت نطاق الوسط الاجتماعي ، وجعلته شديد التعقيد ، فأصبح يشتمل في ما يشتمل عليه على جميع الوسائل اللازمة لصحته الخاصة وصحة جماعته والاساليب التي لا ندحة عنها لرفاهته وسعادته

حياة ملايين من الناس في هذا العصر ، لاتعتمد على انتزاع المواد اللازمة للحياة من صدر الطبيعة بالسعي الفردي ، بقدر ما تعتمد على نظام اجتماعي ، يمكن الجماعة من جمع المواد الخام وتحويلها بالصناعة الى عروض وبضائع نراها اليوم اشد ما نكون حاجة اليها ، بل لا غنى لنا عنها . ففي هذا العصر ، الذي انتظمت فيه الصناعة على اساس واسع النطاق ، وساء فيه التوزيع . نبيل الانسان الى ان ينسى ان المواد الخام من حيث توزيعها الجغرافي ، وجودتها ، ومقاديرها ، مسيطرة على حضارتنا الحديثة

ويمكن ان تقسم مصادر الثروة الطبيعية الى قسمين عامين احدهما زراعي ، والثاني معدني ، وقد ازداد مقام المواد المعدنية في ارتقاء الانسان الاجتماعي ، ازدياداً مطرداً حتى بلغ ذروته في هذا العصر الذي اطلق عليه بعض الكتّاب اسم « العصر الآلي » او « العصر الميكانيكي » ولا يحتاج الكاتب الى اقامة الدليل على انه لولا الفلزات ، لما كان في المصانع آلات ومحركات ، ولا في الاسواق ما تنتجُه المعامل من العروض . ومن خواص الفلزات *metals* انها تستخلص جميعاً من معادن *Minerals* . والمعادن التي لها قيمة اقتصادية مركزة في الغالب في اُتربة وصخور تعرف باسم تبر او ركاز *Ore* . فاذا نفد التبر تعذر على الانسان ان يصنعه . فالمعادن ، تختلف عن مواد الغذاء واللباس ، في انها مما لا يمكنه صنعه ، كما نصنع الحرير الصناعي بدلاً من الحرير الطبيعي .

ثم ان الوقود المعدني عبارة عن طاقة مخزونة تألفت عوامل طبيعية خلال ملايين من السنين على خلقها وفي وسع الانسان ان يستهلكها ولكنه عاجز عن صنعها . فنفاذ مصادر الثروة المعدنية ، مرهون بما يكشف منها، مما لم يكشف حتى الآن . وبمعدل استهلاكها . ومما لا ريب فيه ان الانسان لم يكشف حتى الآن جميع مصادر الثروة المعدنية . وقد ارتقت في العهد الاخير الاساليب العلمية في البحث عن المعادن المطمورة في احشاء الارض والاعتماد عليها زاد ما يعرف عن انواع الوقود والمعادن المخزونة الا ان موضوع المصادر المعدنية كالفحم والنفط والمعادن الفلزية من ناحية توزيعها الجغرافي اهم جداً من الوجهة الدولية من موضوع نفاذها وتعيين ميعاده

فاذا صرفنا النظر عن الفلزات الثمينة اي البلاتين والذهب والفضة ، وجدنا اثني عشر فلزاً مهماً توجد في مركبات معدنية معقدة . ففي بيان احصائي لحكومة الولايات المتحدة الاميركية هناك ٢٨ معدناً تبلغ قيمتها سبعون في المائة من جميع المواد الخام المعدنية التي تتداولها التجارة . ويدل البحث الجغرافي الاقتصادي ، ان الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية تسيطران على ثلثي مصادر المعادن التي لا ندحة عنها للصناعة في هذا العصر . وبكامة واحدة ان الشعوب الناطقة باللغة الانكليزية قد فازت تدريجاً وبوسائل مختلفة بالسيطرة كل السيطرة او بعضها على الجانب الاكبر من ثروة الارض المعدنية . واهم هذه المعادن الاساسية في الصناعة هي الحديد والنحاس والالومنيوم والرصاص والخارصيني (الزنك) والقصدير والنيكل وتلبيها المعادن اللازمة للاختلاط المعدنية اي التي تستعمل لتقسية المعادن الاساسية وهي الانتيوم والكروم والمنغنيس والتنجستين ويضاف الى ما تقدم معادن غير فلزية مثل الفحم والنفط والنترات والفوسفات والبوتاس وغيرها مما لا ندحة عنه للنجاح الصناعي والزراعي

فاذا كانت الاحوال الدولية سوية ، فالولايات المتحدة الاميركية تملك مصادر جميع المعادن التي تحتاج اليها ، ما عدا فلزات الاختلاط (الانتيوم والكروم والمنغنيس والتنجستين) والنترات . وقد يكون من بواعث الدهشة عند القراء ان يعلموا ان الولايات المتحدة الاميركية تفتج في الاحوال السوية ٧١ في المائة من محصول النفط العالمي ولكنها تستهلك اكثر مما تنتج ولذلك تحتاج الى الاستيراد . اما المواد المعدنية التي تستطيع ان تصدرها اميركا الى الخارج ، لان ما تستخرجه منها من مناجمها يفوق ما تستهلكه فهي ، الفحم والفوسفات والكبريت . ويمكن ان يقال بوجه عام ، ان الولايات المتحدة الاميركية على غناها بالثروة المعدنية ، تفوق أية دولة اخرى في مقدار ما تستهلكه منها

فاذا نظرنا الى المانيا وجدنا انها اصبحت بعد الحرب الكبرى ، ولا تملك مصادر للمعادن الفلزية تفي بحاجتها الداخلية . ففي بلاد مصادر محدودة جداً للنحاس والحديد والرصاص ، ثم انها تعتمد

كل الاعتماد على البلدان الاخرى في الحصول على سائر المعادن . الا انها غنية بالفحم والبوتاس وما يستخرج منهما يفوق ما تحتاج اليه منهما

أما فرنسا فلا تفضل المانيا كثيراً من هذا القبيل . فهي تستخرج من أرضها من الالومنيوم والبوتاس والحديد أكثر مما تحتاج اليه منها ولكنها تحتاج ، كما تحتاج المانيا ، الى استيراد النفط وجانب مما تحتاج اليه من الفحم

أما انكلترا فما يستخرج منها من الفحم يفيض على حاجتها ، وحديدتها يكفيها ، والمقادير المستخرجة من الرصاص والقصدير لا بأس بها . الا انها تحتاج الى استيراد كل معدن آخر . ولكن اذا حسبنا انكلترا قلب الامبراطورية البريطانية ، وجدنا ان ما يستخرج من الامبراطورية يفيض عن حاجتها جميعاً ويصدر الى الخارج ، الا الانثيمون والبوتاس والزنك

فقدرة بريطانيا العظمى الاقتصادية تتوقف حقيقة على تماسك الامبراطورية البريطانية ، ومقدرتها على استخراج المعادن الضرورية اللازمة للصناعة من مصادر لها عليها سيطرة سياسية او اقتصادية . فاذا قوبلت من هذه الناحية بالولايات المتحدة الاميركية امكن القول بأن ثروتها المعدنية تفوق روة اميركا ولكنها لا تملك مصادر هذه الثروة في بلاد خاضعة لسيادتها المطلقة ، بل هي موزعة في بلدان مترامية في جميع اقطار الارض ، وتماسك هذه الاقطار يزداد صعوبة طاماً بعد عام

اما الحالة في اليابان من ناحية ثروتها المعدنية فهي اهم مشكلة يواجهها العالم في هذا الميدان . ففي اليابان خالصني ونحاس ولكن ما يستخرج منهما يكاد لا يكفيها . وليس في بلادها الا بعض ما تحتاج اليه من الحديد ومركبات الكروم وعنصر المنغنيس والفحم والنفط . اما في ما عدا هذه المعادن فانها تعتمد على الاستيراد من الخارج كل الاعتماد . ولذلك ترى اليابان مهتمة كل الاهتمام بالفوز بحق استغلال المناجم في البلدان المجاورة لها سدًا لهذا النقص في ثروتها المعدنية وعند ذلك يمكنها ان تستقل من هذه الناحية عن الدول الاجنبية التي تستورد منها ما تحتاج اليه وليس في البلجيك من هذه المعادن الا الفحم والنحاس وعليها ان تستورد كل ما عداها من الخارج

وموقف ايطاليا من هذا القبيل لا يقل حرجاً عن موقف اليابان . فليست تملك سيطرة ماعلى منابع النفط ولا مناجم للفحم بل انها ليست احسن حالاً في ما يخص الحديد والرصاص . ولا يخفى ان ايطاليا واليابان في الفريق الاول من الدول ، وكلاهما تسعى للاحتفاظ بمكانتها رغمًا عن عوزها الشديد في مصادر المعادن . والواقع انهما اسوأ حالاً من انكلترا نفسها ولو فصلت هذه عن الامبراطورية البريطانية

وتختلف اسبانيا عن معظم الدول التي تقدم ذكرها في ان ارضها تحتوي على مصادر غنية بالنحاس والحديد والرصاص والمنغنيس والزنك. ولكنها لا تعنى الآن عناية كبيرة باستغلالها ولا يبعد ان تصبح باعثاً من بواعث الاضطراب بين الدول في غرب اوربا اذا ظلت كذلك.

فقد قال السر توماس هلند ان «حدود الامم السياسية رسمت اصلاً بناءً على اعتبارات زراعية ولا صلة لها الآن بمصادر الثروة المعدنية داخلها». وهذه حالة خطيرة كان لها شأن كبير ولا يزال في التجارة والسلام الدولي. فالتقدم العلمي والصناعي في صنع ادوات الحرب ومعداتاها، جعل المصادر المعدنية الطبيعية، عاملاً حيويًا في اعداد معدات الهجوم والدفاع. خذ مثلاً على ذلك عنصر التنغستن فهو مادة لا غنى عنها في صناعة اجود اصناف الصلب واقساها. وهو يستخرج في الغالب من ركاز يدعى «ولفراميت» لا يوجد الا في بورما تقريباً. ومناجم الولفراميت في بورما خاضعة لسيطرة الشركات البريطانية. فلما نشبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ كان الالمان قد خزنوا من هذا الركاز ما يكفيهم سنتين. فلما نفذ المخزون منه عمدت المانيا الى استعمال المولبدنوم بدلاً من التنغستن في صناعاتها الحربية. وكانت تستورده من بلاد محايدة هي بلاد النرويج. فرد الانكليز على ذلك بشراهم كل ما يستخرج من المولبدنوم في النرويج لمنعه عن المانيا. فعمدت المانيا الى فلز ثالث لا يساويهما في تقسية الصلب ولكنه يأتي بعدهما وهو عنصر النيكل وكانت تستورده من كندا - البريطانية ! - بواسطة البلدان السكنديناوية المحايدة. فخيولة بريطانيا دون استعمال التنغستن في المانيا كان صدمة كبيرة لالمانيا. ولو استطاعت ان تمنع عنها واردات النيكل كذلك لفاز الحلفاء في تقديم ساعة الظفر.

فهذه المسألة العلمية الصناعية لها صلة وثيقة بالجهود الدولية التي قطعت حديثاً لحفظ السلم. وهذه الجهود لن تنجح في تحقيق الغاية المنشودة الا اذا نظر رجال السياسة الى توزيع المعادن كأداة من الادوات الفعالة في ضبط المعاملات الدولية في المستقبل. لانه اذا كانت المعادن لا ندحة عنها لحضارتنا الصناعية فهي جديرة بأن تخوض الشعوب غمار الحروب لاجلها. واذا كانت باعثاً من بواعث الحرب فالسيطرة عليها يجب ان تجعل أداة من أدوات السلم. وربط توزيع المعادن بالشؤون الدولية لا يحمّلنا على اقام مسائل جدلية في الموضوع. فجميعنا نتفق على أمرين أحدهما رغبتنا في السلام. والثاني وضع بيان علمي للمعادن المطمورة في مختلف بلدان الارض ثم تنقح كلما تغير نوع المعادن المسيطرة على الصناعة.

والخلاصة التي يخرج بها الباحث مما تقدم ان مصادر الثروة المعدنية في العالم يجب ان تعالج معالجة دولية. لانها اذا ظلت كما هي الآن موزعة توزيعاً غير متساو بين الامم التي تحتاج اليها، فالرغبة في الحصول عليها او الاستئثار بها لا بد أن يبقى عاملاً من عوامل النزاع والحرب بين الامم.

تأثير العلم

في الفلسفة الحديثة والفكر الحديث

لظم الباقر

العلم والصورة الكونية

مما يميز الفلسفة الحديثة عن سواها من الفلسفات السابقة مجابهتها طائفة كبيرة من الحقائق العلمية الجديدة عن الانسان وعن العالم . ومهما يختلف الناس في موقفهم تجاه الفلسفة والعلم ، بين تفضيل الواحد على الآخر ، او التعويل على الواحد دون الآخر ، فان محاولة التوفيق بين الاثنين تقتضي من كل مفكر يأمل لطريقته الفلسفية انتشاراً وتابعين ، أن يعترف بصورة العالم كما رسمها العلم الحديث ، وان يجعل المعرفة العلمية اساساً وخطة كائناً هدفه ما كان . وسر هذا السلطان ، سلطان العلم على الفلسفة ، هو ما احرزه من ثقة الناس باساليبه ونتائجها وما احدثه في حياة البشر من انقلاب . فالطريقة العلمية اضحت المقياس العصري لكل بحث وتفكير ، والانقلاب الصناعي الذي انتجه العلم ، والحقائق الغريبة التي جمعها عن الكون وعن الانسان ، كل ذلك حدا بالفلسفة الى الخضوع لارادة العلم سواء كان ذلك في تعيين موضوعات بحثها ام في قسرها على قبول ما تجمع لديه من حقائق عن الكون وعن الحياة

وسنرى في ما يلي أن ابرز واثبت طابع احدثه العلم في الفلسفة هو ما نتج عن الصورة التي رسمها العلم للعالم وللحياة ، والتي يمكن اجمالها بعباراة « العالم الميكانيكي المتطور » . ولتفصيل اجزاء هذه الصورة وتحليلها ، نقتطف نبذاً من الحقائق العلمية عن العالم وعن الانسان

قال اللورد بلفور : « ليس الانسان ، كما ينص على ذلك العلم الطبيعي ، العلة الغائية لوجود هذا العالم . وليس هو المخلوق الهابط من السماء والوارث لجميع العصور . وما نفس وجوده إلا حادث عارض ، وما تأريخه إلا فترة قصيرة في حياة احقر سيار . ومع جهل العلم بتلك الاسباب الاولى التي انتجت هذا المخلوق العضوي الذي نسميه انساناً ، بتحويل مركبات عضوية مائتة ، فاننا نعرف أنه منذ البدء تضافر الجوع والتناحر والسفك على انشاء جنس يعرف أنه حقير وأنه لا شأن له في هذا الكون . لنستعرض الماضي فماذا نجد ؟ نجد ذلك الذي ندعوه تأريخاً ليس إلا دماءً ودموعاً ، اخطاءً وفضائع وثورات . والمستقبل ! ماذا في المستقبل ؟ نعرف أنه بعد فترة ، طويلة اذا قوبلت بحياة الفرد ، وقصيرة اذا قوبلتها بما عرفناه عن حياة العالم ، ستنحل قوانا وسيزول مجد الشمس ، والأرض

الخامدة لن تتساهل بوجود الانسان الذي ازعج عزلتها برهة ، اذ ستؤدي به الى العدم .
وسيعقب هذه الطنطنة التي احدها الانسان في احدى زوايا العالم ، سكون وهدوء ، فلا مادة ولا
خلود ولا أعمال ولا معرفة ، وحتى الموت نفسه والحب الذي هو أقوى منه ستكون كأنها
لم تكن مطلقاً »

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامراً
اما العالم الفلكي فنجده يقول : « ليس عالمنا الا وحدة من مجموعة عوالم كثيرة تقف امامها
خيارى اذ لا تمكننا وسائلنا من البحث في تلك الابعاد حيث يسود الظلام المطبق . واذا كان
توغلنا في تلك العوالم لا يجدنا معرفة عنها فانه ممكننا من ان نعرف اننا كلما ابتعدنا عن عالمنا
ازدادت ضالة شأن الانسان . وعرفنا ثلاثة اشياء ايضاً : (١) اطراد الناموس الطبيعي في تلك
الابعاد اللامتناهية (٢) انتفاء البيئة على وجود غاية يمكن العثور عليها في أي جانب من جوانب الكون
الفسيح (٣) ان معرفتنا عن الكون وبحثنا في ارجائه لا ترينا أضال أثر لوجود ذات روحية »
واذا سألنا البيولوجي أو السيكلولوجي اجابنا : الانسان حي « كيمياوي طبيعي »
— Physico-Chemical — وما أمله وطموحه وحبه وخوفه واثرته واثيره ومعرفته الا نتيجة
تفاعلات كيمياوية وقوانين تسيطر عليها فتكون الوان سلوكه وتصرفه . والفيزائي ، وهو
الذي كشف مجاهيل عالم الذرات المكون منها الانسان وعالمه ، يملئ علينا الحقائق الآتية : « معرفة
التركيب الذري كشفت لنا عن ظواهر كان حتى نفس وجودها غير منتظر قبلاً . وبهذه المعرفة
الجديدة نجد صورة « المادية » — Materialism — واضحة غير مشكوك فيها . ونحن في كل بحوثنا
ومعرفتنا لم نجد أي غاية للوجود . وكل ما نجسده في هذا الوجود هو الاتساق والنظام الناشئين
من اطراد الناموس الطبيعي وانتظامه حتى لو قلنا بأن الكون سائر الى الفناء النهائي فذلك لا يعني
وجود أية غاية ، كما لا يستلزم وقوف الساعة وعطلها قصداً سابقاً . وأخيراً لا نجد في هذا الميدان
الجديد من الكشوف العلمية مكاناً لأي فاعل روحاني . نعرف مما تتكون المادة ونعرف انها طاقة
ولكن الطاقة مادية من عالم المادة وليست من عالم الروح ولا يمكن ان تحمل الى الروح . فأين عالم
الروح إذن ؟ »

يظهر من ذلك أن العلم في مكشفاتهِ ووسائله ما كشف عن أي أثر لصديق للانسان سوى
الظواهر الطبيعية ، ولم يوفق خلال تنقله بين العوالم إلى أن يعثر على أية قوة إلهية تعني
بالانسان ، او على أي مبدأ يضمن للانسان نجاحاً في كفاحه وغاية من وجوده . فعين العلم لا ترى
الانسان الا وحيداً في عالم نفس وجوده فيه عارض وصدفة . واذا كان ما يراه العلم صحيحاً ، فماذا
حدا بالانسان ، من قديم الزمان حتى الآن ، إلى ان يشعر بأن هناك قوة سماوية تعني به وأنها خلقت كل
شيء من اجله ؟ الانثروبولوجي يجيبنا عن هذا السؤال بقوله : « نحن حيوانات اجتماعية من

وع تلك التي تعيش قطعاناً ، وكذلك كان اجدادنا منذ عصور كثيرة . وبغريزتنا الاجتماعية هذه ننظر الى العالم فنذكر فيه الحنوّ والاخوة والصداقة . هذا ما يخرّبنا به دارسو الحيوانات الاجتماعية اثناء تدجينها بملاحظتهم ما يطرأ على طادات الحيوان الاجتماعي وعلاقة تلك الطواريء بوحدة ذلك الحيوان وحنينه الى قطيعه المفقود . وكذلك تكونت عند الحيوانات الاجتماعية غريزة البحث عن اصدقاء غير موجودين . فمن المحتمل إذن ، او قد يكون اكثر من المحتمل ، أن نشوء فكرة ذلك الصديق عند الانسان يرجع الى تلك الغريزة التي تتصف بها الحيوانات المجتمعة ؟ أي أن اصل الفكرة تشوق الانسان الاجتماعي الى البحث عن القطيع ، او دليل القطيع ، فتعدى في بحثه هذا حدود الارض الى ما وراء النجوم »

ولكن العلم وان يكن لا يجزؤ على نفي ذلك الصديق قطعاً فإنه زعزع امل الانسان في العثور عليه وجعله وحيداً في هذا العالم الغريب . واذا لم يكن العلم قد نفي الصديق عن الانسان ، فما سبب هذا اليأس والتشاؤم ، او كيف استطاع العلم أن يزعزع امل الانسان وايمانه ؟

استطاع العلم أن يزعزع ايمان الانسان وأمله لا لأنه قال له أو فرض عليه ان ينبذ الايمان ؟ فالعلم لا ينفي شيئاً ولا يثبت شيئاً إلاّ بعد التجربة والتمحيص . انه لم يقل ذلك مطلقاً ، ولكن هناك آثار ثانوية مصاحبة للعلم وقد كان من أثرها زعزعة امل الانسان وايمانه . وهذه الآثار هي : —

١ . تغلغل الروح العلمية او العقلية العلمية والثقة التي حازت عليها بين الناس جعلهم يتخذونها المقياس المعول عليه في شتى القضايا حتى شمل تطبيقها البحث في كل فن . وهذه العقلية العلمية ، وما تتصف به من شك وتجربة وتمحيص ، جعلت الانسان يقف بها تجاه الايمان والمعتقد كأنهما قضية قابلة للتجربة والامتحان

٢ . وقد ينبعث ذلك الشك في الايمان من مصادر غير الروح العلمية ، كما حدث وكما يحدث لافراد ليسوا علماء وليسوا متصفين بما نسميه العقلية العلمية . فتعرض الايمان للشك دوماً ، وتعلقنا بالايمان وبالأمل اللذين يحدواننا الى السير في حياتنا قانعين بل ومغتنطين ، كل ذلك جعلنا نبحت دوماً عما يقوي ذلك الايمان وذلك الامل في نفوسنا . ولطالما لجأنا الى وسائل شتى نعزز بها ايماننا ، فاتخذنا المنطق والفلسفة وصناعة الكلام ، بل والعلم ، سبيلاً الى الغاية نفسها . ولما تراكمت معرفة الانسان في هذا القرن ، ووصلت الى ما وصلت اليه من الشموخ والتعالي والثقة ، لجأنا الى العلم نسأله ونريد منه أن يطمأننا في املنا وفي أمانينا وجعلناه الحكم في شئنا . ولكن بماذا أجاب ؟ لم يجب إلاّ بالادارية القاسية والعجز ، وهو الذي نعتقد فيه القوي القادر ، فزعزع ذلك أملنا وتسرب الشك إلى ايماننا

٣ . ولو اقتصر الأمر على لا ادريّة العلم تلك لكان الأمر وليسهل على كثير من النفوس أن تظل مشبعة بسعادة الايمان والامل ، ولكن الأمر تعدى ذلك الى كشف حقائق علمية عن الحياة والكون

مثل « المادية العلمية » التي هدم بها العلم عالم الروح ، ومثل قابلية فناء المادة ، وفناء العالم ، ونظرية النشوء والارتقاء ، إلى غير ذلك مما له تأثير في إضعاف ذلك الإيمان فينا تجاه تلك الحقائق العلمية عن الكون والحياة نشأت مواقف مختلفة للمفكرين وسبل متباينة للفكر الحديث والفلسفة الحديثة : فطائفة من الناس عزَّ عليها أن تدع أي شك يتطرق إلى إيمانها وابت أن تعترف بكل ما جاء به العلم عن الكون وعن الإنسان . وهذه الطائفة المحافظة ليست موضوع بحثي ، وإنما هناك فئات أخرى أثر فيها العلم فترك فيها نتائج مختلفة ، يمكن تصنيفها ودرجتها كالاتي : -

١ - المتشائمون Pessimists

٢ - المتفائلون او المثاليون Optimists, Idealists

٣ - العمليون والطبيعيون Pragmatists, Naturalists

أ - المتشائمون

فالمتشائمون هم أول فريق ظهرت البوادر الاولى لنتائج تلك الحقائق العلمية في افكارهم ووجهة نظرهم في الحياة . ولما طبعت عليه نفوس هؤلاء من التشاؤم ، ولما امتازت به نتائج العلم الحديث من الاجماع على الاخذ بها ، كان لا بد أن نجد تلك النفوس صاحبة أو نسمعها نادية حظ الانسان وبأكية على النهاية الحزنة لقصة الانسان على هذه الارض . فسمع مثل تفسون يقول « إذا لم يكن هناك خلود فسأرمي نفسي في اليم » . وفي ملحمة الذكرى In Memoriam — نجد العالم يعاني آلاماً قاسية ومستمرة . ولكننا نجد في شوبنهاور مثل تلك النتيجة واضحة ، وفلسفته هي ابلغ تعبير عن عبث الجهود البشرية وعدم وجود غاية في الحياة وفي الطبيعة . وعنده ان فحوى الحياة هي الكفاح الأعمى والجهاد غير المجدي ، وان قوة غاشمة وغير مدبرة هي التي انتجت هذا العالم ومن يعيش عليه ، وهي التي يدعوها « بالارادة » . فهو يقول : « كل انسان وفترة وجوده في الحياة ليس الا حلمًا قصيراً لارادة الحياة المستمرة . وما الانسان الا صورة زائلة ترسمها الطبيعة في صحائفها الكثيرة لا تسمح لها في الظهور الا برهة قصيرة تعود بعدها الى العدم لتفسح المجال لصور غيرها » ^(١) وقد نجد الانسان في العلم وفي الفن وفي مساعدة غيره من اخوانه تعزية وملهاة . ولكن شوبنهاور يرى أن هذه نفسها لا تستحق ما يقاسيه الانسان في سبيل الوصول اليها : « فاذا شبهت الحياة بطريق متوهج بنار حامية الا بضعة اشبار باردة الفينا المنخدعين من الناس يجدون في تلك الاشبار الباردة تلة وتعزية ، ووجدنا الذين نفذت انظارهم الى ما وراء ذلك الخداع فعرفوا حقيقة السكل ، ليس لديهم ما يتعزون به فينسحبون من الطريق »

وبعد ان بكى هؤلاء المتشائمون كثيراً وندبوا طويلاً آكل بهم الجزع والاعياء الى البحث عن

التعلة والتعزية في الفن والجمال ، وصرنا نسمع مثل والتر باتر — Walter Pater — في كتابه Conclusion to the Renaissance — ورينان في — Examen d'un Conscience Philosophique — يشيرون بأنجيل الفن والجمال كملجأ للإنسان من تلك الحقائق العلمية المرة ، على أنه وإن ادعى أولئك المبشرون بأن تمجيدهم للفن والجمال هو لاجل الفن والجمال ، إلا أننا نستطيع أن نتلمس فيه صدى الصوت القديم القائل « لأكل ونشرب ونكن سعداء فاننا غداً نموت » . وهكذا نجد هذه الايقورية العصرية تتغلغل في روح العصر . اذ كل فلسفاتنا الاجتماعية حقاً ، ما هي إلا وسائل مزخرفة للتمتع بالاكل والشرب والحصول على الغبطة في أحسن شكل ممكن . فروح العصر على وفاق مع الخيام ، سواء اعترفنا بذلك ام أبينا الاعتراف

٢ — المتفائلون أو المثاليون

يختلف هؤلاء عن المتشائمين في أنهم وإن كان كثير منهم سلم كما سلم المتشائمون بالصورة التي رسمها العلم للعالم ، فقد ظلَّ بينهم فريق كبير شديد الرغبة عن التخلي عن معتقداته الموروثة وآماله القديمة : فاتجه هذا العدد منهم الى تلك النظريات التي انتجتها أخيلة الرمانتيكيين كرد فعل لصورة العالم النيوتونية في عصرهم . وهكذا نجد النزعة المثالية (idealism) قد نمت من جديد وأضحى أصحابها يحاولون ان يبرهنوا على ان العلم لم يقص قصة الحياة الكاملة ، وان الطبيعة عاملة مع الانسان لحيره وصالحه . اي ان هذه النزعة المتجددة كانت نتيجة تردد تلك الفئة بين التخلي عن آمالها كل التخلي ، وبين الصعوبة التي وجدها في رفض الحقائق العلمية ، فهي توفيق بين المعرفة والامل ، اي بين العقل والعاطفة . ووجد هذا الفريق في « كانت » خير حل للمشكلة وخير توفيق بين العلم وبين ملهم . فهم ككانت يعترفون بأن كل ما كشفه العلم صحيح وحقيقي ضمن دائرة العلم ، إلا ان عالم العلم ما هو إلا عالم الظواهر ، ويمكن وراءه او يتخلله عالم الحقيقة الذي يختلف كثيراً عن عالم الحس . وعلى هذا فعالم الحقيقة ليس كما يصوره العلم ميكانيكياً لا غاية له ، وانما هو عالم روحي اخلاقي يضمن للانسان جهوده وكفاحه . فأضحى هذا المعتقد خير تعزية لكثير من النفوس ، ولا سيما تلك المتعلقة بالايان والامل ، اذ استطاعت أن تبرهن به على وجود الله وان عجز العلم عن أن يجده ، وأن تسوغ قواعد الحياة الاجتماعية والدينية

إلا أنه بعد انقضاء جيل ، اي في مستهل القرن العشرين ، نجد تلك النزعة المثالية وقد اخذ عدد معتقها يتناقص ، اذ نرى انفسنا أمام جيل النشوء والارتقاء ، حيث الايمان القديم يخلي المكان لايمان جديد هو « تمجيد النشوء والارتقاء » . وكما يسم كل معتقد معتنقيه بطوائج مختلفة ، كذلك الحال في هذا المعتقد الجديد الذي احدث وجهات نظر مختلفة بين المؤمنين به : ففئة تمجد فكرة النشوء وتعلق عليها الآمال ، وترى أن على الانسان أن يجعل اتجاه سيره وفقاً لنواميس الطبيعة ووفقاً

لسنّ النشوء ولا سيما بعد ان عرفت تلك النواميس . يحدثنا « سبنسر » عن ذلك فيقول : « إن اسمي شيء في الحياة هو السعادة البشرية . والمجتمع الذي يعنى بكل فرد من افراده يفوز بالسعادة العظمى . ونستطيع ان نخلق مثل ذلك المجتمع إذا أسسناه على مبادئ المنافسة والنزاح الحر وعلى اطلاق العنان للفرد يفعل ما يشاء لصالحه . وسيكون مجتمع المستقبل المتطور متسا بالوفاء مع النواميس الطبيعية ، وستكون مؤسساته على اتساق والبيئة البيولوجية والطبيعية . » وفئة اخرى رأت ان في هذا الايمان الجديد خير ضامن لتقدم الانسان وارتقائه وبلوغه الكمال ، فزها تعقد الآمال على الناموس الكوفي في نشوء ذلك المجتمع الكامل . و « ماركس » يشبه سبنسر في تمجيد ناموس النشوء والارتقاء ، إلا أنه يختلف عنه في فهم ذلك الناموس ، إذ « سبنسر » يراه مفضياً الى « الفردية Individualism » في حين ان « ماركس » يراه مفضياً الى الاجتماعية والاشتراكية ، فيقبض فيه العمال على آلات الانتاج ويستخدمونها لصالحهم . ففهم « ماركس » لناموس النشوء فهم مادي وليس فهماً بيولوجياً . وسواء أخذنا برأي ماركس الاجتماعي او برأي سبنسر الفردي ، فإن كلا الرأيين يمثل لنا كيف صار الناس يؤمنون بان هذا العالم « الميكانيكي المتطور » ليس شرّاً كما حسبه المتشائمون ، وان الاعتقاد به غير مفضٍ الى اليأس والتشاؤم وانما الى الأمل اللامتناهي

وهناك عدا الفئتين السالفتين ، فريق رأى ان خوى نظرية النشوء هو التغيير والتجدد ، وعلى ذلك جعل هذا الفريق التجدد والتطور مثلاً أعلى . وعند هؤلاء ان ماهية التجدد هي الخلق والابتداع ، والانسان يحوز بعقله وذكاؤه اعظم قوة خالقه ومجددة . فدعاه اذن يعيش ويخلق وينتج . فاذا وقف نفسه على العمل والتجدد كان الانسان الطبيعي الحق

وهناك طائفة اخرى يمثلها نيتشه ، ارى الضرورة تقضي ببدء الملاحظات الآتية على موقفها ١ - ادرك نيتشه انه اذا اخذنا بفكرة النشوء وبما تجهزنا به من مقاييس اخلاقية ، وجب علينا ان ننشئ لنا مثلاً جديدة ومقاييس اخلاقية غير التي ورثناها والتي هي على طرفي نقيض والعالم المتطور الذي نعيش فيه فما كان حسناً في الوقت الذي كانت تحكم فيه العناية الإلهية لم يعد كذلك في وقتنا . واذا اردنا ان ننشئ جيلاً نبيلاً قادراً على ان يسير والنواميس الطبيعية وجب علينا نبذل ما ورثناه عن الماضي والذي من شأنه الاستسلام والضعف ومعاكسة نواميس النشوء والارتقاء

٢ - وعلى هذا المنوال نرى نيتشه يمجّد المستقبل ويتصور نشوء الانسان الكامل ، على انه لا يتوقع ذلك بتركنا الامر الى العوامل الطبيعية تخلق لنا من تلقاء ذاتها ، ذلك الانسان . بل علينا ان نسكّح ونعدّ العدة للمستقبل ، يجب ان نفعل ذلك وان نطلب الامر منا ان نكون قساة . ونحن ان لم نفعل ذلك فالانسان بدلاً من ارتقائه الى كمال الآلهة ، سينحط الى مستوى الحشرات

٣ - اعتمد نيتشه اولاً على فلسفة شوبنهاور ثم حرّر نفسه من الانطباع بصورة الحياة كما رآها شوبنهاور . ولكن اصالة نيتشه ، وهي التي تفرقه عن شوبنهاور تبرز في رفضه الاخذ بالنتيجة السلبية التي

رأها شوبنهاور ، وهي الانهزام في وجه الحياة الخافلة بالكفاح والتناحر اللذين تفرضهما على الفرد « إرادة الحياة » الشوبنهاورية . اذ بذنيك العاملين سيظهر « السهرمان » . وتوقع ظهور ذلك الانسان الكامل هو الذي جعل نيتشه يثبت في الميدان مسوِّغاً كل ما يكلفنا ذلك التناحر من آتاعاب ومستسيفاً مأساة الحياة الحاضرة اذ سيعقبها في المستقبل الفرحة العظيم

٤ — وكثيراً ما يتهم نيتشه بتأليه الجشع التجاري والقومية والوطنية، مشجعاً الحروب والتناحر بين الشعوب . ولكن لا شيء ابعد من هذا عن رأي نيتشه الذي يحتقر الصناعة الرأسمالية ويمقت الساسة والقادة المهرجين ، ويعتبر التوسع التجاري القومي ومعه الوطنية اسوأ أنواع الشرور اذ يرى هذه الاشياء عاتقة ومؤخرة لولادة ابن المستقبل — السهرمان —

٣ — العمليون او الطبيعيون

هذه الفئة اقرب الى المتفائلين منها الى المتشائمين . الا فرق واحد هو ان المتفائلين ، لا سيما النشويين منهم ، يؤمنون باستخدام قوى الطبيعة والتعاون معها لتقريب ذلك اليوم الذي يولد فيه الانسان الكامل

على ان العمليين — وهم يمثلون الفلسفة الحديثة وبوجه خاص في امريكا — يرون ان الانسان في عالمه هذا الذي يصوره العلم ليستطيع ان يعيش بذكائه وكفاحه حياة فردية او اجتماعية راقية . فعالم العلم لا يجب نبذه كما لا يجب تمجيده تمجيده اعمى ، بل من الخير ان نقبله كمسكن الانسان الطبيعي ومستودع مواد عمله وصناعته

واذا كان الانسان جزءاً من الطبيعة ونتاج قواها ، فانه ليستطيع ان يستغل تلك القوى لنفسه ، مستعلاً في ذلك عقله وذكاءه اللذين منحتهم اياهما الطبيعة . فالنشويون عبدة المستقبل والعمليون عبدة الحاضر

ليست هذه الفلسفة وليدة اليوم ، لاننا اذا رجعنا الى الماضي الفينا في ميدان الفلسفة اليونانية افراداً اعتقدوا وقالوا بأن الحياة شيء يجب ان يستمتع به على ان تدار وتساس ميول الانسان الطبيعية وعواطفه . وفي فجر العلم الحديث نجد « بيكن » يبشر بالبحر العلم والعمل وباستخدام العلم لتسخير قوى الطبيعة لمنفعة الانسان . وهكذا نجد هذه النزعة « الطبيعية Naturalism » البيكونية وقد اتحدت بنزعة اليونان في تلوين هذه الفلسفة المصرية التي يمكن ان نسميها بالعملية او الآلية Pragmatism or Instrumentalism والتي يفاخر الاميركيون بانها فلسفتهم الخاصة بهم . وربما اعدت الكرة فذكرت شيئاً وافياً عن هذه الفلسفة الجديدة في الاعداد القادمة (جامعة شيكاغو)

مقام دراسة الشرق

في معاهد الولايات المتحدة الاميركية

جاء في خطاب لاحد العلماء الاميركيين منذ سنوات ما خواه ان الغرب يغالي في الاهتمام بفكرة اتصت به من القرون الوسطى ترمي الى جعل التاريخ القديم قائماً على صرحين هما صرح اليونان وصرح الرومان. ثم انه دعا متأدبة الامة الى نقض هذا القول الناقص لان لمصر وأشور وبابل وفينيقية ودول الحثيين والفرس والعبران نصيباً اعرق وأوفر من اليونان والرومان في تكوين العصور القديمة ولولا تحدر آثار هذه الشعوب الى فلاسفة الاغريق الذين تذوقوا طعمها وصبغوها بصبغتهم ثم اعطوها لاوروبا بواسطة الرومان لما كان لهذا الزمن ما يفاخر به من حضارة وعمران⁽¹⁾

وان في الولايات المتحدة طائفة لا يستهان بها من جهابذة المستشرقين منصرفة الى دراسة الشرق درساً بعيد الغور، وحسب المرء ان يحضر اجتماعاتهم السنوية للوقوف على جهودهم الجبارة في سبيل احياء ماضيها. وكان من حسن الطالع ان ضمتني جلسات الجمعية الاميركية الشرقية المنعقدة لسنها المائة والسادسة والاربعين في مدينة فيلادلفيا في نيسان (ابريل) من الربيع المنصرم، فأعجبت بما لاحظته من رسوخ هؤلاء الباحثين الاعلام في معالجة الامور الشرقية لغوية وتاريخية وفلسفية وذهلت لما شاهدته من سعة اطلاعهم وفيض بياهم في الاخذ بجميع المطالب العلمية ذات البال. وهم موفدون مما يزيد على مائة معهد وجمعية ومتحف منها امهات الجامعات والمتاحف الشهيرة والمكاتب الكبرى المنتشرة في طول البلاد وعرضها. ويوضح تضلعهم من العلوم الشرقية اختصاصهم الواسع فهذا مكتبٌ على اللغات السامية مثلاً وذلك اختصاصه اللغة البابلية (الاكادية) فقط وغيره يعرف كل ما يعرف عن العرب او اليهود او مصر وما اشبه. واليك بعض الموضوعات التي تناولتها مباحث الاعضاء اوردها على سبيل المثال غير جاهل انها لا تمثل الا ناحية يسيرة من نواحي منهاجهم: رسالة حسن البصري في القدر - بحث في نشوء كلمات سامية منها ادريس وعمورة ودليلة وناداب - مقابلة بين الشتم عند البابليين واليهود والمصريين القدماء - نقوش سومرية (شمرية) تشير الى القربان - بحث في حياة الخصيان في القصور

وعبناً نحاول وصف دقهم وايجازهم واجادتهم المعنوية السائدة مناقشتهم. فالروح العلمية المرفرفة على بهو الاجتماع كانت حقيقة بالثناء العاطر حتى لاح لي ان افضل ما يقتنيه الشرق من ثروة روحية حرة بالخلود قد انتقل الى هذه الديار النائية فانطلق ابناؤها يتبارون في درسه وتحليله

(1) Julian Morgenstern, Journal of the American Oriental Society, Vol. XLVIII, No. 2, 1928, p. 105.

ولعل شغفهم به واقبالهم عليه انساهم ما يحق بمواطنهم من مكاره اقتصادية وما يكتنفه من محن اجتماعية افضت اليها الازمة الحاضرة فاركتهم مركباً خشناً لا نفهمه نحن الشرقيين وقد تعودنا عيشة البساطة والقناعة ولم يذلنا نير المعامل والمصانع ولا سطا علينا تيار المادة الجارف

ومما طالعته رسالة وضعها باحثان من اعضاء الجمعية المذكورة احدهما استاذ في جامعة جونز هوبكنز العظيمة اتفق وادارة ذلك المعهد ان يقضي الشرط الاول من عامه في فلسطين منصرفاً الى البحث الاثري على ان يقفل راجعاً في الشرط الثاني ليتولى منصبه التدريسي. والآخر استاذ كبير في جامعة بنسلفانيا. وقد اعلن الكاتبان تحت عنوان « الاستعداد لدرس الشرق الادنى وآثاره » ما للباحث الاثرية الجارية في فلسطين من خطر الشأن على شريطة ان يكمل الدارس استعداداه العلمي قبل مبارحة اميركا. ثم خصصاً باباً من رسالتهما بالعراق و اشارا الى اركان الملمين بأحواله الجغرافية والتاريخية والاثرية ويؤخذ من كلامهما ان الشرق ينبوع عذب لا يرتوي ظمأ العالم منه الا اذا جاب اقطاره وشاهد بأأم العين ميادين الحضارة الاولى في ربوعه الفتانة^(١)

ولمستشرقي الولايات المتحدة مدرستان بارزتان في الشرق العربي تقومان باعمال الحفر والتقيب وهذا بصرف النظر عن وفود البحث الاثري في وادي النيل من امد بعيد. الاولى في بيت المقدس والاخرى في بغداد. ولا يُظهر فضل هاتين البعثتين مثل الاطلاع على نتائج اعمالهما التي افضت الى تعديل جانب كبير من تاريخ الشرق القديم وافراغ اخباره في حلة قشبية. والعدول عن كثير من الحقائق المسلم بها قبلاً وتفسير الشؤن الخطيرة تفسيراً ينطبق على مكتشفات المنقبين الاخيرة ولا بد لنا في هذه الرسالة ونحن نسعى الى تصوير عناية العالم الجديد بالنهضة الشرقية وتاريخها الجيد ونحاول اكتناه ما يساور الرأي العام فيه من آثار الروح السامية من العرض لمقام اللغة العربية. واول ما يتبادر الى الذهن المساعي الحميدة التي يبذلها العلامة الدكتور فيليب حتي فاكاد يتسلم اعباء منصبه الخطير في جامعة برنستون حتى انبرى لاعلاء مقام العرب والتفرغ لبث اخبارهم بمتعة القوم. وبالت المجال يتسع لذكر اعماله. فانه عدا تأسيسه مطبعة عربية وجمعه شتات المخطوطات العربية من بعد ان حشد ما يزيد على الـ ١٥ الف مجلد عربي ثمين في مكتبة الجامعة اشتغل في ادخال المال السكاني لتنظيم هذه المخطوطات وتولى الاشراف على وضع فهرسها وتقويمها العلمية. ولا يقف عزمه عند هذا الحد بل انه ينوي البدء بمشروع واسع النطاق يستغرق عشرات السنين ويضمن جمع جميع ما في البلاد من مخطوطات عربية ونشر جانب هام منها. والى كل ذلك فهو يدأب ليل نهار في تأليف كتاب مستفيض في الانكليزية يحوي بين دفتيه تاريخ الامة العربية والمرجح ان يفضي ظهور هذا السفر العتيد الى طور جديد في دراسة الحضارة الشرقية في هذه القارة ويضاعف العناية بأداب العرب وتمدينهم

(1) W. F. Albright, and E. A. Speiser, Suggested Approach to the Study of Near East Archaeology, Philadelphia.

ولا جدال في ان الاوروبيين هم الذين سبقوا الى الفتوحات الباهرة في هذا المضمار فمنهم
دي ساسي المتوفي في النصف الاول من القرن الاخير صاحب الايدي البيض على علم اصول اللغة
العربية . وبعده قام في القرن ذاته ومن ابناء فرنسا ايضاً اديب فذ لم يدم ميوه الى الابحاث العلمية
وقائمة مصنفاته وان كانت اليوم مفروغاً منها من الوجهة العلمية الا انها لا تزال حلقة مكيمة في سلم
ارتقاء المشرقيات عند اهل الغرب . نعتي الكاتب الطائر الصيت ارنست رينان . فقد ألم بتاريخ
فينيقية وتوغل في شؤون بني اسرائيل منعماً نظراته في سفر ايوب وكان قد نشر قبل هذين
المؤلفين بحثاً في تاريخ اللغات السامية . ومن آثاره « حياة المسيح » و « ابن رشد وعقيدته »
وسواهما ما هو معروف لدى القراء . وأما المستشرق الالماني تيودور نولدكه فانه شيخ المستشرقين
قاطبة ولد سنة ١٨٣٦ ومات عن عمر كبير ومآثر خالدة في مختلف العلوم الشرقية التي تناولها وكانت
ميوه جامعة شاملة فلم يهمل زاوية من زوايا المشرقيات بل طرقها كلها وصار حجة فيها
وفي مرتبة هؤلاء يعد العالمان هرغرونيه ودي غويه وهما لا يقلان تدقيقاً وتنقيحاً وهذا الاخير
حسبه ما نشره من تاريخ الطبري في مجلدات سهلة المأخذ زينها بالفهارس والحواشي العلمية
ومن المعاصرين الانكليز عالمان يجدر بنا الاشارة اليهما احدهما استاذ في جامعة كامبردج والآخر
في اكسفورد اعني نكلسون ونده مرغوليوث . اما الاول فأشهر مؤلفاته تاريخ الآداب العربية وله
سوى ذلك ما يستحق الذكر مما نقله من الشعر الشرقي . وللاستاذ مرغوليوث جولات معهودة بشهد
له فيها بطول الباع وقد أصدر تاريخ الدولة الاموية والدولة العباسية في لغته الخاصة نقلاً عن سلسلة
جرجي زيدان التاريخية . الا ان درس المؤلفات الشرقية التي يصدرها المستشرقون منذ اكثر من
قرن يحملنا على الاقرار للامان بقصب السبق . ولكن احداث السياسة الاوربية والتضييق الفكري
الذي يعانيه العلماء يحملان على الظن بان النشاط الفكري في اوروبا في هذه الموضوعات التي لا يمكن ان
تنهض الا في جو ملائم للبحث الحر سيتأخر لما انتاب حرية البحث في بعض بلدانها من مآسٍ حسام
ثم ان عدد الفحول الالمان الذين امسوا هذه البلاد على اثر الانقلاب الاخير يدعم قولنا . أولم
يهبط بعضهم ارض الاتراك كذلك طلباً للسكينة والامن . ومنهم من هجر مسقط الرأس قادمًا الى
اميركا ولو لم يكن ممن استهدف لسهام الاضطهاد ، طمعاً بما في المهجر من محبوبحة العيش ووسائل
النمو العقلي وسبل العمل الحر فما تقوم عليه النزعة الجديدة في الولايات المتحدة من الاعتناء
بشؤون الشرق العلمية وما يغذيها من ميول صادقة لا تحفزها المطامع الاقتصادية والسياسية مضافاً
الى ما يعتور الحياة الفكرية في القارة الاوربية من الصعاب ينذر بانتقال معقل المشرقيات الى ما وراء
بحر الظلمات في المستقبل غير البعيد

ولا ريب في انه أصبح لبلاد العرب ولغتهم وامتهم مكانة لم نعهدها من قبل . اما علو شأن
البلاد فلان اجماع رأي العلماء يميل الى حساباتها مهد الساميين . واهمية اللغة العربية راجعة الى كونها

مفتاح الفيلولوجيا السامية . واما مقام الامة فلانها اتى العناصر التي يتمثل فيها الجنس السامي ولقد آتت هذه النظرية الجديدة الى قلب الاصول التي كان يتمشى عليها العلماء في درس التوراة . واول من مهد السبيل الى هذه الطفرة Pococke في القرن السابع عشر ثم قام Schultens فأيدّه وجاراه في وضع حجر الاساس حتى اذا ما جاء القرن التاسع عشر تمت المكرة الجديدة على يد العالمين Wellhausen و W. Robertson Smith وقبل عشر سنوات ظهر كتاب للاستاذ مرغوليوث احتوى ثلاثاً من محاضراته تحت عنوان « علاقات بين العرب والاسرائيليين قبل نهوض الاسلام » ابان فيه كثيراً من الغوامض واثبت ان الشيء الكثير من تاريخ العبرانيين وآدابهم يسهل فهمه اذا درسناه بعد انعام النظر في اللغة العربية ولغة عرب الجنوب

ثم كانت السنة الماضية فأصدر العلامة الاميركي مكدونلد كنيته في « عبقرية العبرانيين الادبية » وذهب فيه الى ان آداب اليهود لازالت على مرّ السنين مدينة في تكوينها للغة الضاد وتوسع في مباحثه فجعل حياة النبي داود واشعاره شبيهة بسيرة امرؤ القيس وقصائده ضارباً امثالاً كثيرة على القارئ اللبيب ان يرجع اليها لرؤية ما يتوسم فيه من تشابه بين الشعبين . وقد قال هذا العالم ان مفسري العهد القديم في السنين المقبلة يجب ان يكونوا من الواقفين على متون اللغة العربية واخيراً ظهر مؤلف للاستاذ مونتغمري سماء « الجزيرة العربية والتوراة » اتى فيه بمقائق ثابتة وآراء طريفة تؤكد بما يقبله العقل وتقرّه الشواهد التاريخية والعلمية ان فهم تاريخ اسرائيل لا يمكن ان يتم الا اذا تمكن الطالب من تفهم احوال الجزيرة . وقد شفع المؤلف اقواله بمسندات فيلولوجية وتاريخية ولا غرو فهو من اساطين العالمين ثم تطرق الى تفصيل قضية المناخ في الجزيرة وازدياد الجفاف فيها على مرّ السنين والقرون ثم عرض لعلاقات العبرانيين التجارية بأبناء البادية وطرق باب الحكمة العربية وقابل بين هذه وما يجده الباحث في صفحات ايوب والامثال ثم عكف على الاسباب التي ادّت الى افول نجم العز في جنوب الجزيرة بعد تألقه ردحاً طويلاً من الدهر في العصور القديمة وتخلص بأراء حصيفة في اثر الصحراء الجلي الظاهر في ديانة العبرانيين

ومهما يكن من امر فان العناية بالمشروعات في هذه الديار هو مقرون بقسط وافر من التشجيع والتنشيط ويؤمل ان يظفر بمقام يليق به وبالشرق الذي اوجده . وهالك كلام احد أئمة العلم الذين يؤبه لهم قال « يجب ان ندرس الشرق لانه لا يزال مبعث النور والالهام ويجب ان نعسى بنفهم لغاير الساميين لان اللفظة من الفاظهم اشبه شيء بشحنة الكهرباء التي يحار الفهم في قدر قوتها والاحاطة بماهية طاقتها . هكذا تعجز السنتنا الغربية عن ازاحة الستار عن المعاني السامية وفقه مكنوناتها لانها ذات مرام بعيدة تستعصي علينا ولا عجب فهي متصلة باعماق النفس ولا سبيل الى سبر غورها الا بعد امعان شديد »

الاسطول والبحرية

أيام محمد علي

للكنوز على مظهر

- ١ -

في الوقت الذي أخذت فيه دول كثيرة تعد عدتها للهجوم أو للدفاع وفي الايام التي نرى فيها الدول تأمر أساطيلها ومراكبها الحربية بالتنقل من مرفأ الى مرفأ ومن ثغر الى ثغر وفي الشهور التي تنادي فيها أمم بالويل والثبور وعظائم الامور لمن يعتدي على حرمة بلادها وتعد ما استطاعت من بأس وقوة ومن رباط الخيل رهب به اعداءها ، دع الطيارات والمصفحات والدبابات والمهلكات والغازات الخائقة والسامة ، وفي الوقت الذي تدعي فيه بعض الشعوب ملكية بعض البحار فتقول عنه (بحرنا) وتأبى الا أن تكون سيده ذلك البحر الخضم - في هذا الوقت الذي نرى فيه كل تلك المعدات ولا نرى لمصر فيها معدات تذكر فلا أسطول ولا بحرية ، يجب علينا أن نرجع البصر ونقلب صفحات الماضي المجيد فنذكر ما كان لنا من قوة وبأس ومن أسطول وبحرية ليس في الماضي المتراخي في القدم أيام الفراعنة ومن تلاحم فحسب بل وفي السنين القريبة منا التي يكاد يذكرها بعض المسنين ممن نعموا بالعيش فيها والتي يذكرها أولاد من اشتركوا في خدمة مصر في تلك الأيام حتى انا لنكاد نرى خيال تلك العظمة ماثلاً أمامنا اذا ما عثرنا على شيخ هرم اشترك في جيش ذلك العهد أو حدثنا رجل من اعيان الارياض عن أبيه الذي كان قبطاناً في الاسطول المصري أيام محمد علي

واني لأذكر يوماً في هذا الشهر جلست في صباحه مع عين من اعيان القيوم وكان الحديث ذا شجون ورحنا ننقل من حديث الى حديث وكان جلستنا وكانت على بحر يوسف ونحن نرى مياهه النيلية الحمراء تتدفق أمامنا وتمر بسرعة كما مر قرن أو يزيد على تلك الذكرى السارة المؤلمة ، ذكرتنا بما كان لمصر من عز ومنعة قبل قرن من الزمان أيام أبي الشعب المصري في العصر الحديث فاخذ الرجل يحدثنا عن أبيه الذي كان قبطاناً لسفينة حربية من سفن الاسطول المصري اذ كانت البحرية المصرية أيام منشأها محمد علي كالنيل النجاشي وهو يزخر بمياهه ويتدفق في عظيمته وجلاله وما أصبحت عليه البحرية اليوم فهي كقناة صغيرة تستمد مياهها القليلة بشادوف

يعمل فيه صاحبه بمجهود ليروي قيراطاً وسهماً من الارض. ولعل رؤيا مياه بحر يوسف اماننا وقتئذٍ وانتقال الخيال السريع هو الذي دعا ذلك السيد أن يحدّثنا عن البحر والاساطيل والمراكب فتعمر بالوسنان كشرائط من اشربة الصور المتحركة وأن يحدّثنا عن الماضي والآباء والجدود. وليس ذلك السيد هو الخلف الوحيد من سلالة من اشتركوا في قيادة السفن الحربية أيام محمد علي أو في بنائها فانت أينما سرت وبمخمت عثرت على ذريتهم منتشرة من ساحل البحر الابيض المتوسط الى اقاصي السودان. وكان ذلك الحديث هو الذي أثار الذكرى لاتمام بحثنا عن البحرية المصرية قديماً وحديثاً وكنا قد نشرنا جانباً كبيراً منه قبل اليوم على صفحات المقتطف. فلنعد اليوم الى ذكر مفخرة من مفاخر الاجيال ونشر شذا الذكر الطيب عن تلك الايام السعيدة بعد أن شغلتنا أمور عن نشرها محمد علي والبحرية المصرية

يمكن تقسيم الكلام على البحرية المصرية الى قسمين كل قسم منها يخص الكلام فيه على مدة فالدة الاولى تبدأ بسنة ١٢٢٤ هـ الموافقة لسنة ١٨١٠ ميلادية وتنتهي سنة ١٢٤٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٢٩ هـ والمدة الثانية تبدأ من سنة ١٢٤٤ هـ الموافقة لسنة ١٨٢٩ ميلادية وتنتهي بولاية ابراهيم باشا سنة ١٢٦٥ هـ الموافقة لسنة ١٨٤٨ ميلادية

المدة الاولى

بعد أن لبث محمد علي والياً على مصر عدة سنوات ارسلت اليه الدولة التركية العثمانية أمراً بتوجيه حملة عسكرية على الوهابيين لاسترداد البلاد التي احتلوها من الحجاز خشية استفحال أمر دولتهم الناشئة في قلب جزيرة العرب. فرأى محمد علي أن نقل الجنود والمعدات الحربية من مصر الى الحجاز غير ميسور الا على ظهور المراكب عن طريق البحر الاحمر فبادر الى تشييد دار صناعة السفن ببولاق لانشاء تلك السفن فأمر بقطع الاشجار الصالحة لبناء السفن وتجهيزها ثم تنقل مكثكة على ظهور الابل الى السويس فترك هناك ثم تنزل في البحر لحمل الرجال والعتاد الحربي والمؤن والذخائر وبذا يمكن أن يقال ان تلك السفن المنشأة كانت النواة الاولى للبحرية المصرية أيام ذلك الرجل العظيم وكان لتلك السفن فضل كبير في نجاح الحملة التي وجهت الى الوهابيين وجعلت لمصر مقاماً وهيبة في البحر الاحمر وثموره

وقد ذكر الجبرتي في تاريخه في حوادث شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٤ هـ ما نصه :

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الاحد سنة ١٢٢٤ هـ (يوافق ٧ يناير سنة ١٨١٠ ميلادية) وفيه شرع الباشا (يريد محمداً علياً) في انشاء مراكب لبحر القلزم (البحر الاحمر). فطلب الاخشاب الصالحة لذلك. وارسل المعينين لقطع اشجار التوت والنبق من القطر المصري القبلي والبحري وغيرها من الاخشاب المجلوبة من الروم (بلاد الاناضول). وجعل بساحل بولاق ترسخانه (دار صناعة

للسفن (وورشات معامل ومصانع) وجمعوا الصنّاع والنجارين والنشّارين فيهيئونها وتحمل اخشابها على الجمال ويركبها الصنّاع بالسويس سفينة ثم يقلقونها ويبيضونها ويلقونها في البحر فعملوا اربع سفائن كبار احداها تسمى الابريق (لشبهها بالابريق وكانت عبارة عن سفينة بساريتين وقولع مربعة واسمها عند الافرنج بريك) وخلاف ذلك داوات لحمل السفار والبضائع

ويفهم من كلام الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٧ هـ (توافق سنة ١٨١٢ م .) أن دار صناعة بولاق كانت تنشئ (المراكب السكبار والصغار التي تسرح في النيل من قبلي الى بحري ومن بحري الى قبلي ولا يبطل الانشاء والاعمال والعمل على الدوام وكل ذلك على ذمته (على حساب محمد علي باشا) وممرتها وعمارتها ولوازمها وملاحوها باجرتهم على طرفه لا بالضمان كما كان في السابق . ولهم قوّة ومباشرون متقيدون بذلك الليل والنهار)

ثم انه ذكر في حوادث تلك السنة عينها ما نصه :

ان الباشا ارسل لقطع الاشجار المحتاج اليها في عمل المراكب مثل التوت والنبق من جميع البلاد القبلية والبحرية فلبث المعينون لذلك في البلاد فلم يبقوا من ذلك الا القليل لمصلحة اصحابه بارشا والبراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون فيجتمع بترسخانة (دار صناعة السفن ببولاق) الاخشاب لصناعة المراكب مع ما ينضم اليها من الاخشاب الرومية (من بلاد الاناضول) شيء عظيم جداً يتعجب منه الناظر من كثرتة . وكلما نقص منه شيء في العمل اجتمع خلافه اكثر منه

وعاد الجبرتي فذكر في حوادث سنة ١٢٣١ هـ (توافق ١٨١٦ م .) ما نصه : والعمل والانشاء بالترسخانة مستمر على الدوام والرؤساء والملاحون يخدمون فيها بالاجرة وعمارة خللها واحبالها وجميع احتياجاتها على طرف الترسخانة . ولذلك مباشرون وكتّاب وامناء يكتبون ويقيدون الصادر والوارد . وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الاخشاب الكثيرة والمتنوعة وما يصلح للمهائر والمراكب ويأتي اليها المجلوب من البلاد الرومية (الاناضول وغيره) والشامية . فاذا ورد شيء من انواع الاخشاب سمحوا للخشابة بشيء يسير منها بالتمن الزائد ورفع الباقي الى الترسخانة . اهـ

وفي دار صناعة السفن ببولاق كان انشاء البحرية المصرية الاولى ايام محمد علي وفيها انشاء سفنًا كباراً حتى رأى انشاء دار الصناعة بالاسكندرية . ويقال ان ذلك المجهود الهائل من نقل الاخشاب من مختلف بلدان مصر والشام والاناضول وبقية البلاد التركية الى بولاق لعمل السفن مفككة لتقل على ظهور الجمال كان يستدعي استخدام نيفاً وعشرة آلاف من الابل كان يهلك بعضها اثناء العمل فيعوض بغيرها وامكنه بذلك ان ينشئ ثماني عشرة سفينة كبيرة كاملة العدة وانزالها الى الماء في مدة عشرة اشهر ^(١) وذكر اسمعيل باشا سرهنك في كتابه (حقائق الاخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٢٦) بعد الكلام عن دار صناعة بولاق ما نصه :

(١) المسيو فيلكس مانجان F. Mangin في تاريخه عن مصر مطبوع ببافيس سنة ١٨٣٩

وشيد بالسويس مباني لصناعة السفن أنشأ بها أربع سفن جسيمة من نوع الابريق (وهي سفن بماريتين وقلوع مربعة) وأحدى عشرة سفينة أخرى من نوع السكونة (وهي سفينة بسارية واحدة لها قلوع مربعة ونصف سارية ذات قلوع مخروطية). ثم توجه العزيز (يعني محمداً علياً) بنفسه إلى السويس لشارفة ما بها من السفائن سنة ١٢٢٥ هـ. وهناك أمر بضبط ما بها من المراكب وما بغيرها من سواحل البحر الأحمر لاستعمالها في الحملة الوهابية. وروى سر هنك باشا رحمه الله (ص ٢٢٨) بذكر عودة الوهابيين للقتال بعد تعهدهم بالكف عنه فقال ما نصه: واستعد محمد علي باشا لقتالهم وأعد السفن ببولاق مصر لحمل الجنود بالنيل إلى مدينة قنا لتسير من هناك إلى ثغر القصير وجعل على هذه القوة ولده إبراهيم باشا (١٢ شوال سنة ١٢٣١ هـ - ٣ سبتمبر سنة ١٨١٦ م). ثم ركبوا اسطول البحر الأحمر إلى ينبع ١ هـ. وهذه كانت الحملة الثانية لمحاربة الوهابية كما يفهم من سياق الكلام. ويظهر أن الفرق في عدد السفن التي أمر محمد علي ببنائها في رواية مسيو فيلكس مانجان ورواية سر هنك باشا وهو ثلاث سفن هو الذي أخذه محمد علي مما وجدته بالسويس كما يشير إلى ذلك الباشا في روايته هذه

الاسطول المصري في البحر المتوسط

على أن محمداً علياً كان ذا نفس وثابة طموحاً إلى إنشاء دولة كبيرة بعيد النظر لحماية بلاده فرأى أن ينشئ اسطولاً ضخماً إلى جانب الجيش الذي كونه للمحافظة والدفاع عن البلاد ولافتتاح كما رأينا من سيرة ذلك الرجل العظيم

ولما كانت مراكمته التي أصبحت تحجز البحر الأحمر لا يمكنها أن تسير إلى البحر المتوسط أذ لم تكن القنطرة قد انشئت وقتئذٍ. ولما كان يعلم أن بلاده في حاجة إلى اسطول يحمي شواطئها الشمالية وإلى بحرية ليستعين بها على نقل المتاجر والمعدات ولتكون صلة وصل بين مصر وغيرها من الدول الأخرى لهذا رأى أن ينشئ عمارة مصرية واسطولاً قوياً يحجز عباب البحر المتوسط بين أفريقية وآسيا وأوروبا

فلجأ أولاً إلى شراء سفن حربية من الخارج وأوصى على إنشاء بعضها في ثغور أوروبا مثل مرسيليا وليفورن وتريستا وجنوه وساحلها بالمندفع وعهد بقيادتها إلى قباطين من الاسكندرية والأتراك كانوا بالسفن التجارية. أما ملاحوها ونوتيتها فكانوا من المتطوعين. وعهد إلى بعض الضباط من فرنسا وإيطاليا في تدريب البحارة وتعليمهم. يضاف إلى ذلك سفينتان حربييتان كان السلطان محمود العثماني قد أهداهما إليه. أما السفن التي أحضرها محمد علي بواسطة بعض تجار الفرنج فكانت من نوع الفرقاطة والقرويت والابريق على مثال السفينتين اللتين أهديتا إليه من السلطان

وكان في الاسكندرية دار صناعة قديمة تبني بها بعض السفن من طراز قديم وجعل شاكر افندي الاسكندري رئيساً للهندسة فيها وضم إليه رجلاً عرف ببراعته في فن بناء السفن وكانوا من مشهوري

المعلمين بالاسكندرية يسمى الحاج عمر فجعله محمد علي رئيساً للانشاء وعمار السفن وجعل الحاج احمد اغا ناظراً على بناء السفن . ولما حضر المسيو بيسون Besson وكان من ضباط السفن الحربية الفرنسية الى مصر في سنة ١٨٢١ وعرض خدمته على محمد علي فجعله ملاحظاً للسفن التي امر بصنعها في دور صناعات السفن بأوروبا . وقد حاز ثقة الباشا (محمد علي) وارتقى حتى انعم عليه برتبة البكوية وعرف بالفيس اميرال بيسون بك (اعني نائب امير البحر) . وأوجد ادارة خاصة للاساطيل المصرية وجعل صهره محرم بك محافظ الاسكندرية رئيسها مع احتفاظه بعمله كمحافظ

واشترى محمد علي عدة سفن شرعية لنقل الذخائر والمهمات كانت تجلب الاخشاب اللازمة لدار الصناعة الجديدة بالاسكندرية وقد كانت على الشاطئ الشرقي من الميناء الغربية جهة خط الصيادين بالاسكندرية . وجعل بها معامل للحداثة والنجارة والقلفظة وغير ذلك مما تحتاج اليه السفن الحربية . وكانت تلك السفن الشرعية تجلب الاخشاب اللازمة من سواحل بلاد الاناضول

وقد اشتركت السفن التي انشاها محمد علي في الاسكندرية مع السفن التي أمر بإنشائها في دور صناعة السفن بأوروبا أو التي اشتراها والسفينتين اللتين اهديتا اليه من السلطان في وقعة نافارين ببلاد مور باليونان في يوم ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م

ويرى صاحب السمو الامير العلامة عمر طوسون الذي يعنى عناية خاصة بأعمال جده الكبير ان السفن الحربية التي اشتركت في تلك المعركة كانت اربعاً وثلاثين قطعة غير سفن النقل التي بلغت اربعاً واربعين ، وقد عرف الامير الجليل من سفن محمد علي الحربية قبل موقعة نافارين اسماء خمس فرقاطات وهي

(١) شير جهاد (٢) رشيد (٣) ثريا (٤) احسانيه (٥) جهادية وستة قراويت وغولنات هي :
١ - بلنك جهاد - ٢ رهبر جهاد - ٣ نافارين - ٤ چيلان - ٥ وشنطن - ٦ تمساح
وقد سمي امين باشا سامي في كتابه تقويم النيل ج ٢ اثنتين من الفرقاطات المذكورة باسم سوريا والحربية بدلاً من ثريا وجهادية

ولا يسعنا الا شكر سموه أجزل الشكر على هذا البحث القيم وعلى الصور التي سمح لنا بنقل نسخ منها لبحثنا هذا كما توجد بعض الصور لفرقاطات محمد علي الاولى في كتاب (فرقاطات محمد علي الاولى من سنة ١٨٢٤ - سنة ١٨٢٧ لجورج دوين

Les Premières Fregates de Mohamed Aly 1824-1827 par Georges Donin

فليرجع اليه من يريد

ولما كانت موقعة نافارين البحرية من الشهرة التاريخية بمكان فقد رأينا أن نتكلم عليها قبل انتقالنا الى الدور الثاني من الكلام على البحرية والاسطول المصري أيام محمد علي وموعدا العدد التالي ان شاء الله

هـى الدنيا

للساعرة ربير ابوب

بكتك عيون السحاب إذا ادمعي لم تفي
ربيعي بشرخ الشباب إذا الحب لم ينطفي
وقلي كالموقد

ويا صيف عمري إذا ذكرت زمان الصفا
اقول عداك الاذى عفا الله عما عفا
وعما جنته يدي

وانت زمان الخريف فياحزن روحي عليك
مشيت بقلبي الضعيف بما قد تبقى لديك
من الامس نحو الغد

وجاء زمان الشتا وهبت رياح الشمال
فقلت لنفسي متى يحط الغريب الرحال
ويمضي الى المرقد

حمامة وادي الغرام بحق الحسان الملاح
قني فوق تلك الخيام وصيحي المعنى استراح
وراح بلا موعد

اورقاء فوق الغصون بحمرتها تصطي
انا قد برتني السنون وامسيت في معزل
ولا جر في موقدي

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الرصايطي

اجتمع لي طائفة من أسماء المفردات النباتية وحررت ما يقابلها في بعض اللغات الاجنبية لترتيبها في معجم والآن عن لي أن أنشرها تبعاً في مجلة المقتطف الغراء في بيان موجز أذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزراعة أو الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — (الديمياطي)

شجر النارنج

بفتح الراء وكسرها فارسيته (نارَنك) ولعل أصله مشتق من السفسكريتية (نَاجَرَنجا) (Nagrunga) وباهندية (نَارَنجي) (Narungee) تنفرع شجرته اقل من شجرة البرتقان كثيراً . وفروعها الصغيرة خضراء اللون فاتحة . ولأوراقها ذنبيات (اعناق) للواحد منها جناحان متميزان اكبر كثيراً منهما في ورقة البرتقان . وكذلك أزهارها بيض اكبر واذا كى رائحة . وثمرتها في حجم البرتقانة الا أن سطحها اكثر خشونة ولونه اصفر برتقاني يكون فاقعاً عند النضج . ولها ذو عصارة حامضة مرّة مقسوم الى ١٢ فصاً أو ١٤

اسمه العلمي (Citrus aurantium, L., Var. Bigaradia, or amara, L.) (سيتروس اورانشيوم بيغاراديا او أمارا) او (Citrus vulgaris) (سيتروس ولغارس) وفصيلته السذابية (Rutaceae) (روتاسية) وبالانجليزية (Marmalade, Sour, Bitter, or Seville Orange) وبالفرنسية (Bigaradier, ou Oranger amer)

قيل موطنه القديم جمال هيمالايا بالهند واصبح الآن يغرس في جميع المناطق الحارة وجنوب اوربا وجزائر أسورة بالمحيط الاطلنطي وجزائر الهند الغربية ومصر والشام والسودان وغيرها من اجل ثماره وأزهاره واوراقه . اما ثماره فيصنع منها نوع من المربي والطريقة في ذلك ان يبتدأ بتقطيع النارنجات الناضجة الى انصاف ثم الى ارباع وتنزع ألباب الارباع وبدورها وترى ثم تقطع القشور الى شرائح رفيعة وتنقع في الماء اربعاً وعشرين ساعة وبعدئذ تغلى في ماء جديد بمقدار ثلاثة ارطال وربع من الماء لكل رطل من النارنجات حتى يصير لونها اصفر كالكمهرمان ثم تغلى

ثانية مع سكر مقداره ثلاثة ارطال عشرين دقيقة اخرى ويستمر في غليها حتى تصير فالوذجية تكون مربى النارج . وبعبارة اخرى يؤخذ لكل رطل من النارجيات ثلاثة ارطال وربع من الماء وثلاثة ارطال من السكر . وقد يصنع من القشور نوع من الحلوى تحفظ مسكرة . ويسمى العنصر المر في قشر النارج (هسپريدين) (Hesperidine) وفي بذوره (ليمونين) (Limonin) وشجر النارج يحصل من زهره الابيض الطيب الرائحة بالتقطير على زيت طيار ذكي الرائحة جداً يسمى (زيت نيرولي) (Neroli Oil) يدخل في صنع الروائح العطرية الثمينة وكثيراً ما يحصل عليه في جنوب فرنسا من زهر النارج والبرتقان معاً فيكون بنسبة نصف جرام الى جرام واحد من الزيت من كل كيلوجرام من الزهر . وقد قدّر بعضهم ما ينتج من القدان من زهر النارج في بعض البلدان بخمسين جنيهاً وهو ربح وفير

ويستقطر من الاوراق والاغصان والثمار الفرجة الصغيرة زيت طيار آخر يسمى (زيت پتيجران) (Petitgrain Oil) يدخل في الروائح العطرية قيل اجوده يأتي من پاراغواي بأمرقة الجنوبية ويستقطر من الأزهار كذلك ماء الزهر المعروف وهو هاضم للطعام مضاد للتشنج والصداع هذا الى ان منقوع الاوراق مع اوراق البرتقان دواء مسكن معروف في الطب . والنارج بالنسبة الى ثماره ثلاثة اصناف :

- ١ - (النارج العادي) والنارنجة منه كبيرة عصارية مرّة ولونها اصفر برتقاني فاتح وهو الذي يربّب عادةً
- ٢ - (النارج الوردي) وسطح النارنجة منه مثأل بلا نظام وهو نادر في مصر
- ٣ - (النارج الحلو) شجرتة كبيرة والنارنجة منه اصغر منها في العادي ويمتاز بعدم حموضة لبه بل بحلاوته في مرارة وبوفرة عصارته . قيل إنه كان في حديقة احمد طوسون باشا ابن محمد علي باشا بشبرا فكان يسمى (النارج الطوسوني) وسمي ايضاً (بالنارج اليوسفي) نسبة الى يوسف الفندي الذي كان محافظاً لرشيد على عهد المرحوم محمد علي باشا وصار بعد ذلك امين نزل في جزيرة كريد مع العساكر المصرية

شجر البرغموت

صنف من النارج اوراقه شبيهة بأوراق الليمون ولهذا يقال له في مصر (ليمون الجرجون) ورقته مستطيلة قمتها حادة او منفرجة حافتها مسننة قد يكون لذنبها جناحان . وأزهار البرغموت صغيرة ذكية الرائحة جداً . وثمرته في شكل الكمثرى مستديرة من قمتها ضيقة من قاعدتها طولها تسعة سنتيمترات وعرضها سبعة تقريباً مقعرة عند اتصالها بالغصن . قشرتها رفيعة ملساء او محببة سطحها اصفر اللون فاتح . لبها ابيض تقريباً رائحته ذكية جداً وطعمه حمضي قليلاً

اسمهُ العلمي (Citrus aurantium, L., var. Bergamia, Risso.) (سيتروس اورانشيوم برغاميا)
 من فصيلة النarinج واسمهُ بالانكليزية (Bergamot) وبالفرنسية (Bergamotier)
 موطنهُ الصين وهونادر في مصر وكثيراً ما يزرع بكالابريا في جنوب ايطاليا. اما ثماره فيستقطر من
 قشورها زيت طيار ذكي الرائحة ثمين يقال له (زيت البرغموت) (Bergamot Oil) يدخل في تركيب
 الروائح العطرية جاء في بعض المراجع انه يحصل على ثلاثين اوقية منه من كل الف ثمرة وان ثمن
 هذا المقدار من الزيت جنيه ونصف الى جنيهين بحسب درجة نقاوته
 هذا وقد يستخرج من الأزهار زيت آخر ايضاً له استعمالات كالسابق
 وهناك صنف آخر من هذا الشجر مشهور بزيت أزهاره الذكي الرائحة جداً وارتفاع ثمنه
 وهذا الصنف يسمى بالفرنسية (بيغاردييه) (Bigardier) قيل إنه يستقطر جرامان فقط من هذا الزيت
 من كل كيلو جرام من الزهر وان ثمن الرطل منه يتراوح بين ١٢ و ١٨ جنيهاً

شجر البرتقاليان

أو (البرتقال) أو (النارنج الحلو) وفي الشام (البردقان) قيل إنه مشتق من التركية
 (پورتقال) أو (پورتوقال) أو أنه نسبة للبرتغاليين الذين نشروه بين الناس بعد سياحاتهم
 الكثيرة الى بلاد الهند موطنهُ الاصلي فقد سماه فورسكال^(١) (نارنج البرتغال) ويسميه الاسبان
 الى الآن نارانچا (Naranja) وما زال اهالي نيقوسية عاصمة قبرص يسمونه (پورتغالي)
 ترتفع شجرته من ٨ اقدام الى ١٢ قدماً أوراقها مستطيلة خضراء اللون قائمة. وأزهارها تنشق على
 الاغصان فرادى او مجتمعة بتلاتها (وريقات التويج فيها) بيض ثخينة كثيرة الغدد الزيتية المصفرة
 وثمرتها البرتقانة المعروفة سطحها اصفر واليه تنسب الصفرة البرتقانية ولها حلو سكرى مقسوم الى
 فصوص او ١٠

اسمهُ العلمي (Citrus Aurantium, L., Var. sinensis, Gall. Citr. or dulcis Volk.) (سيتروس
 اورانشيوم سينسيس او دولسيس) وفصيلته السذابية (Rutaceae). (روتاسية) وبالانجليزية
 (Common, or Sweet Orange) وبالفرنسية (Oranger)

موطنهُ قديماً في الجنوب الشرقي من آسيا وفي رأي في الهند الشمالية واصبح الآن يزرع في
 جميع المناطق الحارة وجنوب اوربا وجزائر اسورة بالمحيط الاطلنطي وجزائر الهند الغربية
 ومصر والشام والسودان وغيرها كما اصبحت تجارتها تعود برنج وفير. والبرتقان يؤكل عادة طازجاً كفاكهة

(١) بيتر فورسكال (Peter Forskal) الرحالة والعالم الطبيعي السويدي عاش من سنة (١٧٣٦ - ١٧٦٣ م.)
 وبعد ان اتم علومه في جامعة جوتنبرج بالمانيا ارسله ملك الدانيمارك في بعثة علمية الى مصر وبلاد العرب فوضع كتاباً
 في نباتات مصر وبلاد العرب وتوفي في ريمان شاباً به بالطاعون في ربيع من بلاد اليمن

او يعصر منه شراب او يتخذ منه نبيذ في بعض البلدان . ويحصل من قشوره بالتقطير على زيت طيار رخيص يعرف (بزيت البرتقان) يدخل في تركيب بعض الروائح العطرية الثمينة ويحصل من أزهاره الطازجة كما في النارنج على زيت نيرولي الذي يدخل في صنع الروائح العطرية ويستقطر من اوراقه وثماره الصغيرة زيت طيار آخر استعماله كالسابق ويستخرج من الازهار ماء الزهر المعروف بفوائده في الطب في حالات التشنج والصداع . قيل إن الرائحة الخاصة في عسل شبة جزيرة سورتو القريبة من نابولي بإيطاليا انما ترجع الى اغتذاء النحل من زهر البرتقان فيها هذا وشجر البرتقان قد يكبر فيعمر طويلاً فقد جاء في بعض المراجع انه عمّر في قرطبة بإسبانيا نحواً من ٧٠٠ سنة وان شجرة منه كانت معروفة باسم (جران بوربون) (Grand Bourbon) بترساي عمرت نحواً من ٤٦٠ سنة . أما خشب البرتقان فابيض اللون يضرب الى الصفرة صفيق صلب جيد في الصقل جميل المنظر عطري الرائحة لا يفتك به السوس يصلح لنجارة بعض الاثاث ولكنه لا يصمد للتغيرات الجوية

وعلى الاجمال فالمنتفع به من شجر البرتقان انما هي الثمار والازهار والاوراق والخشب . وهو بالنسبة الى ثماره اصناف كثيرة اهمها :

- ١ - (البرتقان البلدي) في مصر شجرته قوية كثيرة الثمر وهو جيد الطعم بوجه عام
- ٢ - (البرتقان السكرى) شجرته غير شائكة وهو متوسط الحجم او كبيره قليل البذور معروف في مصر
- ٣ - (برتقان القديس ميخائيل) كبير الحجم فشرفته رفيعة ولبه احمر قان وطعمه جيد قليل في كثرة ما تنتجه شجرة واحدة منه إنها حمت عشرين الف برتقانة في السنة في جزائر آسورة المحيط الاطلسي
- ٤ - (البرتقان ابو سرّة) ويعتبر اجود اصناف البرتقان كبير وفي طرف قة الواحدة منه نكتة شبهوها بالسرّة ولبه كثير العصارة يكاد يكون بلا بذور وشجرته غير شائكة تقريباً تبكر في حملها وقد انتشر في مصر حديثاً
- ٥ - (اليافاوي) ويقال له (الشاموتي) يمتاز بكبر البرتقانة وحجمها البيضي ولبها العصاري الكثير وبقلة البذور فيها او عديمها
- ٦ - (البرتقان الاحمر) ويقال له (أبو دم) وهو متوسط الحجم ذو لب قرمزي اللون قان شبيه بالدم قليل البذور شجرته غير شائكة معروف بمصر

٧ - (برتقان بلنسية) صنف مستحدث شجره مشهور بطول وقت إنتاجه خلافاً للمعتاد

٨ - وثم نوع من البرتقان الياباني يقال له (كوميكوات) (Kumquat) من الفصيلة نفسها اسمه العلمي (Citrus japonica, Thunb.) (سيتروس جاپونيكا) ذائع في اليابان والصين ونادر

في مصر ترتفع شجيرته من متر الى مترين اوراقها صغيرة رفيعة اهليلجية الشكل مستطيلة حافتها ذات اسنان كبيرة . وثمراتها صغيرة الواحدة منها في حجم حبة كبيرة من العنب الافرنجى المسمى بالانجليزية (Gooseberry) أي عنب الاوز الذي هو نوع من (الرباس) (Ribes) والحبة سطحها اصفر برتقاني فاقع برّاق وقشرتها رفيعة حلوة الطعم ذات رائحة خاصة وابها مز الطعم مقبول مقسوم الى خمسة فصوص

واهل اليابان والصين يزرعونها ويحبون اكل ثماره ذات القشور الحلوة والالباب المزة وكثيراً ما يصنعون منها نوعاً من الحلوى المحفوظة مسكّرة او يتخذون منها مربى

شجر يوسف افندي

او (البرتقان اليوسفي) نسبة الى رجل ارمني كان يسمى يوسف افندي ارسله المرحوم محمد علي باشا الى فرنسا لتعلم فن الزراعة الاوروبية فلما عاد في سنة ١٢٤٨ هجرية جلب معه صنفاً من البرتقان من مالطة غرسه بمحديقة شبرا التي وظف بها وطعمهم منه اصنافاً اخرى اهمها النارج فتكاثر منه شجر يوسف افندي وشجرة يوسف افندي ترتفع من ثلاثة امتار الى اربعة . فروعها رفيعة . واوراقها رمحية الشكل ملساء برّاقة تفوح منها وهي غضة رائحة عطرية . ثمرتها كالتفاحة حجماً وشكلاً . قشرتها رفيعة وسطحها اصفر اللون يضرب الى الحمرة تنزع بسهولة . وفصوصها سهلة الانفصال طعمها حلوانيذ اسمه العلمي (Citrus nobilis و Lour. Syn. Citrus deliciosa, Ten.) (سيتروس نوبيليس او سيتروس دليسيوزا) من فصيلة البرتقان وبالانجليزية (The Mandarin) وبالفرنسية (Mandarinier) موطنه الهند الصينية والآن عمّت زراعته في الهند وفلوريدا واوربا ومصر والشام والسودان وغيرها من اجل ثماره التي تؤكل فاكهة

وهو بالنسبة الى ثمره اصناف عديدة اهمها :

١ - (اليوسفي البلدي) معروف في مصر اغلبه حلو الطعم كثير العصارة والمظنون انه الاصل في الاصناف المصرية

٢ - (الملكي) صنف امريكي معروف بمصر نادر كبير الحجم جيد

٣ - (الهندي) ويعرف (بالسنتر) (Suntra) نادر في مصر مشهور بحلاوة طعمه

٤ - (الياباني) ويقال له (السانزوما او الانخوس) (Satsuma or Unchus) كبير الحجم يكاد

يكون بلا بذور وينشأ على اغصان شجره في شكل عناقيد كبيرة وهو نادر في مصر

٥ - (السيلافي) ويعرف (بالنازانان) (Nas-naran) في جزيرة سيلان الثمرة منه صغيرة الحجم

أو متوسطته ولها طعم عطري خاص

سُرُورُ الزَّمَانِ

قناة السويس

مكاتها من الناحية الاستراتيجية

للملازم الاول عبد الرحمن زكي

طبيعة الحبشة الجغرافية

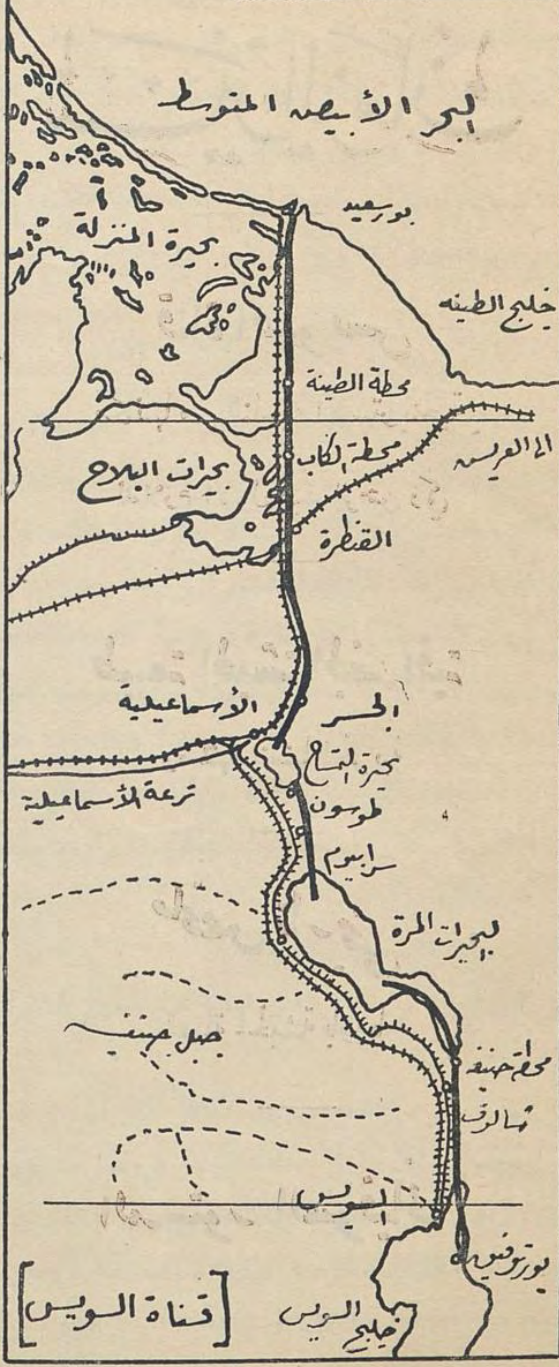
وصلتها بمنعتها الحرية

ملخص تاريخي

اصل الحبشة باوربا

المستور السوفياتي

القناة والبر
للك الحديدية



٢١

٢٢

[قناة السويس]



قناة السويس

مكائنها من الناحية الاستراتيجية

للعلازم الاول عبد الرحمن زكي

لا جدال في مكانة قناة السويس كحلقة اتصال بين اوربا وآسيا فهي أقصر طريق يصل بين الملكات البريطانية في الشرق وبريطانيا . وقد قال بسمارك (Bismark) انها « كالعمود الفقري » . وعلاوة على ذلك فالقناة أهم العوامل الرئيسية في تشكيل سياسة بريطانيا الخارجية وتسليطها عليها بفر ما للانجليز من مكانة متفوقة في الشؤون العالمية

ولتقدير قيمة تمسك الانجليز بالقناة يجب ان لا يغيب عن بالنا ذلك المبدأ الاساسي لسياسة بريطانيا الخارجية وهو المحافظة والعمل على توسيع الامبراطورية . فالهند تعد العقد الاساسي في الامبراطورية فاذا اطمأنت انجلترا الى سيادتها هناك فان همها الاول ينحصر في حراستها وتأمينها بجميع الوسائل الممكنة . وقد عرفت كيف تستفيد من قوتها البحرية فوضعت يدها على جميع المواقع الاستراتيجية الحيوية في طريق مواصلاتها التي تربط المحيطين الاطلانطي والهندي واستحوذت على مستعمرة الكاب من الهولنديين عام ١٨٠٦ فضمنت سيادتها على طريق الكاب ثم وضعت يدها على جبل طارق مفتاح البحر المتوسط (١٧٠٤) ثم على مالطة عام (١٨٠٠) وقبرص (١٨٧٨) وباستيلائها على عدن (١٨٣٩) وجزيرة بريم (١٨٤٧) والصومال الشمالي (١٨٨٤ - ٨٦) وسوقطرا (١٨٨٦) حولت البحر الأحمر الى بحيرة انجليزية . واخيراً ساد نفوذها على مصر فضمت آخر حلقة من حلقات المواقع العسكرية (١٨٨٢) وبذلك ضمنت بريطانيا سيادتها على الطريقين السلطانيين العظميين الى الشرق وهما قناة السويس والكاب

وقد وجهت حملة نابليون الى مصر عام ١٧٩٨ انظار انجلترا الى ما لموقع مصر من المقام الاستراتيجي كمرکز هام للدفاع عن الهند فاتبعت سياسة الاحتفاظ بالامبراطورية العثمانية وعدم الاضرار بها وتوثيق الصلة بين السلطان العثماني والوالي المصري . وكان أهم اسباب تلك السياسة خوف انجلترا من روسيا لكي لا تضع يدها على تركيا وترسخ قدمها في البحر المتوسط فتسيطر على العالم الاسلامي وتعرض طريق المواصلات الى الهند للخطر . فمثل هذه الاعتبارات الامبراطورية حملت انجلترا على مقاومة النفوذ الفرنسي في مصر واقتنع رجال السياسة البريطانيون بان استقلال سياسة الامبراطورية العثمانية وسلامة اراضيها أمر حيوي لا ندحة عنه لسلامة الاملاك الانجليزية في الشرق

وبينما كانت انجلترا تبذل كل نفوذها لعرقلة مشروع شق قناة السويس كانت قد صممت أن لا تدع أية فرصة لاية دولة لاسيما فرنسا أن يكون لها المقام الاول في البلاد المصرية . فخاية الهند

كما قلنا تقتضي ان تكون جميع المنافذ الموصلة اليها في أيد انجليزية. ولما تسلم «فردنان دلسبس» امتياز القناة ظلت معارضة انجلترا لها قوية واستمرت في خطة المقاومة اثني عشر عاماً. وبالرغم من كل مساعيها في تلك الناحية تم شق القناة وواجهت بريطانيا الامر الواقع فوجدت في انشائها ما لا يطاق لموقعها . . . ممر سلطاني أقصر ما يؤدي الى امبراطورية الهند يقع في قبضة اجنبية ومصدر ازعاج لرجال الامبراطورية كما وجد رجال ملاحتها غضاضة لا تريهم في العمل مع شركة فرنسية وهم الذين يقبضون على نواصي الحركة التجارية وكان عليهم ان يدفعوا ضرائب المرور الثقيلة ويتبعوا تعليمات شركة القناة وينفذوها بكل دقة

ومن هنا نشأت الحماسة لشراء اسهم الخديو اسماعيل باشا ليكون لانجلترا صوت مسموع في ادارة القناة. وعلى الرغم من انها أصبحت أكبر مساهم فيها لم تخضع القناة لمراقبتها بل استمرت القناة فرنسية كما استمر النفوذ الفرنسي في مصر قوياً. لكن انجلترا استطاعت بعد أعوام قليلة الارتفاع بنمو الحركة العربية في مصر فوضعت يدها بلباقة على أهم موقع جغرافي في العالم وضمنت مراقبة القناة الفعلية. ولما أصبح لانجلترا النفوذ السامي في مصر اتبعت سياسة أخرى تجاه الباب العالي. فقد كانت فيما قبل راغبة في المحافظة على «الرجل المريض» وهو مشرف على الموت. اما اليوم فعدت لا تعباً به لأنها نالت ما ربه ولم تر في بقاء تركيا ضامناً ضرورياً لحماية الهند وغدت السياسة الانجليزية ترى أنه من مصلحتها فك الصلة التي تربط السلطان بالخديو ورمت الى اكتساح نفوذه نهائياً

وكانت انجلترا قد خطت الخطوة الاولى في هذا السبيل بتأييد تلك السياسة فتمت الباب العالي من ارساله تجريدة عسكرية لاضمار الثورة العربية عام ١٨٨٢ وتظاهرت بأنها ستؤدي تلك المهمة بقواتها الانجليزية وثبتت عرش الخديو ثم جاءت حملة استرجاع السودان عام ١٨٩٨ فلم تظهر في الميادين العسكرية سوى الجنود المصرية والانجليزية وتمت الاتفاقية المصرية الانجليزية في يناير ١٨٩٩ وكان تركيا لم يكن لها دخل مطلقاً فكانت هذه الاعمال دلائل قوية على ان انجلترا حلت محل تركيا في نفوذها بمصر. ثم كان المسلك الشاذ الذي اتبعته انجلترا في مسألة حادث العقبة عام ١٩٠٦ ودلت نتائجها على ان انجلترا قد أصبحت صاحبة الكلمة العليا في مصر

أهمية موقع مصر

كانت لمصر مكانة استراتيجية خلال كل العصور التي مرت بها ولقد قال نابليون ذات مرة أن من يكون صاحب مصر يكون سيد الهند. وكانت حملته على مصر عام ١٧٩٨ تهديداً لا يمكن لانجلترا ان تنساه. ولما شقت القناة أصبحت مصر بحكم الطبع ذات أهمية عظمى لانجلترا وأصبح واضحاً جداً ان الدولة التي تسيطر على مصر لا بد لها من ان تسيطر على القناة أيضاً. وذكر «أدوارد ديسي» (Edward Dickey) ان مصر من ضروريات الامبراطورية التي لا غنى عنها قال ذلك في عام

١٨٧٧ قبل الاحتلال البريطاني . « فاذا أصبحت للانجليز اليد المطلقة في مصر فالواجب يقضي بأن تكون لها مكانة ممتازة بين البحر الاحمر وحدود الهند . فاذا تم لبريطانيا تقوية مركزها العسكري في مصر استطاعت ان تصد اي هجوم بوجه الى الهند من وادي الفرات . والشئ الوحيد الضروري لانجلترا هو ضمان حرية الملاحة في القناة » . وقال كاتب انجليزي آخر « ان مصر هي مركز العتلة لسياستنا الخارجية فهي في منتصف الطريق من الناحيتين السياسية والبحرية الاستراتيجية وبين امبراطوريتنا الشرقية والغربية فهي نقطة التوازن التي توفق بين علاقاتنا الخارجية وممتلكاتنا الامبراطورية » . ولذلك نجد في مصر انه من أسهل الامور إرباك الحالة السياسية او تأمينها فاذا تحققنا من مقام انجلترا في توزيع التجارة الشرقية استطعنا ان ندرك لماذا حاولت الوصول الى حفظ القناة بعيدة عن حرية تدخل الدول في تسيير دفتها ولماذا سعت السنين الطوال وجاهدت من دون كلل جهاداً سياسياً وعسكرياً وأديباً واقتصادياً لتسود القناة من جميع النواحي . ولم يرض اصحاب النظرية الامبراطورية بأقل من الرقابة الفعلية عليها »

وذكر « ديسي » في مقام آخر ان: « فكرة الحياد لا تتفق مطلقاً مع حاجتنا فأى تأويل مهم لتلك الكلمة يضعنا في مركز يزداد سوءاً . فالضمانات الدولية مهما تعني قيمتها ليست كفيلة بتأمين صلاتنا الحرة مع الهند او بعبارة اخرى لضمان امبراطوريتنا . ولما كانت الطريق الى الهند بفضل القناة تقع خلال شبه جزيرة سيناء ، ولما كان المتسلط على شبه الجزيرة يتحكم في القناة وجب علينا لئلا نينقنا ان نضع ايدينا على شبه الجزيرة . فنحن نرى انفسنا بين عاملين اما ان نرى طريقنا الى الهند مهدداً في زمن الحرب وإما ان نحتمل مصر . ومن هذه الورطة لا ارى مفرّاً »^(١)

وبانتهاء القناة أصبحت الطريق الرئيسي الى الهند فكان ضرورياً ان ترغب انجلترا في مراقبتها وجاء منطق التاريخ فجعل هذه الحقيقة واضحة وبموجب هذه النظرية دافع ديسي في كتاباته فقال: يجب علينا بكل الوسائل ومن جميع النواحي ان نعمل على وضع القنال تحت ايدينا . وهذا هو الغرض الحقيقي الذي نسعى اليه ويجب ان تكون قاعدة كل مفاوضة في المستقبل مصممة على هذا المبدأ . لقد حكم القضاء بأن تكون انجلترا سيدة القنال كما أصبحت سيدة مصر . وضد القضاء الحتم يضع سدى كل ما تعمله الآلهة والبشر سواء اكانوا في السويس ام كانوا في بناما^(٢)

عقب ذلك اثبتت في انجلترا مسألة القناة من ناحية حيويتها للمحافظة على الامبراطورية وفي عام ١٨٧٧ تساءل غلادستون (Gladstone) ماذا عسى ان تكون النتيجة لووقفت انجلترا مساعيها تجاه القناة . فكان الرد عليه بأن الضربة تكون قاضية لما يصيبها من التأثير في التجارة والرخاء

(١) مجلة القرن التاسع عشر يونيو ١٨٧٧ . مجلد ١ صحيفة ٦٨٤ (٢) مجلة القرن التاسع عشر اغسطس ١٨٨٣
 مجلد ١٤ صحيفة ٢٠٥ من مقال بعنوان « لماذا لا نشترى قناة السويس؟ »

والرافاهية العالمية . فنحن أعظم ناقلي المتاجر وأول أمة تجارية في العالم المسيحي وسنكون في مقدمة الخامسين

وكان من رأي « السير شارلز ديك » (Sir Charles Dilke) ان القناة تكون غير مأمونة في حالة اعلان الحرب ضد دولة بحرية كبيرة . فالقناة كسبيل من سبل المواصلات في زمن الحرب تصبح واهية تحيط العنكبوت فان سفينة او سفينتين تغرقان فيها او مقداراً من الديناميت ينفجر فيها بالقرب من خليج السويس او بعض طوربيدات تكمن في اثناء الليل تكفي لسدها . وثمة غير هذا من العراقيل البحرية التي يسهل ارتكابها . كل هذه تساعد سد المرور خلال القنال وتحرم السفن من اجتيازه مدة ايام او اسابيع وتمنع النقل بواسطة البحر المتوسط باستثناء الجنود من دون عتادهم الحربي ويكون من الصعب جداً المحافظة على حرية الملاحة في القناة حتى لو كانت داخل حدود الامبراطورية البريطانية . كما ان واجب حراسة القناة يستلزم تخصيص قوة كبيرة من الجنود لحمايتها ومراقبة المنافذ المؤدية اليها بواسطة جزء كبير من الاسطول . لكننا لا نملك حقوقاً خاصة تتعلق بالقناة وليست لنا قوة تمنع عنها العدد الضخم من السفن التجارية التي تعتمد اغراق نفسها في منتصف القناة ^(١)

قال المؤلف الانجليزي جورج هوپر (G. Hooper) في مقال نشره في مجلة الخدمة المتحدة عام ١٨٩٠ ان القناة غيرت الموقف البريطاني الى ما هو أسوأ حالاً فقد سمحت لدول ثانوية أخرى بالذهاب الى الهند بسهولة وكانت الاحوال الى قبيل انشائها تجعل للانجليز سيادة لاذراع فيها في تجارة الشرق . . . وقناة السويس أصبحت اليوم من اسباب النضال العنيف . ونحن اليوم اذا رأينا فردنان دلبس تشع من تمثاله هالة المجد التي تعترف بنبوغه وتفوقه فأنا نراه ايضاً كعمود اقيم لتفرقة البشر . ولقد انشئت القناة ضد رغبة انجلترا وصممت في الاصل لسكيدها ولطعناتها في صميمها . ومن المحتمل جداً انها كانت انتقاماً فعلاً من معركة وآرلو نجح نابليون الثالث في توقيعه ولم يتفق الكابتن ماهان Capt. Mahan مع من قالوا بالتخلي عن طريق القناة لعدم تأمينه في زمن الحرب لانه مع كل ما يلحق بالقناة حتى ولو انتهى الامر الى ردها لا يغير سير الاحوال الطبيعية التي جعلت لمصر مركزاً استراتيجياً للعمر الرئيسي بين الشرق والغرب وهو يعتقد انه من الخطأ الشنيع ان تسحب انجلترا يدها من مصر

ان موقع مصر العسكري ليس له مثيل في توسطه فركزها يسمح بحشد اكبر عدد من القوات العسكرية لتوزيعها الى اي مكان في حالتي الدفاع والهجوم ومنها تحوّل الى جبل طارق والهند . ومصر ملتي لاستقبال المواد من جميع الموارد فلا تستطيع بحرية أية دولة ان تعارضها وتقطع عليها خط الرجعة . وهذه الموارد اذا لم نبالغ في عددها قلنا انها تحيي من ميدانين او ناحيتين

(١) كتاب مشكلات بريطانيا العظمى لندن عام ١٨٩٠ ص ٦٥٧ — ٦٥٨ Problems of Great Britain

هما طريق البحر الاحمر والبحر المتوسط . فأني اسطول يمكنه الجمع بين الاثنين ؟ واذا امكن عرقلة طريق البحر المتوسط بقيت طريق البحر الاحمر اقصر السبل الى الهند واستراليا والكاب وموارد تلك البلاد تكفيها بل تزيد على ما تتطلبه وتستطيع الثبات مدة طويلة بينما يكون البحر المتوسط مقفولاً . ولا ننسى ان لبريطانيا طريقاً آخر هو طريق الكاب رغمًا عن طوله . وعلى كل حال فالمواصلات تبقى مستمرة كما هي . وهي خطة تقضي بها السياسة الاستراتيجية في حالة الدفاع فقط وليست في حالة الهجوم . والحل الوحيد لانقاذ الموقف لدولة تضع يديها على مالطة وجبل طارق ان تسيطر بقواتها على مصر وتعزز مركزها فيها . وهناك في الهند واستراليا والكاب تؤسس مصادر للإمدادات الضرورية

وسواء أكانت القناة حيوية ام غير حيوية لانجلترا فهذه ترى ضرورة السيطرة عليها لمنع كل دولة من عرقلة مواصلاتها الى الشرق . وقد كانت روسيا زمناً طويلاً أكبر مهدد لانجلترا في الهند . ونحن نذكر لها محاولتها العنيفة في الشرق الأدنى ومساعدتها لكسب ميناء تطل على البحر المتوسط ولفتح المضيقين (البسفور والدردنيل) لسفنها الحربية وتدخلها في شئون البلقان ومطامعها في الحبشة . كل هذه الامور اثارت ظنون انجلترا وشبهتها وخوفها . فانه بعد فتح القناة بدأت روسيا تنهم بشئون الحبشة ورغبت في تحويلها لحمايتها لتعارض بها سيادة بريطانيا على الطريق البحري نحو الشرق ولتعمل على مقاومة نفوذها لكي تجعلها قاعدة استراتيجية لها في حالة نشوب حرب بينها وانجلترا

وفي اثناء الحرب التركية الروسية (١٨٧٧ - ٧٨) حذر لورد دربي (Derby) الروسي ضد أي هجوم تحاول القيام به على قناة السويس وارسلت بريطانيا اسطولاً انجليزياً الى الاستانة . وفي يونيو ١٨٧٨ وضعت انجلترا قدميها في قبرص وهي اقرب جزر البحر المتوسط للقناة وجعلتها قاعدة للعمليات الحربية في شرق البحر المتوسط . وظلت مسألة المضيقين سنين طويلة من أهم عوامل الشقاق والمنافسة بين الانجليز والروس ولكي تظل انجلترا صاحبة النفوذ في حماية القناة والملاحاة في البحر المتوسط بقيت تقاوم كل محاولة تبذلها روسيا في سبيل السماح لها بمرور السفن الحربية من المضيقين . وهذا يفضي بنا الى عام ١٩٠٢ لما حصلت روسيا من السلطان على الاذن بمرور أربعة سفن طوربيد من الدردنيل والبوسفور للانضمام الى اسطول البحر الاسود فخشيت انجلترا هذا المبدأ . وفي يناير التالي قدم « السر . ن . أوكنور » مذكرة للباب العالي بطلب الحق في الحصول على نفس الامتياز لمرور السفن الحربية الانجليزية اذا اقتضت الاحوال

وفي عام ١٨٨٨ تأسست شركة المانية تحت اشراف « البنك الالماني » واشترت من الانجليز خط السكة الحديدية الممتدة من حيدر باشا الى ازميت ثم تولت فيما بعد باسم شركة سكة حديد الاناضول إنشاء فرع الى انقره . ولم تمضِ عشر سنوات حتى انتهى الالماني من مد ما يقرب من الالف كيلو

متر من الخطوط الحديدية داخل تركيا الاسيوية. وفي مارس ١٩٠٣ تسلّم البنك الالماني امتيازاً آخر لانشاء خط فرعي يصل بين قونيه والخليج الفارسي. وهذا المشروع الذي عرف باسم سكة حديد بغداد وضع الاستعماريون الالمان فيه املهم لاحياء الامبراطورية العثمانية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وبذلك نحدث سكة حديد بغداد سيادة انجلترا في الشرق واصبحت اسرع وسيلة للنقل الاوربي تنافس به منافسة جديدة الحركة التجارية في قناة السويس. وبحصول الالمان على منفذ بحري مطل على الخليج الفارسي يستطيعون تهديد المصالح البريطانية في تلك الجهة. ويستطيع ذلك الخطان يتصل فيما بعد بسكة حديد سوريا والحجاز فتهدد مواصلات الامبراطورية وتوقعها اضراراً جسيمة. لكن لم تخف على انجلترا نتائج النيات الالمانية فاستطاعت عام ١٨٩٩ الاتفاق مع أمير الكويت على ان لا يعقد أية اتفاقات دولية بدون موافقة المستشار البريطاني المقيم. وكان لذلك العمل نتيجة سريعة في احباط المشروع الالماني لمد الخط الى الخليج الفارسي

وقد ادرك كبار الكتاب الالمان ما لسكة حديد بغداد من المسكنة الاستراتيجية وكان من اشد المتحمسين لها الدكتور بول روهرباخ (Dr. Paul Rohrbach) الذي اشار مراراً خلال كتاباته الى الاخطار التي تلحق بالامبراطورية الانكليزية بسببها وكان مما ذكره انه يمكن مهاجمة انكلترا واصابها بطعنة نجلاء في البر من اوربا في مكان واحد وهو مصر. وليس معنى خسارة مصر ان تختم سيادتها على قناة السويس وانهاء سيطرتها على مواصلاتها الى الهند والشرق الاقصى فقط بل من المحتمل اصابتها ايضاً وفقدتها لمستعمراتها بأفريقيا الوسطى والشرقية. وان غزو مصر بقوة اسلامية كتركيا مثلاً كان يؤذي المصلح الانكليزية ويعرض سيادتها على الستين مليوناً من المسلمين في الهند للزوال. ولقد اشار اللورد كرومر الى خطر هجوم يقوم به الاتراك على القناة ومصر من ناحية شبه جزيرة سيناء وذلك منذ عام ١٩٠٦ عقب جفاء العلاقات السياسية بين بريطانيا وتركيا بسبب حادث الحدود. ومنذ ذلك الحين بدأ اهتمام هيئة اركان حرب الدفاع في بريطانيا بتلك الاعتبارات المهمة ودرس العسكريون خطط الدفاع عن القناة متوقعين كل الاحتمالات وقد رأينا كيف حشدت بريطانيا قواتها في اثناء الحرب العظمى دفاعاً عن القناة لصدها هجوم الاتراك والالمان عليها حتى لا تشل مواصلاتها المستمرة مع الهند واستراليا وزيلندا الجديدة وانقت بذلك الضربة التي وجهت اليها

وبانتهاء الحرب العظمى ماتت فكرة الهجوم من تلك الناحية الصحراوية ولم يعد هناك ما يخيف انجلترا بما اصبحت لها من النفوذ العسكري وبما انشأته من المطارات في العراق وفلسطين وشرق الاردن حتى العقبة

وهناك كثيرون يقولون أنه من المحال تدمير قوة انجلترا في حرب واحدة. ولكن قد يكون من الممكن تنفيذ هذا العمل في الاراضي المصرية. وان انشاء قناة السويس كان مصيبة لانجلترا وكان السياسيون الانجليز قد تنبأوا بهذا الخطر فعارضوا في شقها. ولا شك أنه اذا قدرت هزيمة

انكثرتا في مصر لدوت نتائج الهزيمة من جبل طارق الى سنغافورة . واذا تدمر مفتاح العقد اهار كل البناء واندكَّ صرح القوة الانجليزية في العالم^(١)

البحر الابيض المتوسط

نرى اليوم انجلترا أقوى دول البحر المتوسط بما تحتفظ به من القوات الكبيرة في قواعدها البحرية الموزعة بين جبل طارق ومالطة وقبرص والسويس وحيفا فهي تشرف على جميع انحاء هذا البحر الذي يريد اهل ايطاليا تسميته «بحرنا» (Nostro Mare) ولا نداسى ان لفرنسا في ذلك البحر عدة مصالح تشرف عليها بقواعدها البحرية في قورسيقا ويزرتا وأوران والجزائر . كما نذكر أيضاً رسالتها على سوريا . كذلك لايطاليا قواعدها بحرية في جزر الديدوكانيز ورودرس وخنوة ومسينا وناپولي وهي لا تقنع بمقامها الحالي . وسياستها في البحر المتوسط ترمي الى زيادة نفوذها ورفع مكانتها ليكون لها المقام الاول بين دول البحيرة الايطالية ! وكثيرون من الكتّاب الايطاليين تجد في كتاباتهم عن الدولة الايطالية الناشئة قولهم ان نصف سواحل فرنسا او اسبانيا تطل على البحر المتوسط فاذا اغلق في يوم من الايام في وجه الايطاليين باقدام انجلترا على اقبال جبل طارق والسويس استطاعت الجمهوريتان اللاتينيتان ان تعيشا ولا تهلكا لاتصالهما بمياه المحيط الاطلانطي ولا تفل حركة اعمالهما بأي حال من الاحوال . لكن ايطاليا وهي من دول البحر المتوسط القوية تمتد كمنظرة في عرض البحر وتطل كل شواطئها على مياهه وليست لها سواحل تلمس بحاراً أخرى . فايطاليا تعتمد عليه كل الاعتماد بل وحياتها تتوقف على المقاصد الطيبة التي يضمها للايطاليين من بأيديهم مفاتيح هذا البحر . وهي جبل طارق والسويس ومن أقاموا لهم قواعد قوية لا غراض امبراطورية ليست قومية في مالطة وقبرص مثلاً . والنتيجة المحتمة هلاك شعب تعداد سكانه ٤٣ مليوناً في شهور فلانل اذا اوصدت انجلترا منافذ البحر لتنفيذ اعمالها العدائية فتصيح ايطاليا اسجينة وتمنع عنها واردات الخنطة والفحم وزيت الوقود والحديد وجميع المواد الختام الضرورية لحياة شعب متمدن حديث فنحن نرى اليوم مشكلة ايطاليا في البحر المتوسط معقدة كل التعقيد . وان عراكاً نظهره الايام المقبلة لأجل السيادة فيه بين اصحاب الحق او من يدعيه امرٌ محتمل الوقوع عاجلاً أو آجلاً وسنرى انجلترا عاملة في سبيل تحقيق أغراضها الى النهاية . وقد قال السير آرثر ولرث عام ١٩٢٨ : ان البحر المتوسط هو المركز الاستراتيجي للامبراطورية فاذا فقدنا حرية المواصلات فيه من جبل طارق الى قناة السويس تفكك العامود الفقري لسياستنا الاستعمارية^(٢)

(١) من مقال للدكتور بول روهرباخ بعنوان "Das grössere Deutschland" نشر في ١١ سبتمبر ١٩١٥

(٢) من كتاب "Aspects of British Foreign Policy" للسير "Arthur Willert" طبعت في نيوهافن

طبيعة الحبشة الجغرافية

وصلتها بمنعتها الحرية^(١)

يرى السفنور موسوليني ان ايطاليا مسوقة بالحاجة القاسرة ، اقتصادية وشعبية ، الى بسط سيطرتها السياسية على الحبشة . الا ان ما عرف عن الاحباش وتمسكهم باستقلالهم ، يجعل كل محاولة للتوسع الايطالي متعذرة الا بعد نزاع عسكري واسع النطاق مع جيوش الامبراطور هيلاسلاسي . وقد كانت اقوى الوسائل التي اعتمد عليها الاحباش في الدفاع عن بلادهم طبيعتها الجغرافية والطبوغرافية ولا يخفى ان وسائل الحرب الحديثة قد اضعفت من شأن عوامل الاقليم والطبوغرافيا في الخطط العسكرية ، في الاحوال العادية . ولكننا كلما تعمقنا في درس النهج الذي يحتمل ان تنهجه الحملة الايطالية في الحبشة هالنا ما للعوامل الطبيعية من الشأن في مسيرها ومصيرها

ليس لايطاليا الا قاعدتان تستطيع ان تركز عليهما في حملتها على الحبشة وهما مستعمرتاها الافريقيتان اي الاريترية والصومال الايطالي . فالاولى على ساحل البحر الاحمر الى الشمال من الحبشة والثانية على ساحل المحيط الهندي الى الجنوب وعلى مقربة من خط الاستواء

ففي الاريتريا حشد موسوليني الجانب الاكبر من الحملة الايطالية الافريقية ومنها شرع في محاولته اكتساح الحبشة . ليس لمستعمرة الاريترية في حد ذاتها اي قيمة حقيقية من الوجهة الجغرافية . اما من الناحية الاقتصادية فكانتها قائمة على انها تسيطر على منافذ التجارة من شمال الحبشة وهي تجارة مقدارها يسير على كل حال . ولكن مكانتها من الناحية العسكرية كبيرة لانها تجهز الايطاليين بقاعدة للاموال العسكرية معتدلة الجو ، وترسخ اقدامهم في شمال النجد الحبشي . فاستمر عاصمة الاريترية بلدة متوسطة على ارتفاع سبعة آلاف قدم ومتوسط حرارة جوها السنوي ستون درجة بمقياس فارنهایت (اي ١٥ درجة مئوية) ولذلك يسهل على الاوربيين ان يقطنوها . الا ان ما يصدق على اسمر الا يصدق على مرفأ مصوع ، حيث تشتد الحرارة في معظم شهور السنة . واكبر الصعاب التي يتعرض لها سكان الاريترية قلة الماء فيها الناشئة عن قصر فصل الامطار

اما بلاد الصومال الايطالي في الجنوب فتختلف كل الاختلاف عن مستعمرة الاريتريا . فهي جزء من تلك المناطق الشبيهة بالصحراوية التي تحدد بال نجد الحبشي من ناحية الشرق ومنها بلاد الصومال البريطاني والصومال الفرنسي وسواحل الاريترية وولايات الحبشة الشرقية الشمالية والشرقية الجنوبية . ففي الصومال الايطالي لست تجد جبلا ذات شأن . فانخفاضها وقربها من خط الاستواء

(١) ملخص فصل للمسيو سكتا Scaetta صاحب المباحث العلمية في شمال افريقية وقلها وشرقا وهو الان استاذ علم الاقليم البيولوجي Bioclimatology في جامعة بروكسل في بلاد البايك . وقد نشر في عدد اكتوبر من مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs الربعية الاميركية

بجعلان سكنها متعذرة على البيض . وسكانها الاصليون يعيشون على الزراعة يعالجونها بأساليب ووسائل بدائية، ورعي القطعان . واصلاح مقاطعاتها للزراعة واديا نهر جوبا ونهر وني شيلي . فهذان النهران يأتيان من النجود العالية بماء للري وتربة خصبة تسمد الارض التي ترسب فيها . فالجيش المتقدم من مقادشيو عليه ان يسلك هذين الواديين او ان يخترق منطقة جافة طولها نحو ٢٠٠ ميل قبل ان يصل الى آبار وال وال وغرلوغوبي حيث تظهر على سطح الارض المياه المتحللة تحت الارض من النجود الشمالية . فهذه الآبار من الناحية الاستراتيجية لها مكانة عظيمة جداً

اما النجد الحبشي ، وهو بوجه عام ما كان يعلموا اكثر من خمسة آلاف قدم فوق سطح البحر ، فهو الجانب الوحيد من بلاد الحبشة الذي يصالح لاستعمار البيض . هنا يقطن الاحباش المسيحيون النكمون اللغة الاحمرية ، المسيطرون على القبائل القاطنة في الولايات التي تحيط بهذا النجد . والنجد نفسه مكوّن من صخور رسوبية مرتفعة تعلوها طبقة صخرية من اصل بركاني . وثمة جبال كثيرة يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم ، وبوجه خاص في الشمال ، وعدة جبال يبلغ ارتفاعها خمسة عشر الف قدم . والى الشرق ، بين النجد والبحر منخفض صحراوي من الارض يعرف بمنطقة الدناكل ، وهو منطقة جافة وبئمة بعض اجزائها اوطأ من سطح البحر ، ولم يفلح في اختراقها حتى الآن الا فريقان من الرحالين الاوربيين احدهما بقيادة لودفيكو نسبت Nesbitt وقد دعا « عقر الخليفة الجهنمي » . وتضيق هذه المنطقة الى الجنوب فتصبح كأنها خندق يفصل النجد الحبشي عن النجد الصومالي . فالطرف الجنوبي من هذا المنخفض اقل مناعة على الغزاة من منبسطة الشمالي وقد سلكته غزاة « الجلا » مراراً من القرن السادس عشر حين ارادت طوائف منهم ان تغزو الحبشة . يضاف الى هذا ان النجد الصومالي لا ينخفض انخفاضاً جافياً في هذه الجهة . فالعقبات الكبرى التي قد تعترض تقدم الايطاليين من هذه الناحية ، هي طول المسافة وقلة الماء ، اكثر منها طبيعة البلاد الطبوغرافية

اما في الشمال فعلى كل قائد ينوي ان يغزو الحبشة من ناحية الاريتريا ان يحسب حساب الخنادق الطبيعية التي خددها نهر التاكار وروافده في النجد الحبشي . ولما كانت هذه الروافد تعترض في اتجاهها خط التقدم العسكري ، ولما كان عمقها يزيد احياناً على نصف ميل ، فانها ولا شك تعرقل اي تغلغل عسكري في الحبشة وراء عدوه وبوجه خاص لعدم وجود جسور او طرق لعبور هذه الخنادق . فذا شاء القائد ان يجتنب هذه الصعاب فعليه ان يوجه جيشه من شرق هذه المنطقة عن طريق مكال ومجدلا . وهذه هي الطريق التي سلكتها حملة الجنرال نابيير Napier الانكليزي ضد الامبراطور

نيودوروس سنة ١٨٦٨

ويقسم الاحباش بلادهم ثلاث مناطق اقليمية
اولاها يسمونها «ديجا» وهي تشتمل على جميع البلدان التي تعلو اكثر من ثمانية آلاف قدم
عن سطح البحر . ويدخل في نطاقها جانب كبير من شمال النجد الحبشي والحاشية الشمالية من النجد
الصومالي . هنا نجد قطعان البقر والغنم مراعي على مدار السنة . ولكن بعض الثقات يرتابون في هل
يصلح اقليم هذه المنطقة لسكنى البيض من جنوب اوربا . ويختلف متوسط الحرارة السنوية من ٤٠
الى ٦٠ بميزان فارنهایت (٤/٩ - ١٥/٩) بميزان سنتغراد اي ان جوها بارد

والثانية ترتفع من ٤٨٠٠ قدم فوق سطح البحر الى ٨٠٠٠ قدم . وتعرف عندهم باسم
«ويناديجا» وفيها يختلف متوسط الحرارة السنوية من ١٥/٩ الى ٢٠ درجة مئوية (سنتغراد) .
هذه المنطقة المعتدلة تشتمل على جانب كبير من قلب النجد الحبشي والمناطق العليا من حوضي نهر
جوبا ونهر وبي شيبلي . وفي جوانبها توجد آثار الحراج الاستوائية التي ابقى عليها بعد ان اغتالت
الار والقطع معظمها . هنا تكثر الحبوب والحبوب والثمار الليمونية ويقول الاحباش انه في الامكان
جني ثلاثة محاصيل في السنة . واذا فهذه البقعة اصلح ما تكون لسكنى الاوربيين

اما المنطقة الثالثة فيختلف ارتفاعها من ٢٨٠٠ قدم فوق سطح البحر الى ٤٨٠٠ قدم وتعرف
عندهم باسم «كولا» . هنا يختلف متوسط الحرارة السنوية من ٢٠ درجة مئوية الى ٢٥ . والاحباش
يرون هذه المنطقة شديدة الخصب فاذا دبرت لها اساليب الري الحديث زادت خصباً . فثمة صنف
جيد من البن يزرع في اعاليها ، والقطن وقصب السكر يزرعان في مواطيها . وهي اقل صلاحاً لسكنى
الاوربيين من المنطقة الثانية ولكنها في الوقت نفسه تصلح لتجهيز ايطاليا ببعض المواد التي تحتاج
اليها اذا احسن تدبيرها وبوجه خاص القطن

اما المناطق التي اوطأ من المناطق الثلاث المتقدمة فشديدة الحرارة ومتوسط الحرارة السنوية
هناك ٣٠ درجة مئوية . ويقطنها في الغالب قبائل رحل مقلقة للامن ولا تهتم الاوربيين

ثم هناك اعتبار عسكري كبير الشأن . فالنجد الحبشي يرتفع احياناً الى قنن ذاهبة في الجو ،
وينخفض احياناً اخرى انخفاضاً فجائياً الى اودية عميقة ذاهبة في جوف الارض كما قدمنا . وليس
بين المرتفعات والمنخفضات سهول ما او ان السهول قليلة وضيقة . فالنجد مضرّس تضرساً شديداً ،
الا في منطقة بحيرة تانا ومنطقة البحيرات الى الجنوب من اديس ابابا . فلست نجد في النجد الحبشي
اما كن يمكن ان تتخذ قواعد كبيرة لمناورات جيوش جرارة

ومن الحقائق التي يجب على قيادة الجيش الايطالي ان تحسب لها حساباً في خططها نوع من التربة
الحمراء توجد عادة في البلدان الاستوائية . وهي كثيرة في الحبشة في الاماكن التي يقل ارتفاعها عن

٦٠٠٠ قدم . ففي فصل الجفاف تكون هذه التربة جافة صلبة في الظاهر ولكن اقل ضغط تعرض لها بموجبها دقيقتاً دقيقتاً . فاذا سقط رذاذ تموجات الى معجون زلق كأنه صابون ، فيعسر السير فيها حتى مشياً . وفي هذه الحالة يتعذر على اية مركبة ان تصعد في طريق شديدة الانحدار . وان قافلة من الدبابات او سيارات النقل اذا فوجئت وهي في طريقها بهطول مطر غزير ، لتضطر ان تلبث في مكانها حتى ينحبس المطر وتشرق الشمس وتجفف التربة . وهذا يفسر تعذر القيام باي اعمال حربية في الحبشة قبل سبتمبر وهو الشهر الذي ينتهي فيه فصل الامطار

مما تقدم من وصف الحبشة الجغرافي والطبوغرافي يستطيع القارئ ان يتصور الخطة العسكرية التي يجب ان يجري عليها من ينوي غزو الحبشة . فالقوة الزاحفة من سواحل المحيط الهندي ، عليها بعد ان تحتاز سواحل الصومال الايطالي واوغادن ، ان تجعل هدفها الاول احتلال الجانب الشمالي من النجد الصومالي وهو يقع في ولاية هرر . فاذا اتخذت وال وال وغرلوغوي قاعدتين لها استطاعت ان تسلك وادي حوبا ووبي شيلي وهي كما تقدم ، تؤاتي ذلك من ناحيتي الجو والماء فاذا فازت باحتلال هذه المنطقة مكنتها ذلك من السيطرة على فاصل النهرين الرئيسيين في الصومال الايطالي ، وعلى ذلك الجانب من نهر هواس الذي يسير في وادي الرفت ، وهو الوادي الذي تقطعه سكة الحديد من اديس ابابا الى جيبوتي . حتى اذا لم تحتل القوة الغازية سكة الحديد ، فانها تستطيع ان تسيطر عليها باحتلالها للجانب الشمالي من النجد الصومالي

اما الهدف الذي توجه اليه القوة الزاحفة من الاريتريا فيجب ان يكون احتلال الجبال الى الشمال والشرق من بحيرة تانا . لانه مازالت هذه البلاد الوعرة في ايدي العصابات الحبشية فلا تجرؤ اية قوة على التغلغل الى قلب النجد الحبشي لئلا تتعرض مؤخرتها لهجوم العصابات . وقد يكون من العوامل العسكرية في هذه الناحية ، ان انهار الاتربة والتكاز والنيل الازرق تنبع في هذه المنطقة ، ومباها — وخاصة مياه النيل الازرق النابع من بحيرة تانا — متصلة او ثقب اتصال بحياة مصر ، فلما راجح ان بريطانيا تحتفظ بسياستها التقليدية في صدد هذه المنطقة وهي منطوية في عدة معاهدات ونصريات رسمية وقاعدتها عدم التسليم لاية دولة اوربية بأفلاق السلام فيها

ولابد للجيش الايطالي الزاحف من شق الطرق وبناء الجسور والا تعذر عليه ان ينجي فائدة ما من استعمال الدبابات والسيارات المسلحة . الا ان هناك صعوبة هندسية كبيرة ، ولكن التغلب عليها غير مستحيل ، وهي وجوب نقل المواد اللازمة في بناء الجسور مسافات طويلة من ايطاليا الى مصوع ومن مصوع الى اسمر الى المناطق التي يحتلها الجيش الزاحف . يضاف الى هذا ان الجسور نفسها ، والطرق الجبلية ، والمستودعات ، معرصة دائماً للسيول تجرفها في تدفقها

وليس ثمة ما بقي منها . فعلى المهندسين العسكريين يقع معظم التبعة في نجاح الحملة او خذلانها
ولما كانت حاصلات الحبشة الزراعية لا تكاد تكفي الاحباش انفسهم ، وما يحتاجون اليه يسير
بالقياس الى ما يحتاج اليه جيش اوربي ، فلا يعقل ان تستطيع القيادة الايطالية الاعتماد عليها في
جانب من مؤنة الجيش . ولذلك سوف تضطر الى استيراد كل ما يحتاج اليه الجيش من الخارج وهو
عمل شاق وكبير النفقة

يتضح مما تقدم ان تقدم الجيوش الايطالية في زحفها على الحبشة يتوقف على شق الطرق الصالحة للفرق
الميكانيكية بين القواعد الحربية المتقدمة وقواعد الذخيرة والمستودعات على الساحل . لذلك يكون
كل تقدم سريع من ناحية الاريتريا محموقاً بالخطر . ومع ما جهزت به الحملة الايطالية الافريقية من
وسائل الحرب الميكانيكية ، فان فتح اي بلاد يقتضي احتلال المراكز العسكرية الهامة وتنظيم ادارتها
وابقاء حاميات كبيرة فيها . فالبث في كل من هذه المراكز قبل التقدم الى غيرها يفسح المجال للمهندسين
فيشقون الطرق ويرصفونها . ولا يستطيع الجيش الايطالي ان يجني الفائدة كل الفائدة من تفوقه
في الاسلحة الميكانيكية الا على هذا النمط

ولا ننسى ان أحد العناصر التي تسهل زحف الجيش الايطالي او تؤخره ، مدى المقاومة التي
يبدلها الاحباش وغنفلها . والاحباش يفوقون خصومهم في ملاعمتهم لاحوال البلاد . ففي وسعهم ان
يجتازوا مسافات شاسعة مشياً يعجز عنها البيض الاوروبيون . فهم يستطيعون ان يقطعوا مسافة
تختلف من ٢٥ ميلاً الى ٤٠ ميلاً في اليوم ويمضوا في ذلك بضعة ايام متوالية . ويستعملوا صنفاً
خاصاً من البغل الاهلي يتصف بخفة الحركة والصبر والاكتفاء بيسير من الغذاء . واستعمالهم يمكنهم
من نقل المدافع الرشاشة والمدافع الجبلية الى قمم منيعة فيعرفون تقدم العدو باستمالتها من اعاليها
ان اساليب الحرب الميكانيكية ، ورجال المشاة المثقلة باعبائها الحديثة ، تفقد اكبر جانب من تأثيرها
في مثل هذه الاحوال . اي ان القوات الغازية يجب ان تستعمل جماعات كبيرة من رجالها للتغلب
على عصابات اقل منها عدداً واضعف عدة ولكنها متصفة بخفة الحركة ومعرفة البلاد . ولما كانت
طبيعة البلاد الطبوغرافية ما هي ، فالراجح ان الاحباش لا يعمدون الى التجمع بل على الضد من
ذلك يجدر بهم ان يعتمدوا على التفرق والتخفي والتسلل . فاذا جروا على هذه الخطة واستطاعوا
ان يستدرجوا خصومهم الى الاودية والخنادق الطبيعية وهناك يمزقون شملهم . ولا ريب
في انهم سيحاولون في الوقت نفسه ان يعرفوا الصلة بين فرق العدو المتقدمة وقواعد الاساسية
ان سر نجاح الاحباش في مقدرة الامبراطور على الاحتفاظ بحرية حركة جيوشه وسرعتها .
فاذا استطاع ذلك ، اضطر الايطاليون ان يهاجوا معاقل منيعة بطبيعتها . وهذا من شأنه ان

يفلّ من سورة جيش غير متعوّد الاجهاد البدني في بلاد مرتفعة . يقابل هذا انه اذا اتى للعدو الزاحف ان يحتل بعض هذه المعاقل المنيعه، فقوم الاحباش يضطرون حينئذ ان يغامروا بطوائف كبيرة من جيوشهم لاسترجاعها ، وفي هذه الحالة لا تجدي شجاعة الاحباش كثيراً ضد المدافع الضخمة والرشاشة وقنابل الغاز

ولا ينتظران تجني فائدة كبيرة من اسراب الطائرات الايطالية ، لقلة الاهداف التي تتجه اليها . فلا يحتمل ان تفاجيء جموعاً كبيرة من جيوش الاحباش لان المتوقع ان هذه الجموع لا تمتدح الا ليلاً . وليس هناك مدن كبيرة او مراكز أهلة تصلح ان تكون اغراضاً تتجه اليها الطائرات وتلقي عليها قنابلها . والراجح ان جلّ الفائدة التي يمكن ان تجني من اسراب الطائرات الايطالية فائدة معنوية ، اذ قد يكون مشاهد هذه العفاريث الطائرة وهي تطلق مدافعها الرشاشة مما يبعث الملح في الجيش والشعب على السواء

نعم للطائرات فائدة كبيرة في استطلاع حركات العدو ، وقد تكون عوناً في حركة المشاة ، ولكن مدى طيرانها محدود بما يمهدها من المطارات . وقد تجد القيادة الايطالية ان جميع هذه العوامل تقضي بالافلال من الاعتماد على الطائرات في ادراك اغراضها . ولكن يجب ان نذكر انه لم تنشب حرب كبيرة بعد اتقان الطائرات الحديثة بين احوالها واحوال الحرب الايطالية الحبشية شبه ما ، ولذلك فالحكم في هذا الصدد مرهون باختبار سلاح الطيران الايطالي في الحبشة

ثم ان موسوليني يجب ان يحسب حساباً لطول فصل الجفاف في الحبشة لتحقيق اغراضه الاولى والنائية . فهل ادراك الغرض النهائي وهو اخضاع الحبشة قاطبة ، مستطاع في فصل واحد ؟ لقد بينا في ما تقدم ان الجيش الزاحف من الشمال عليه ان يحصن القواعد التي تركز عليها مواصلاته مع اسعرا ومصوّع ويبقي فيها حاميات كبيرة . وان تقدّمه لذلك لابد ان يكون بطيئاً في البدء . وان التقدم من الجنوب قد يكون اسهل منه في الشمال ولكن الجيش الزاحف مع ذلك يحتاج الى تأمين طرق مواصلاته بعد انشائها . وانه بعد احتلال الولايات المحيطة بقلب النجد الحبشي يكون الايطاليون في بدء مغامرهم الحقيقية في الحبشة لا في نهايتها . فاخضاع الحبشة يقتضي اخضاع الاحريين والشوعيين وهم شعوب وقبائل شديدة الشكيمة مجري حب الاستقلال في دماهم ويضيفون الى منعة معاقلمهم الجبلية الوعرة ، كرهاً للاجانب يغذيه شبانهم المتعلمون في اوربا واميركا . واذن فراجع ان لا يكتفي فصل واحد لادراك الاغراض النهائية التي وضعها موسوليني نصب عينيه وعندئذ يتحوّل النزاع الى حرب عصابات قد تطول سنين . فاخضاع ليبيا ، وهي اقرب الى ايطاليا ، وليس فيها الا ٢٠٠ الف مسلم للقيام بحرب العصابات ، اقتضى من ايطاليا عشرين منة . وفي هذه الحالة تضطر الحكومة الايطالية ان تنفق بدرات من الاموال ومهج الوف والوف من ابنائها



خريطة لبلاد الحماة
والبلدان المحيطة بها وبعض مواقعها الحربية

فصول الرواية

ملخص تاريخي

لصلة الحبشة بأوروبا من اواسط القرن الماضي الى الآن

- ١٨٦٧ الحملة البريطانية بقيادة السر روبرت نايبير (لورد بعدئذ) Napier وهي حملة جردت على الامبراطور ثيودورس لاطلاق سراح بعض الانكيز الذين اسرهم وكان بينهم قنصل بريطانيا . وقد دخلت الحملة مجدلا في ١٣ ابريل سنة ١٨٦٨ فوجد قائدوها الامبراطور ثيودورس وقد انتحر . وفي مايو سنة ١٨٦٨ غادرت الحملة بلاد الحبشة
- ١٨٧٥ اشترت حكومة بريطانيا نصيب الخديوي اسماعيل من اسهم شركة قناة السويس (راجع تأثير هذه الصفقة في مقام بريطانيا في مصر في مقالة « قناة السويس ومكانتها من الناحية الاستراتيجية صفحة ٤٧٣ من هذا العدد)
- ١٨٨٢ ثورة عرابي باشا في مصر واحتلال انكلترا للقطر المصري
- ١٨٨٩ معاهدة اوتشالي (Ucciali) بين الحبشة وايطاليا . عقدت هذه المعاهدة مع منليك بعد ارتقائه عرش الحبشة بتأييد من الايطاليين . ثم فاضوه في تحديد العلاقة بين الحكومتين فانتهت المفاوضات الى معاهدة اوتشالي . وقد جاء في النص الايطالي لهذه المعاهدة ان منليك يتخذ من الحكومة الايطالية سبيلاً له في جميع مفاوضاته من الدول والحكومات الاخرى . وهذا معناه بسط الحماية الايطالية على الحبشة . ولكن يظهر ان النص الاحمري كان يختلف عن النص الايطالي في هذا الصدد . ولما اخذ الايطاليون يتقدمون في ولاية «التيجرة» ويحاسنون بعض الزعماء من خصوم منليك، ثبت لمتبعي الحلة ان اغراضهم تتعارض ورغبة الامبراطور منليك في الاحتفاظ باستقلاله . ولذلك اعلن منليك الدول في سنة ١٨٩٣ بالغاء معاهدة اوتشالي
- ١٨٩٦ معركة عدوة . ولكن الايطاليين مضوا في تقدمهم . فكان من اثر هذا التقدم توحيد الامبراطورية الحبشية وضم صفوفها بزعامه منليك . وفي شهر مارس من سنة ١٨٩٦ التقت قوة ايطالية مؤلفة من ١٤٥٥ جندياً وضابطاً بقوة حبشية مؤلفة من ١٠٠ الف مقاتل على مقربة من عدوة فهزم فيها الايطاليون شر هزيمة فعقدت بعدها معاهدة في اديس ابابا الغيت بمقتضاها معاهدة اوتشالي واعترف باستقلال الحبشة المطلق وقضى منليك الاثني عشرة السنة التالية في التغلب على القبائل الخارجة عليه

وعقد المعاهدات مع الدول الاوربية لتعيين الحدود بين الحبشة والبلدان المجاورة لها
الخاضعة لبريطانيا وفرنسا وايطاليا

١٨٩٧ في شهر مارس من سنة ١٨٩٧ عقدت معاهدة مع فرنسا عيّنت بمقتضاها حدود
الصومال الفرنسي . وفي شهر مايو من السنة نفسها عقدت معاهدة مع بريطانيا لتعيين
حدود الصومال البريطاني . وقد نص فيها على ان قبائل الصومال البريطاني التي تدخل
مقاطعتي هرر واوغادن في طلب المراعي لها حق في استعمال المراعي والآبار التي في
هذه المنطقة . وعقدت في السنة نفسها مع ايطاليا لتعيين حدود الصومال
الايطالي ولكنها لم تنشر وانما ذكرت في معاهدة الحدود سنة ١٩٠٨

١٩٠٠ في شهر يوليو من سنة ١٩٠٠ عقدت معاهدة مع ايطاليا لتعيين حدود الاريتريا
من ناحية الحبشة

١٩٠٢ وفي شهر مايو من سنة ١٩٠٢ عقدت معاهدة مع بريطانيا لتعيين حدود السودان
وفي الشهر نفسه عقدت معاهدة اخرى مع بريطانيا لتعيين الحدود بين السودان
والحبشة وبين السودان والاريتريا

١٩٠٦ المعاهدة الثلاثية بين بريطانيا وايطاليا وفرنسا وقد تمهدت فيها هذه الدول الثلاث
بالمحافظة على سلامة الحبشة ، وان لا تعتمد احداها الى التدخل في شؤونها من دون
الاتفاق مع الدولتين الاخرين وحددت فيها منطقة نفوذ كل منها في الحبشة
وقد اعترضت الحبشة على هذه المعاهدة

١٩١٩ عقدت معاهدات الصلح ولم تمنح ايطاليا مستعمرات ما في افريقية وفقاً لمعاهدة
لندن السرية التي عقدت قبيل دخولها الحرب الكبرى في جانب الحلفاء فكان ذلك مدعاة
لامتعاضها وتبرمها

١٩٢٣ انتظمت الحبشة في جامعة الامم باقتراح فرنسا وتأييد ايطاليا . وكانت بريطانيا قد
عارضت في انتظامها اولاً ثم سلمت به مجازاة لرأي الاكثرية . وكان وزير خارجية فرنسا
يومئذ المسيو هانوتو الذي كان وزيراً للمستعمرات يوم حادث فاشودة . وقد قيل ان
تأييد فرنسا وايطاليا لانتظام الحبشة في الجامعة كان غرضه احباط خطة بريطانيا في
الحبشة او ما فسر على انه خطتها هناك عند ما دعت الى السعي لالغاء الرق فيها

١٩٢٥ تبادل الحكومتان البريطانية والايطالية مذكرات في صدد اتفاق على بناء سد على
بحيرة تانا ومد طريق من حدود السودان اليها وانشاء خط حديدي ايطالي بين
الاريتريا والصومال . والى القارى الفقرة المهمة من مذكرة السفير البريطاني نقلاً عن
مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs الربعية الاميركية

« لذلك لي الشرف بناء على تعليمات وزير خارجية جلالة الملك ان اطلب الى سعادتكم تأييدكم ومساعدتكم في اديس ابابا قبل الحكومة الحبشية للحصول على امتياز الحكومة جلالته (الحكومة البريطانية) ببناء سد على بحيرة تانا مع حق بناء طريق للسيارات لنقل العمال والموظفين ومؤونتهم من حدود السودان الى السد

« يقابل ذلك ان حكومة جلالته مستعدة ان تؤيد الحكومة الايطالية في الحصول من الحكومة الحبشية على امتياز ببناء سكة حديدية من حدود الاريترية الى حدود الصومال الايطالي ويكون من المفهوم بيننا ان سكة الحديد هذه وكل ما يلزم لها من الاعمال لبنائها وتسييرها يكون لها حق مطلق في اجتياز طريق السيارات التي اشير اليها في الفقرة السابقة

« فتحقيقاً لهذين الغرضين يصبح من الضروري ان يبعث بتعليمات متماثلة لممثلي بريطانيا وايطاليا في الحبشة ليعملا مشتركين امام الحكومة الحبشية للحصول على الامتيازات التي ترغب فيها حكومتنا بريطانيا وايطاليا في بحيرة تانا وبناء سكة الحديد التي تصل الاريترية بالصومال الايطالي ولكي يكون منح هذين الامتيازين في وقت واحد . فاذا فازت احدى الحكومتين بامتيازها الخاص الذي تسعى اليه واخفقت الاخرى يتعين على الحكومة التي فازت بما تطلب ان لا تتهاون في سعيها الحثيث لتحقيق ما تتطلبه الحكومة الاخرى

« فاذا تمَّ لحكومة جلالة الملك (بريطانيا) بمساعدة حكومة ايطاليا الحصول على الامتياز الخاص ببخيرة تانا من الحكومة الحبشية فهي (اي حكومة بريطانيا) مستعدة ان تعترف بانشاء منطقة نفوذ اقتصادي ايطالي في غرب الحبشة خاصة بها وفي كل المنطقة التي تجتازها سكة الحديد المذكورة آنفاً . ثم انها تتعهد بأن تؤيد طلب حكومة ايطاليا لامتيازات اقتصادية في تلك المنطقة امام حكومة الحبشة »

وقد قبل السنيور موسوليني القواعد التي ذكرت في هذه الوثيقة الرسمية ولكن فرنسا عارضت فيها لان معاهدة ١٩٠٦ الثلاثية تنص على حظر اي اتفاق ثنائي خاص بالحبشة . ولما كان هذا الاتفاق او مشروعه قد تمَّ بين ايطاليا وبريطانيا من دون علم فرنسا فقد عارضت فرنسا فيه وبوجه خاص لانها لم تكن صديقة لايطاليا حينئذٍ . وكذلك اعترضت عليه الحبشة من طريق جامعة الامم فلم يعمل به

عقدت معاهدة تحكيم بين ايطاليا والحبشة والمادة الاساسية فيها تنصُّ على ما يلي :
« تتعهد الحكومتان ان تعرضا للمصالحة والتحكيم الخلافات التي تنشأ بينهما والتي تتعذر تسويتها بالاساليب الدبلوماسية المألوفة من دون اللجوء الى القوة المسلحة .

وعلى الحكومتين ان تتبادلا مذكرات في صدد الاسلوب الذي يتخذ لتعيين المحكمين «
وفي ٧ اكتوبر من هذه السنة توجّج الرأس تفري ملكاً . وماتت الامبراطورة
زوديتو في ابريل سنة ١٩٣٠ فتوجّج امبراطوراً في ٢ نوفمبر من السنة نفسها ، متخذاً
لنفسه لقب هيلاسلاسي الاول

١٩٣٠ في شهر اغسطس من سنة ١٩٣٠ وافقت حكومة الحبشة على تنفيذ الاتفاق الخاص
بتجارة السلاح الذي وقع في « سان جرمان آن لاي » سنة ١٩١٩

١٩٣٤ سبتمبر : اتفقت ايطاليا والحبشة على الامتناع عن الاعتداء

نوفمبر : اعتذرت الحبشة عن مهاجمة القنصلية الايطالية في غوندار

دسمبر : اصطدام جنود صوماليين ايطاليين بمجنود احباش في وال وال

يناير : عقدت ايطاليا وفرنسا اتفاقاً في روما تنازلت فيه فرنسا لايطاليا عن جانب ١٩٣٥

من اسهم سكة حديد اديس ابابا وصرّحت ان مصالحها في الحبشة محصورة
في ما يتعلق بهذه السكة

فبراير : بدأت ايطاليا تعدّ حملتها الافريقية

مارس : رفضت ايطاليا طلب الحبشة ان يعهد الى جامعة الامم في تحقيق حادث

وال وال . وقطعت المفاوضات المباشرة بين الحبشة وايطاليا

ابريل : مؤتمر ستريزا واتفاق فرنسا وبريطانيا وايطاليا على موقف مشترك في

صدد المشكلات الاوربية

مايو : عين مجلس جامعة الامم لجنة للمصالحة والتحكيم

يونيو : ذهب الكاتبين ايدن الى روما وعرض على موسوليني اعطاء الحبشة

منفذاً الى البحر في زيلع في الصومال البريطاني لقاء ما يتنازل عنه

النجاشي من اراضي الحبشة لايطاليا فرفض موسوليني ما عرض عليه

يوليو : اجّلت لجنة التحكيم اجتماعاتها . والفت حكومة ايطاليا القانون الخاص بمجمل

الغطاء الذهب للنقد ٤٠ في المائة . ناشد البابا الحكومات للاحتفاظ

بالسلام . حظرت بريطانيا تصدير السلاح الى كلتا ايطاليا والحبشة

اغسطس : ١٨ منه . عقد مؤتمر في باريس بين ممثلي حكومات بريطانيا وفرنسا

وايطاليا ، فاففق في محاولته الوصول الى تسوية لان ايطاليا رفضت ان تنظر

في المقترحات التي عرضتها فرنسا وبريطانيا . وجاء في بيان من الحبشة ان

النجاشي عرض ان يتنازل عن مقاطعة اوسا مقابل اراض تمنحها الحبشة

في ناحية اخرى

١٩٣٥ ٢٢ اغسطس : قرّرت الوزارة البريطانية ان تقف من جامعة الامم موقفاً يعزّز عهدها
 ٣١ منه : اذيع نبا الامتياز الذي منحه النجاشي في الحبشة للمستري ريكيت
 الانكليزي نائباً عن طائفة من اصحاب المصالح المالية في انكلترا واميركا .
 ففسّر هذا العمل عند اذاعته على انه سعي من انكلترا « لحلب البقرة
 قبل تسليمها لموسوليني » فكذّبت وزارة الخارجية البريطانية اي صلة
 لها بهذه الصفقة وطلبت الى وزيرها المفوض في اديس ابابا ان يشير على
 النجاشي بامساك الامتياز وافضى تعقّد الحالة الناشئة عن ذلك الى
 انسحاب شركة فا كوم منه وكانت صاحبة اكبر نصيب فيه . وقرّر
 الكونغرس الاميركي ان يحظر توريد الاسلحة الى كلا الفريقين المتحاربين
 سبتمبر : ٣ منه . قدّمت لجنة التحكيم — وكان الميسو پوليتيس اليوناني قد
 اختير محكماً خامساً فيها — تقريرها في حادثة وال وال فاذا هو لا ياتي
 اللوم على احد الفريقين

٤ منه : عين مجلس جامعة الامم لجنة الخمسة للبحث في الموضوع واقترح تسوية
 ١١ منه : التي السر صموئيل هور خطبته في الجمعية العمومية لجامعة الامم متعهداً
 فيها بالنيابة عن الحكومة الانكليزية باستعداد بريطانيا « للدفاع المشترك
 عن عهد الجامعة كاملاً » واعربت سائر الدول عن مثل هذا العزم
 ١٨ منه : قدّمت لجنة الخمسة تقريرها . فقبلته الحبشة اساساً لمباحثات . ورفضته
 ايطاليا رفضاً باتاً

٢٣ منه : اعلنت ايطاليا زيادة جيشها الى مليون هندي ، ووجوب استعداد
 الامة لحشد عام عند الدعوة اليه . وشرعت انكلترا في تعزيز اسطولها في
 البحر المتوسط

٢٥ منه : اعلن الرئيس روزفلت قائمة بالمواد الحربية التي يحظر تصديرها الى
 البلدان المتحاربة

٢٦ منه : اجتمع مجلس جامعة الامم وقرّر بالاجماع مقترحات لجنة الخمسة وان يمضي
 في السعي لحل النزاع الايطالي الحبشي بمقتضى المادة الخامسة عشرة
 من عهد الجامعة (مادة المصالحة Conciliation)

٢٩ منه : ردت بريطانيا على فرنسا بأنها مستعدة ان تشارك في كل مقاومة اجماعية
 لدولة معادية بحسب عهد الجامعة

اكتوبر : ٢ منه : تخطت الجيوش الايطالية حدود الحبشة

المستور السوفياتي الاشتراكي^(١)

للإسناد ولهم بفت مرود^(١)

— ٣ —

٣ : تمثيل الحرف — أهم ما يمتاز به نظام الحكم السوفياتي هي القاعدة المتخذة أساساً للتمثيل السياسي . فأننا نرى بريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة وغيرها من الدول الرأسمالية البرلمانية تتخذ الموقع الجغرافي أساساً للتمثيل فيجري الانتخاب من قبل جميع الناخبين في الولاية والاقضية والنواحي المتكونة منها الدولة بحسب المناطق أو الدوائر الانتخابية التي تعين على أساس جغرافي . والنائب المنتخب على هذه الصورة يمثل لواء فيه فلاحون وعمال صناعيون وعمال مناجم وموظفو سكك الحديد وأصحاب حرف حرة وتجار وملاك وأصحاب معامل الى غير ذلك من انواع الطبقات الاقتصادية، فهو يمثلهم كمجموعات من السكان بلا التفات الى احوال معيشتهم اليومية المتباينة ومصالح طبقاتهم المتضاربة . والسبب في تطبيق هذا التمثيل هو ان النظرية الجغرافية تعتبر ان مصالح المصوّت تتأثر بالمكان الذي يعيش فيه وليس بالحرفة التي يعيش عليها

اما النظام السوفياتي فيتخذ من الحرف أساساً للتمثيل السياسي ، ومع ان المناطق الجغرافية تستعمل ايضاً في التمثيل الحرفي الا ان استعمالها ليس إلا لتسهيل عملية التصويت الحرفي . وفي هذا النوع من التمثيل يصوت الاشخاص ذوو الحرف المختلفة كل على حدة مع افراد حرفتهم : فعمال المناجم يصوّتون في فريق وعمال الحديد في فريق آخر والجنود في فريق ثالث والفلاحون في فريق رابع الخ . . . كل بحسب اختصاصه الحرفي ينتخب ممثليه من طبقته . فلا يمثل حامل المناجم او الفلاح المنتخب الى مؤتمر سوفيت الاتحاد مدينة موسكو او تفليس او البلدة التي يأتي منها بل يمثل افراد فريقه بالمهنة بلا التفات الى محل الإقامة . وهذا النوع من التمثيل اقرب الى التمثيل الحقيقي لمصالح الناخبين من التمثيل الجغرافي بكثير وهو يعد افضل اسلوب للتمثيل جرب في العالم لانه يمثل حقيقة مصالح كل فريق حربي تمثيلاً صحيحاً حالة ان التمثيل الجغرافي خلو من معنى الديمقراطية الصحيحة وصيانة مصالح الناخبين بل هو حيلة تفوز بواسطتها الطبقات المثيرة الاقطاعية والبورجوازية في البلاد الرأسمالية بالقوة السياسية مع ادعائها منح المساواة والديمقراطية لجميع افراد المجتمع

ومن الواضح ان التمثيل الجغرافي الذي تتمشى عليه البلاد الرأسمالية على الاخص ضعيف من اساسه لا يتلاءم والديمقراطية الحقيقية التي تدعي انها تصونها لانه لا يعير اي اهتمام الى كون ان

(١) Socialist Soviet Constitution (٢) استاذ التاريخ والحكومات في معهد جامعة كاليفورنيا الفتي بامبركا وقد نقل هذا الفصل المتمم كامل قزانجي مدرس الاجتماع والتاريخ بمدرسة النجف الثانوية في العراق . راجع مقتطف يوليو واكتوبر ١٩٣٥ صفحة ٢١٩ و ٣٤٧

المصوّت ينتمي الى طبقة او فريق اقتصادي بحكم الحرفة التي يؤمّن بها على موارد عيشه وهو عضو اقتصادي اكثر منه ساكناً او مقيماً في بلدة او ريف ما، لذلك يكون فيه الاخلاص لمصلحة حرفته المعيشية اكثر من إخلاصه لسكان الذي يتفق ان يقيم فيه والطبقات الاخرى التي يعيش معها طلباً للرزق. والتجار والعمال المأجورون والفلاحون وأصحاب المهن الحرة - كل واحد منهم لا يصح بمصالحه ومصالح فريقه الاقتصادية والاجتماعية لذلك لا يمكن ان تنشأ بين المصوتين الخلفي المهن رابطة اقتصادية دائمة ولو كانوا يعيشون في بلد واحد او ريف واحد او دائرة انتخابية جغرافية واحدة. ومع انه ليس من المؤكد دائماً ان يتفق ذوو الحرفة الواحدة على رأي واحد فيما يخص بعض قضايا السياسة العامة لكن يمكن الاعتماد على ان تكون الحرفة المعيشية اساساً أفضل للتمثيل من الموقع الجغرافي في احوال الحياة الحاضرة. وقد اقترح هذا التبديل في الولايات المتحدة كثير من قبل الساسة المجددين ومنهم وليم مكدونالد في كتابه «دستور جديد لاميركا الجديدة» حيث كتب: «من الواضح انه اذا شاعت الولايات المتحدة ان يكون لها هيئة تشريعية تمثلها تمثيلاً حقيقياً فيجب ان يبدل نظام التمثيل الحاضر بحيث تأخذ بعين الاعتبار ليس فقط السكان كما هي الحالة الآن بل الفروق في المهن والحرف كذلك ايضاً» لأن التمثيل الجغرافي باعتباره الصلة الجغرافية أهم من الصلة الطبقيّة لا يمكن ان يصون مصالح جميع المصوتين المنتمين الى طبقات مختلفة متضاربة المصالح لذلك يكون النائب عادة من الطبقات ذات القوة الاقتصادية ولا يخدم إلا «مصالح طبقته وفي معظم الاحيان يكون أميل الى نسيان مصالح ناخبيه والاعتناء بمصالحه الخاصة قبل غيرها في منطقة انتخابية جغرافية ما، يفوز صاحب العمل والملاك مثلاً بتمثيل الفلاحين والعمال المقيمين معاً لما لهما من الثروة والقوة الاقتصادية والسياسية لكن الفلاح لا يفوز بتمثيل الملاك ولا العامل يفوز بتمثيل صاحب المعمل

لكن هناك وجهة ثانية للقضية تنحصر في: هل يكون خير المجتمع اكثر ضمناً وتقدماً اذا وزعت القوة السياسية بحسب المناحي التي يحصل بها أصحاب المهن المختلفة على عيشهم؟ تقوم النظرية السوفياتية على مبدأ ان حرفة الانسان وطريقة معيشته هي التي تملي عليه موقفه ازاء قضايا السياسة العامة وعلاقاته الاجتماعية. أما البلاد الرأسمالية فقد تمشت على مبدأ اعتبار الشخص اميركياً او انكليزياً او فرنسياً أولاً وعاملاً أو فلاحاً أو تاجراً ثانياً

وجرياً على هذا المبدأ يطلب من الشخص ان يكون موقفه تجاه مصالح الامة بأجمعها فوق مصلحته الخاصة أو مصلحة حرفته أو طبقته الاقتصادية ولو كلفه ذلك التضحية بالثانية في سبيل الاولى فالنائب في المجلس على هذا المبدأ ينتخب من قبل مصوّتي المنطقة فلا يمثل تلك المنطقة بل يمثل الامة بأجمعها لأنه يتقاضى مخصصاته من الخزينة العامة. لكن الواقع لا يتفق مع النظرية في النظام الرأسمالي لان النائب فيه ينقاد عادة الى الاعتناء بمصالحه الخاصة أولاً - كما اسلفنا -

وهي مصغر مصالح حرفته أو طبقته الاقتصادية . فلا يكون بذلك ممثلاً حقيقياً لجميع ناخبيه . لكنه اذا انتخب من قبل فريق حرفته أو طبقته فلا يطلب منه أن يمثل المجتمع كله بل أن يمثل طبقته فقط وبهذا التحديد في نطاق مسؤوليات النائب ، ضمان اقوى لقيامه بواجبات التمثيل فالذي تقصده الشيوعية في نظام التمثيل هذا هو تحقيق الديمقراطية الاقتصادية تمهيداً لتحقيق ونجاح الديمقراطية السياسية التي تعاني اليوم الازمات الشديدة في الدول الاوربية الرأسمالية لعدم استنادها الى نظام اقتصادي ديمقراطي اذ تمنح الحقوق الديمقراطية السياسية لافراد المجتمع وهم بعد لا يزاون على أساس مالي يتناقض مع روح الديمقراطية الحقيقية . وهنا منشأ الازمات وتطبيق التملك العام لجميع وسائل الانتاج والتوزيع ومنابع الثروة يقضي النظام السوفيياتي الاشتراكي على الفروق الطبقية وحرب الطبقات معاً ، وبوضعه التمثيل على اساس حرفي يضمن التعاون بين الفرق الحرفية المختلفة ويصون مصالحها . لكن قبل ان يطبق هذان المبدآن وضعت السلطة بيد طبقة واحدة هي طبقة المنتجين من عمال وفلاحين وحنود وبفوز دكتاتورية العمال لم يعد في استطاعة اي طبقة اخرى من الطبقات السابقة ان تعلن حرباً او تناهض القوة القائمة في الحكم معها حاولت ان تفعل ذلك . فلا يبقى امامها الا ان تندمج في الطبقات المنتجة حتى يتكامل المجتمع فيصبح لاطبقياً او تهرب من حكم الطبقة الحاكمة ، وفي كلتا الحالتين تقدم نحو الغاية القصوى وهي « المجتمع اللاطقي » . لكن وان اعتبرت المصالح الاقتصادية اساس النظام الانتخابي فالنظام السياسي هو بالحقيقة خاضع « لدكتاتورية العمال » التي تشرف على دور الانتقال من الفردية الى الشيوعية

٤ — المعد بين الناخب والحاكم — والميزة الرابعة للنظام السياسي السوفيياتي هي البعد بين الهيئات الحاكمة والشعب المحكوم . ففي اميركا مثلاً ينتخب الشعب الهيئات التنفيذية والتشريعية في ولاياتهم فلا يبعد الرئيس واعضاء الكونغرس عن المصوتين اكثر من درجة واحدة . اما في الاتحاد السوفيياتي فتفصل هذه السلطات عن الناخبين عدة درجات . فالفلاح السوفيياتي ينتخب سوفيت قريته او مزرعته الاشتراكية وهذا السوفيت الاول يبعث ممثلين عنه الى سوفيت الاقليم ومؤتمر سوفيت المنطقة وهذا بدوره يتمثل في مؤتمر سوفيت جميع الروس اذا كان في روسيا ، او في مؤتمر سوفيت جميع الشعب الساكن في الجمهورية الفلانية مثلاً وهذا الاخير يعين اللجنة التنفيذية المركزية لجمهوريته وهذه تعين مجلس القومساريين في تلك الجمهورية . اما في حكومة الاتحاد فيتمثل الفلاح بواسطة مندوبيه الذين يرسلون من سوفيت ريفه او اقليمه الى مؤتمر سوفيت الاتحاد الاعلى وهذا يعين اللجنة التنفيذية المركزية العليا وهذه تعين مجلس القومساريين . وهكذا قل عن تمثيل العمال في المدن . وعلى ذلك نرى ان المصوّت الاول في الريف او المعمل يفصل بثلاث او اربع درجات عن الهيئة التنفيذية العليا ولطول هذه المسافة تقل مسؤولية القومساريين المباشرة امام الشعب وتنحصر مسؤوليتهم امام مؤتمر سوفيت الاتحاد واللجنة التنفيذية العليا ومجلس الرأسة فقط . وبذلك يقل

لناقص القومساريات في فترات قصيرة . فمع ان جميع سكان الاتحاد السوفياتي يشتركون في ادارة حكومتهم لكنهم بممارستهم هذه الادارة بهذا الشكل الهرمي تحدد السيادة العامة ويقل تأثر السلطات التنفيذية بتقلبات الرأي العام وفي هذا استقرار سياسي عام ضروري للبلاد وهي في دور الانتقال من الانقطاعية والراسمالية الى الاشتراكية

القضاء والمحاكم لكل من الجمهوريات السبع الرئيسية والجمهوريات والمناطق والاقاليم الذاتية الكائنة في كل منها نظام قضاء وقوانين خاصة بها . لكن القوانين والنظام القضائي في كل من هذه الجمهوريات لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن الاخرى . وتعتبر محكمة الاتحاد العليا المرجع القضائي الاخير لجميع القضايا في انحاء الاتحاد السوفياتي . وهناك محاكم تعرف باسم (محاكم الشعب) في كل منها حاكم ومحلفين او اكثر وهناك كذلك عدة محاكم خاصة كمحاكم العمل والتحكيم والمحاكم العسكرية والنظامية الخ . . . وفوق هذه جميعها تأتي محاكم المناطق وفي كل واحدة منها عدة حكام يتفاوت عددهم بحسب الحاجة . والحكام في جميع المحاكم في جمهوريات الاتحاد يعينون من قبل سلطات المناطق ويقعون في مناصبهم سنة واحدة . ويستثنى من هذا حكام محكمة الاتحاد العليا الذين تنتخبهم لجنة الاتحاد التنفيذية المركزية او بالحقيقة : مجلس راسة اللجنة . اما المحلفون في محاكم الشعب ومحاكم المقاطعات او المحاكم العليا فيستدعون للعمل مدة ٦ ايام كل سنة ويقتخبون من عدد من بين المواطنين المصدق عليهم وليس في الاتحاد نظام ثابت للمحاكمة امام هيئة من الحكام بل يقوم المحلفون مقام هيئة الحكام فيبتون في القضايا مع الحاكم باجماع الاصوات

لكن قد يتبادر الى ذهن القارئ ان يسأل : — لماذا لا ينهار هذا النظام الهرمي من سوفيت ولجان ومؤتمرات وهيئات ومجالس بسبب علوه وثقله ؟ ولماذا لا يرتبك هذا النظام وينحل بسبب التنافس وسوء التفاهم الذين يحتمل وقوعهما بين سلطات الاتحاد وسلطات الجمهوريات الرئيسية وبين هذه وسلطات المناطق والاقاليم والمدن والارياف ؟ اما الجواب فبسيط يتلخص في ان ليس في الاتحاد الحزب السياسي واحد يسود جميع هذه المؤسسات وسيطر على هذا النظام . وكل موظف رسمي في الاتحاد مهما اختلفت مرتبته يجب ان يكون عضواً في الحزب الشيوعي الذي يشرف على جميع شؤون السوفيت واللجان وغيرها من مؤسسات الاتحاد ويديرها بواسطة المكتب السياسي فيه . ولما كان الشيوعيون لا يتقاسمون الحكم مع من يخالفهم في المعتقد فهم لا يؤمنون بإمكان وجود معارضة مغلصة في الاتحاد السوفياتي او في اي مجتمع يريد تحقيق الشيوعية فلذلك هم يعتقدون أن كل من يعارض الحزب الشيوعي خائن وضد الثورة والدولة . فاذا نشأ نزاع في قضية ما يحل النزاع داخل الحزب اذ تعتبر جميع القضايا حزبية لا سياسية طامة ، وبعد تقرير الحزب خطة ما أراء القضية المختلف فيها يجب على الجميع الرضوخ لقرار الاكثرية الفائزة بوجهة نظرها . وفي سيادة الحزب الواحد هذه على جميع المناطق الجغرافية وجميع مرافق الحكومة من دون اعتراف باي معارضة السر كل السر في

القوة التي تحفظ هذا النظام. فعندما اختلف تروتسكي مع ستالين حول متابعة الثورة العالمية بحسب رأي تروتسكي أو الاهتمام بالتشييد الاشتراكي ومشاريع الخمس سنين بحسب رأي ستالين وحول أي الخطتين تقوم على الاخرى فاز رأي ستالين بمعاوضة الحزب له فلم يسمح لتروتسكي ان يتولى جبهة معارضة حوله بل نفي حالاً الى خارج الاتحاد. وهكذا مع رايكوف وغيره من الخارجين على ارادة الحزب العامة أمثال كامنيف وزينوفيف من زعماء الحزب المؤسسين وفلاسفة النظام السوفياني، عندما اختلفوا مع ارادة الحزب العامة وزعمائه الاقوياء أصبحوا أعداء الدولة فأعدم معظمهم حالاً ونفي القسم الاخر الى سيبيريا.

الحزب الشيوعي — ومع أن الشيوعيين كانوا أقلية بين سكان روسية أيام الحرب العظمى لكنهم كانوا محكمي التنظيم اذ تقوم عضوية الحزب على أساس التكتل بشكل طوائف، في كل قرية ومعمل طائفة واحدة على الأقل. وكل طائفة تبعث ممثلاً عنها الى مؤتمر الحزب الذي ينتخب لجنة مركزية وهذه بدورها تعين أعضاء المكتب السياسي الذي يقود حركات الحزب ولشدة علاقة الحزب بأعمال الدولة كثيراً ما ينتقل المناصب العليا في الحكومة وفي الحزب نفس الاشخاص والزعماء. ونظام الحزب صارم جداً يقوم على الطاعة المخلصة والتنظيم العسكري وينزل العقاب الشديد بكل من يشك به شكاً طفيفاً ويطرد من الحزب أو يحمل آلاماً وخسائر عديدة ولا يمكن لاحد ان يصبح عضواً الا بعد ان يجتاز مدة امتحان يكون خلالها تحت مراقبة شديدة. فالحزب الشيوعي هو القوة المحركة والمنظمة لجميع شؤون الاتحاد.

ويعلم الدستور السوفياني لسنة ١٩١٨ بكل ارتياح انه يعترف « بالمساواة في الحقوق لجميع المواطنين » لكنه يقول في الفقرة التالية مؤكداً ان ليس من حق اي مواطن ان يدعي التمتع بأي حق او امتياز يمكن استعماله للاساءة لروح الثورة الشيوعية ولهذا السبب لا يحدد الدستور قائمة الحقوق. فالواطن السوفياني ليس له اي حق على الدولة وهذا ما اتبعه النظام الفاشستي فيما بعد باعتباره الدولة غاية الجميع وليس الفرد الا واسطة لهذه الغاية. اما في الاتحاد السوفياني بالمقابلة مع ايطاليا فالغاية هي (المجتمع اللاتبيقي) الذي يقوم على اساس التملك العام ويكون فيه جميع الافراد عمالاً منتجين يتمتعون جميعهم بما يملكون وينتجون موحدين جهودهم لتحقيق غايات مشروع واحد عام ورفع مستوى معيشة الجميع المادية والادبية. لذلك نرى الفلاسفة الفردية تنعكس فتصبح حرية الصحافة والخطابة وحرية التعامل التجاري كما يفهمها بقية العالم الرأسمالي غير متفقة مع روح هذه النظرية الاشتراكية في الاتحاد السوفياني لان هذه الحريات لا يجب ان تصان الا اذا كانت تساعد على تقوية النظام الجديد لانه اذا كانت غاية الانسان الرئيسية تحقيق المجتمع الشيوعي والمساعدة على الاحتفاظ بشكل من الحكومة تعمل على تحقيق هذا المجتمع فلا يكون للمواطن أي حرية أو مصلحة تتعارض مع الغاية التي يحرص عليها والوسائل التي ينتهجها لتحقيقها

التربية الاجتماعية والصحية

منى يفتقر الكذب

لشاكر الحنبلي

تحرير المرقعة

الاستشارة الطبية المورية

للدكتور حسن كمال



من يفتقر الكذب

لشاعر الحبلي

قرأت في مجلة الهلال الغراء مقالاً للعلامة الأمير مصطفى الشهابي تحت عنوان « غرائب المصانعة » تناول فيها جانباً من النقص الاخلاقي في بعض الافراد الذين يلبسون لكل حالة لبوسها ويتلونون في آرائهم واحاديثهم تلوّن الحرباء على حسب ما يرضي مخاطبهم لاما يرضي ضمائرهم ويعدون ذلك من مقتضيات الكياسة وحسن السياسة . وقد استثار هذا المقال اهتمام بعض المفكرين فكتب الاديبان ادب عباسي والياس يعقوب مقالين في هذا الصدد طاب بهما هذا الخلق واعتبراه ضعفاً في النفوس البشرية واعوجاجاً يجب تقويمه والتحذير من التعرض لافاته التي تفقد المرء ذاته حتى يصبح بمثابة الحاكي الذي يردّد اقوال الغير وافكارهم بدلاً من ان يكون له في الحياة كيان مستقل وقد نهتني هذه المقالات الى ناحية اخرى من نواحي اخلاقنا الاجتماعية تكاد تكون عامة بين جميع الطبقات وهي الكذب في الحديث والرواية والعمل لا شيء سوى النخلص من عتاب صديق او عناء زيارة متوجبة او دفع تبعة محتملة كاعذارك عن نلبية دعوة بداعي المرض مع انك لم تكن مريضاً او قولك لخادمك عند زيارة احد تكره مقابله: قل له اني لست في الدار مع انك فيها ومجاهل امر تعرفه او التغاضي عن شيء تكره افشاءه والتمارض السياسي الذي يتظاهر به بعض الساسة — كل ذلك من هذا القبيل، والمصانعة والمداهنة والرياء والتقية وان اختلفت اسمائها فهي في الحقيقة لا تخرج عن حد الكذب ما دام الكذب هو الاخبار بشيء على خلاف ما هو عليه مع العلم به . فالصانع والمداهن والمرائي جميعهم يقولون بخلاف ما يعتقدون وهو الكذب بعينه . والذين يستعملون التقية وهي اظهار خلاف ما يبطنه المتكلم دفعاً لضرر يظنونهُ لاحقا بهم ان هم صارحوا بالحقيقة لبسوا سوى كذا بين ايضاً

فلماذا يرتكب الناس هذا النوع من الكذب ويفرون من مواجهة الصراحة ولا يرون في ذلك غشاضة عليهم ولا حرجاً ؟ اليس لهم مندوحة عن الكذب بالمدول عنه الى ما يؤدي الغرض منه ؟ وهل هنالك حالات يغتفر فيها الكذب وما هي ؟ هذه قضية جديرة بالبحث والتحصيل لمساسها بناحية دقيقة من نواحي اخلاقنا الاجتماعية : ان الكذب هو بلا ريب من اقبح الخلال واولعها ولهذا نهت عنه جميع الشرائع والأديان ومقتته العقول وكفى بالكذب شيناً ومهانة ان صاحبه

مرذول محتقر لا يصدق الناس ولو صدق . ولا حاجة بنا الى سرد ما قيل في شناعة الكذب والكذابين فذلك مما يطول شرحه وليس هو غرضنا من هذا المقال وانما نريد ان نعرض للكذب من حيث غرض الكاذب وغايته لنرى ا تبرر الغاية الشريفة هذه الواسطة الوضيعة في نظر العقل والشرع وان بررتها فما هو مدى هذه الغاية ؟

ان الشرع قد اجاز لنا ارتكاب بعض المنهيات للضرورة فاجاز للمضطّر اكل مال الغير لدفع الجوع متى خشي الهلاك عملاً بالقاعدة الفقهية «الضرورات تبيح المحظورات» كما اجاز ارتكاب اخف المفسدين واختيار اهون الشرين متى تعارضوا فاباح لمن اكراه بالقتل التكلم بالكفر مع اطمئنان قلبه بالايمان ولكنه مع ترخيصه بهذه المنهيات قد قيدها بالقدر الذي تندفع به الضرورة فنص على ان «الضرورات تقدر بقدرها» فلا يجوز للجائع ان يأكل من مال الغير الا بالقدر الذي يحفظ حياته ويدفع عنه الهلاك ومتى امكن دفع الضرر بالاخافة والتهديد او الضرب العادي فلا يصار الى دفعه بالقتل لأن القدر الزائد عن الضرورة مساوٍ للاعتدال بل زائد عليه . فلا يسوغ لنا التجاوز في الرخص وارتكاب ما نهى عنه الشرع في سبيل مصالحنا وشهواتنا تحت ستار الضرورة . وهكذا الكذب فهو وان كان حراماً إلا أنه قد يباح في بعض الاحيان للضرورة متى كان في الجهر بالصدق خشية ضرر او فتنة اشدّ شراً من الكذب

يقول العلماء ان الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره وربما كان واجباً في بعض الاحيان . رأيت لو ان رجلاً سعى خلف آخر بالسيف ليقتله فدخل دارك فانتهى اليك الرجل يسألك هل رأيت فلاناً فاذا كنت قائلاً ؟ الا تقول ما رأيت وهذا كذب ولكنه خير من الصدق بل واجب عليك لان فيه حقن دم

ذكر الامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين « ان الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن الوصول اليه بالصدق والكذب معاً فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصد مباحاً وواجب ان كان المقصود واجباً كما ان عصمة الدم واجبة . فمتى كان في الصدق سفك دم امرى قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومتى كان لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح . الا أنه ينبغي ان يحترز منه ما امكن لان الانسان اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراماً الا للضرورة . روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله (ص) يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته

والمرأة تحدث زوجها . وقالت ايضاً قال رسول الله (ص) ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيراً أو اني خيراً . وروي عن ابي كاهل قال وقع بين اثنين من اصحاب النبي كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت مالك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي (ص) فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو . . اي بالكذب

«فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض مقصود صحيح للقائل او لغيره اما ما كان له فمثل ان يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره او يأخذه سلطان يسأله عن فاحشة كانت بينه وبين الله تعالى فله ان ينكر ذلك فيقول ما زينت وما سرقته وقال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك ان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظاهراً وعرضه بلسانه وان كان كاذباً واما الكذب لغرض غيره فبان يسأل عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرأت من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او يعتذر الى انسان وكان لا يطيّب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس ولكن الحد فيه ان يقابل بين الكذب والصدق بالميزان القسط فاذا ظهر له ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعاً في الشرع من الكذب فله ان يكذب وان كان ذلك المقصود أهون من مقصود الشرع فيجب الصدق . وقد يتقابل الامر ان بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه . . ولكن بالنظر لعموم ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحرّز الانسان من الكذب ما أمكنه وكذلك متى كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز له المسامحة لحق الغير والاضرار به . واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادة المال والجاه والامور ليس فواتها محذوراً . . .»

فيظهر مما ذكره حجة الاسلام الغزالي ان الكذب قد رخص به للضرورة في بعض المواطن دفعاً لضرر لا يمكن اجتنابه الا بالكذب فيباح حينئذ ولكن هذه الرخصة يجب ان لا تتعدى حدود الضرورة . وكان السلف يعدلون عن الكذب الى المعاريض ويرون فيها مندوحة عن الكذب عند ما يضطرون اليه ومثال التعريض انه اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب تقول ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قولك (ما) حرف نفي عند المستمع وعندك للابهام . وكان معاذ بن جبل عاملاً لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال الى اهلهم وما كان قد اتاها بشيء فقال كان عندي ضاغطاً قالت كنت اميناً عند رسول الله وعند ابي بكر فبعثت عمر معك ضاغطاً وقامت بذلك بين النساء واشتكت عمر فلما بلغه دعا معاذاً وقال له ابعت معك ضاغطاً قال ما اجد ما اعتذر به اليها إلا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئاً فقال له ارضها به .

ومعنى قوله ضاعطاً يعني رقيباً وأراد به الله تعالى . وكان النخعي اذا طلبه من يكره أن يخرج اليه وهو في الدار قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذباً . وكان الشعبي اذا طلب وهو في المنزل وهو يكره الخروج خط دائرة وقال للجارية ضعي اصبعك فيها وقولي ليس ههنا

وهذا كله في موضع الحاجة . وقالوا في توجيه هذا النوع من المعارض ان المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر من الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فهو صادق وان كان كلامه معهما غير ما هو عليه لان الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه ففي مثل هذه المواضع ينبغي ان يعدل الى المعارض ما وجد اليه سبيلاً . وكان رسول الله (ص) اذا توجه الى سفر ورى بغيره كي لا ينتهي خبره الى الاعداء وليس هذا من الكذب في شيء

وقد أباحوه أيضاً في المزاح لما فيه من المطابقة على ان لا يتجاوز حد الاعتدال . وكان النبي (ص) يمزح بعض الصحابة والصحابيات ولكنه لا يقول الا حقاً . روي عن الحسن أنه قال : أت عجوز الى النبي (ص) فقالت يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فقال لها : لا يدخل الجنة عجوز فبكت فتبسم وقال لها انك لست بعجوز يومئذ أما قرأت قوله تعالى « انا أنشأناهم أنشأاً فجعلناهم أبنكاراً عرباً أرباباً » . فانظر الى هذا المزاح اللطيف الذي لا يخرج عن قول الحق ومثل النبي قادر أن يمزح ولا يقول الا حقاً . فأين هذا من مزاح بعض الناس الذين لا هم الا ان يضحكوا الناس من قولهم كيفما كان

ويفتقر الكذب في الشعر أيضاً عن طريق المبالغة حتى قالوا « أعذب الشعر أكذبه » . وقد أمر رسول الله (ص) حسان بن ثابت الانصاري بهجاء الكفار والتوسع في المدح فانه وان كان كذباً فلا يلتحق بالكذب الحرام كقول ابي تمام في وصف الخليفة المعتصم :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليترك الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بمنتهى الجود والسخاء فان لم يكن صاحبه سخيّاً كان كذباً وان كان سخيّاً فالمبالغة من صنعة الشعر . وقد أنشدت ابيات بين يدي رسول الله لو تتبعته لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه . قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله (ص) يخصف نعله وكنت جالسة اغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً قالت فبهت فنظر اليّ فقال مالك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو راك ابو بكر الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول قات يقول :

وإذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهل
 قالت فوضع ما كان بيده وقام اليّ وقبل ما بين عينيّ وقال جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت
 مني كسروري منك . ولما قسم النبي (ص) الغنائم يوم حنين امر للعباس بن مرداس بربع قلائص
 فاندفع يشكو في شعر وفي آخره :

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمع
 وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر الصديق حتى اختار مائة من
 الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له النبي اتقول في الشعر ؟ فجعل يعتذر اليه ويقول بأبي
 انت وأمي اني لأجد للشعر ديباً على لساني كديب النمل ثم يقرصني كما يقرص النحل فلا اجد بداً من
 قول الشعر فتبسم النبي وقال « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين » ومثل هذا كثير في
 اشعار العرب وغيرهم . فالمبالغة في الوصف تغتفر على شرط ان يكون في الموصوف بعض هذه الصفات
 ومثل اطراء الممدوح في حفلات التكريم والتأيين . فانك تلاحظ في اقوال الخطباء اطراء يخرج
 عن حدود الحقيقة ولكن الناس يغتفرون ذلك ويرونه ضرورياً لتطبيب قلب المحتفل به او
 مواساة لاهل الفقيد بل يعدونه من المجاملات الاجتماعية التي لا بد منها . وكذلك تجاهل العارف
 هو في حقيقته كذب ولكنه من الصناعات الادبية في الادب العربي

ومن الكذب الممدوح ما يقصد به الايثار على النفس وهو نادر ويعد من مكارم الاخلاق كما
 فعل ذلك الانصاري الذي جاء الى النبي فوجد عنده ضيفاً ولم يكن عند النبي ما يقدمه الى ضيفه فذهب
 الانصاري بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى
 الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى اكل الضيف الطعام . فلما أصبح قال له رسول الله لقد عجب الله
 من صنيعك الليلة الى ضيفكم ونزلت آية « وبؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » فيا حبذا
 الكذب من هذا النوع

هذا وان الناس قد فتحوا باب الكذب على مصراعيه وتجاوزوا فيه في غير محال الضرورة حتى
 كاد يكون خلقاً من اخلاقنا الاجتماعية فاذا اردت ابتياع سلعة او استصناع حذاء مثلاً قال لك
 التاجر او الصانع ان رأس ماله كذا قرشاً وراحا يعززان قولها بأغاظ الأيمان وهما كاذبان في قولها
 وبينهما وهكذا تغلفت خصلة الجبن في نفوسنا حتى صارت عادة مستحكمة تصدر عنا عفواً وبلا
 تأمل كأنها من الغرائز الطبيعية . ولوحملنا عوامل هذه النقيصة الاخلاقية تحليلاً نفسيّاً لم نجد لها
 سبباً سوى الجبن او الاتافية فالكذب يقصد بكذبه سواء اكان صريحاً او عن طريق المصانعة او

المداينة او الرياء او التقية الى اتقاء شر يخافه او جلب خير يرجوه وكلاهما يتلخصان بالخوف والالمانية . نعم ان الحياة الاجتماعية قد تلجئ المرء في بعض الاحيان الى الكذب والمصانعة كما قال زهير بن ابي سلمى

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم
إلا ان ذلك يجب ان يقصر على مواطن الحاجة والضرورة وعلى الاحوال التي لا مندوحة فيها
عن الكذب فلا يسوغ لنا ان نسرف فيه اسرافاً يخرجنا عن هذا القدر ويصرفه عن مقصد
الشارع في الترخيص به . فالكذب والمصانعة وما جرى مجراها من ضروب المين بمثابة السم الذي
يستعمله الطبيب لمعالجة بعض الامراض فان أعطى المريض منه مقداراً زائداً عن الحد المقدر له
طبعاً أودى بحياة المريض

وهكذا الكذب يخشى اذا نحن أسرفنا في التجوز به ان يوردنا موارد العطب والهلكة لا سيما
وان تقدير مواطن الضرورة فيه من أدق الامور وأصعبها بل هو من مزالق الافدام ولذلك كان
السلف محتاطون في الترخيص به ويقولون لا يجوز للرجل ان يكذب لصالح نفسه فما عجز الصدق عن
اصلاحه كان الكذب أولى بفساده »

فيجب على قادة الرأي فينا من علماء وأدباء وكتّاب ان يعالجوا هذا المرض الاخلاقي معالجة
دقيقة ويصفوا له الدواء الشافي او الواقي . ولعل خير ما يصنعون ان يكثرخوا من المحاضرات
والمقالات في هذا الصدد فعسى ان يكون من وراء ذلك ما يحقق الغرض من تقويم اعوجاج نفوسنا
وتطهيرها مما علق بها من أدران وأوضار فنحن أحوج ما يكون الى تجديد أخلاقي يبنى عليه صرح
نهضتنا القومية التي نسعى اليها . وكل رقي لا يشاد على أساس الفضائل الاخلاقية فصييره السقوط
والانهيار . ورحم الله القائل :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

تحريم السرقة

سئل الدكتور صروف ، رحمة الله عليه ، ما هي الادلة القاطعة على تحريم السرقة فقال :
التحريم أمر ديني . والاديان تنهى عن السرقة . ولا دليل فوق ذلك . ولكن اذا اردتم
الدليل على ضرر السرقة فالسارق فلما يضر ، والذي تسرق امواله يضر غالباً بجرمانه مما هو
لازم لمعيشته وراحته . ولكن الضرر الاكبر يقع على الجماعة التي تحيز السرقة لانها تفقد حق
التملك الذي هو اساس العمران وتعود الى البداوة والفوضى

الاستشارة الطبية المورية

أهميتها — فوائدها

للمكنور حسن كمال

١ - يعلم القراء أن الصحة هي أهم ما يدخره الانسان . وقد شبهها بعضهم بتاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المريض . ولا غرابة في ذلك فالجسم المعافي الخالي من الامراض الكامل النمو هو الاطول عمراً والاقدر على تحمل المشقات والاكفاً على ادارة الامور بحزم وجدّ ونشاط مع شعور بالراحة والطمانينة والانشراح . والمثل يقول العقل السليم في الجسم السليم

٢ - وفي هذا الصدد يبدو لنا لاول وهلة سؤالان « كيف الوصول الى هذه الصحة ؟ وكيف نحافظ عليها اذا ما اهتمدنا اليها ؟ الجواب عنهما يتلخص في ما يلي : —

اولاً : وقاية الجسم من العلل والسقام قبل ان تصل اليه

ثانياً : المبادرة بعلاج كل حالة مرضية تظهر في الجسم لان الاختبار علمنا أن استئصال المرض في مبدئه سهل اذا قيس باستئصاله بعد تمكنه وتثبتته وتركزه . سهل لأنه لا يتطلب حينذاك عناءً كبيراً . فقصدار يسير من الدواء او اصلاح يسير في المسكن والملبس او تعديل خفيف في الغذاء يكفي لشفاء معظم الامراض المبتدئة فتقصر مدة المرض ويتفرغ الشخص لمهامه المعتادة وتندم ابواب مصروفات المعالجة ويزول الهم والغم ويبقى الفرح والسرور

٣ - فاذا كان الامر كذلك — فما هي الطريقة التي تجمع بين وقاية الجسم من المرض حتى لا يصل اليه والشفاء منه بسرعة اذا ما تسرب اليه ؟ — الطريقة الوحيدة الناجعة هي الاستشارة الطبية الدورية . ورب سائل يسأل : وما معنى الاستشارة الطبية الدورية التي تدعو اليها وتريد ان يتبعها الجمهور ؟ الجواب عن ذلك ان المقصود بالاستشارة الطبية الدورية هو التردد على طبيبك الخاص وانت في حالة الصحة كي يفحصك . فاذا ما لاحظ عندك مرضاً مبتدئاً لا تعلمه أشار عليك بالدواء . أو لاحظ انك معرض لبعض العلل من جهة ملبسك او مشربك او مأكلك او مسكنك أو مهنتك أشار عليك بالعمل اللازم حتى لا تقع فريسة لامراض الملابس الغير صحية او الطعام الذي لا يوافقك

او المسكن الذي لا يتفق مع حالة جسمك او الشغل الذي قد يؤثر في اعصابك او نظرك او معدتك والمعروف ان درهم وقاية خير من قنطار علاج

وعليه فالاستشارة الطبية تعني اخذ رأي الطبيب . اما كلمة دورية فتعني الاستمرار في ذلك في مواعيد مناسبة او بعبارة اخرى في ادوار موافقة لحالة الجسم والسّن

٤ - وأهم فوائد الاستشارة الطبية الدورية هي معرفة المرض في مبدئه . ومعلوم ان الأمراض نواتج حاد ومزمن . فالحاد هو الذي يبدأ فجأة وبشدة ويكون عادة قصير المدة . أما المزمن فهو الذي يتخلف عادة من الحاد وهو طويل المدة قليل الشدة . هذان النوعان اذا شخضا في مبدئهما تمكن الطبيب من مكافئتهما ووصف الدواء لهما فتقصر مدتهما وتقل مضاعفاهما ويخف تأثيرهما السيئ في الجسم وعليه فعرفه المرض عند ظهوره هو اهم عامل لضمان صحة الفرد والمجتمع

٥ - وقد اهتمت الدول الغربية بالاستشارة الطبية . ثم توسعت فيها فاباح بعضها التعقيم الجراحي فيمن ينتظر ان يتركوا ذرية مريضة تكون حالة على المجتمع عديمة الفائدة للوطن فسبقوا في احتياطهم هذا ظهور الامراض في النسل

٦ - والاستشارة الطبية الدورية من أهم العوامل التي تُنمّي معلومات اطباء فهي لذلك مفيدة لهم فادّتها للأفراد . لأنها تتطلب مهارة فنية ودقة كبيرة في معرفة الامراض المبتدئة . لذلك نجد أن كثيراً من الامراض يرجع الفضل في استئصاله او تخفيفه الى الاستشارة الطبية الدورية . ومن هذه الامراض السل والسرطان وهما مرضان خبيثان أصبحا الآن بفضل معرفتهما في مبدئهما أقل خطورة وأقرب الى الشفاء عن ذي قبل

٧ - متى يُبدأ بالاستشارة الطبية الدورية ومتى يُنتهى منها ؟ - الجواب ان هذه الاستشارة يُبدأ بها منذ الوضع ويُستمر فيها حتى الوفاة

٨ - ومن هو اجدد الناس بالقيام بهذا العمل ؟ - هو طبيب العائلة - لعدة اسباب منها (ا) ان اشراف الطبيب على افراد العائلة في اوقات الصحة يزيد كثيراً من عنايته بها أثناء المرض (ب) ان طبيب العائلة ادري بأحوالها الصحية والمالية والمعاشية فهو لذلك اكفا الاطباء في ادارة شئونها الصحية بأسلوب ظريف كيّس

٩ - وفي بعض البلدان كالولايات المتحدة قسائم مطبوعة للاستشارة الطبية الدورية يملأ خاناتها الطبيب الكشاف ويذكر بها الملاحظات والاعراض المهمة وقت الكشف ويحتفظ لنفسه بنسخة منها ويُعطي الطالب نسخة اخرى ينتفع بها وقت الحاجة

١٠- وتتلخص الاستشارة الطبية الدورية في وزن الشخص (ولهذا مكانته عند الاطفال) وقياس الارتفاع ودرجة الحرارة والضغط الدموي وتحليل البول وخص الهيكل العظمي والغدد الليمفاوية ووظائف الاعضاء وارتخاء العضلات وسلامة الجلد وحركات المفاصل. ومظاهر الجسم الخارجية. ولا يخفى ان الشكل الخارجي كثيراً ما يشير الى امراض كامنة ثم يفحص الرئتان والقلب والنبض. وتلاحظ العادات الضارة كالتدخين وتناول المشروبات الروحية. كذلك الامراض العائلية الوراثية. ثم تلاحظ درجة تعرض الشخص لامراض حرفته. ويفحص الفم للتأكد من سلامة الاسنان وحالة اللوزتين وكذا الانف والعينان.

١١- هكذا تمس الاستشارة الطبية كل جهاتنا المعاشية. وسأعشى مع حضراتكم على سبيل المثال. وافرض ان اسرة من الاسر اتفقت مع طبيبها الخاص ان يقوم بفحص افرادها الصغار كل ستة اشهر والكبار كل سنة بالمنزل تارة وبالعيادة تارة أخرى. مثل هذا الترتيب يزيل كثيراً من الكلفة بين الطبيب وافراد الاسرة مما يوسع نطاق اطلاعه على احوالها ويجعل لنصائحه منزلة محترمة عندها بصفة خاصة. ويمكنه ايضاً من الاشتراك معها في شعورها فيفرح لفرحها وبأسف لاأسفها. اذن ماذا ينتظر من استشارة مثل هذا الطبيب دورياً - هذا هو السؤال الذي سأفسره لحضراتكم

١٢- اول ما يتطرق الى ذهن الطبيب ان يلاحظ مسكن العائلة وان ينصحها بالتخاذ مسكن كثير النوافذ تدخله الشمس له دورة مياه نظيفة

١٣- بعد ذلك تأتي مسألة الخدم. فيفحصهم قبل التحاقهم بالعائلة كي يتأكد من عدم اصابتهم بامراض معدية او طاهات تمنعهم من أداء اعمالهم المطلوبة منهم

١٤- ثم تأتي مسألة الاطفال. وهؤلاء يؤزنون باستمرار لمراقبة نموهم. وطريقة تغذيتهم وتلاحظ ملابسه ومحال نومهم. واعلموا حضراتكم ان كثيراً من امراض الاطفال يدركها الطبيب قبل ان تظهر للوالدين. من ذلك مرض لين العظام فان له اعراضاً مبدئية في الاضلاع ونهاية العظام تمكن الطبيب من معرفة الداء في بدايته فيصف لذلك الدواء والغذاء اللازم وتعالج الحالة قبل وضوحها. كذلك مرض غدد العنق الذي تصحبه السمنة وخشونة الجلد وقلة النمو وظهور اعراض الكسل والعمول وبلاذة الذاكرة يمكن تداركها في اولها بسهولة وهناك المرضعة التي يجب التأكد من خلوها من الامراض المعدية ومن جودة لبنها. هكذا تقيد الاستشارة الطبية الاطفال

١٥ — بعد ذلك تأتي مسألة تحصين العائلة ضد الأمراض . كالتطعيم ضد الجدري والحقن ضد الدفتريا وخلافها كالجني التيفودية . والطبيب هو الذي يرشد العائلة الى ذلك ويتولى تنفيذه . وهناك امراض كالخصبة يمكن حصرها في الطفل المصاب دون سواه عند ظهورها بحقن الآخرين بمصل يمنع اصابتهم او يخففها على الاقل . ليست كل هذه فوائد لا يستهان بها ؟

١٦ — والالعب الرياضية ، التي اصبحت الزامية بمدارس بعض البلاد الغربية لما تحدثه من كمال النمو وزيادة مقاومة الجسم والنشاط وتعود النظام في الجلوس والوقوف والمشي واداء الاعمال اليومية . هذه الالعب هي اهم ما يصفها الطبيب وهي على انواع بعضها يؤدي بالمدارس والبعض الآخر في الاندية الرياضية والمنازل

١٧ — وقد دلتنا التجربة والابحاث العديدة ان لطول الجسم ووزنه وشكل صدره علاقة ببعض الامراض وان الطبيب الكشاف يمكنه ان يصف العلاج والغذاء الذي يزيد في مقاومة الجسم ضد هذه الامراض . فالبدانة وقصر القامة وغلظ العنق كثيراً ما يصحبها زيادة الضغط الدموي . والطبيب الكشاف يراقب ذلك ويمنعه . كذلك الاصابة بالدرن لها علاقة كبيرة بشكل الصدر والطبيب الكشاف يقي مثل هذا الشخص من التزلات الصدرية وخلافه مما يبعد هذا المرض

١٨ — وهناك مسألة العينين التي يجب العناية بها لكثرة الرمى الحبيبي هنا وانتشار قصر البصر الطبيعي . كذلك الاسنان فان تلفها يسبب تقرحات اللسان والتهاب اللثة يحدث التهاب المفاصل المزمن وغيره . فالطبيب يرشد الشخص الى مثل هذه الامور في اولها

١٩ — ثم مرض الكلى والبول السكري كثيراً ما تشاهد اعراضها بالبول دون ان يشعر صاحبهما بالمرض حتى يستفحل امره ويشتد ضرره . وعليه فمجرد تحليل البول باستمرار كثيراً ما يقي الشخص من ويلات هذين المرضين

٢٠ — هكذا تصبح الاستشارة الطبية الدورية درساً نافعاً لافراد العائلة منذ نعومة اظفارهم يفهمهم النافع من الضار ويعلمهم مبادئ علم الصحة ووظائف الاعضاء والحالات النفسانية المتنوعة او بعبارة اوجز يعلمهم قيمة الصحة . قال تعالى (وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) صدق الله العظيم

لوحظ في هذا المقال (١) الاختصار (٢) بساطة التعبير (٣) اجتناب المصطلحات الطبية

بَابُ الْمُرَاتِلَةِ وَالْمُنَاطَةِ

(١) لا تقل كريات بيضاء

١ : تخطئة رأي

نشر الاديب امين ظاهر خير الله مقالة في المقتطف (٨٧ : ٢٠٩) عنوانها : « أيقال كريات بيضاء ؟ » حاول فيها ان يثبت للقارئ جواز قول من يقول « كريات بيضاء » واورد لذلك شواهد لم تُثبت شيئاً مما توخاه من رده ، إذ جاءنا بالفاظ هي اشباه جمع او اسماء جمع او اسماء جنس او احرف هي بين الافراد والجمع فتوهم فيها جماعة الافراد وتوهم فيها آخرون الجمع وفي مثل هذه الاحوال لا جدال في ان ينعت الموصوف بصفة مفردة او مجموعة

وأول شواهد « الكلام » بفتح فكسر وهذه اللفظة اختلفت في حقيقتها : أهي جمع ام شبه جمع والناس فيها مذاهب على كل حال فان مفردا « كلمة » فيجوز في وصفها الافراد او الجمع وثانيها « الحشباء » فانها هنا منقولة الى الاسمية كما نقلوا الى الاسمية الخضراء والسمراء والزرقاء الى اشباهها

وثالثها « الشيعة » فهي مفردة كما هي جمع حسبما توجه معناها ، ولذا توصف بالافراد كما توصف بالجمع . ومثل ذلك ما جاء في سورة الشعراء : « ان هؤلاء لشرذمة قليلون » فقد وصفها بالجمع لان مدلولها مجموع ويجوز لك ان تقول شرذمة قليلة لان لفظها مفرد مؤنث

ورابعها « كتيبة » شهباء « وفارسية » خضراء « وسميرية » سمراء فهذه الفاظ كلها وامثالها مفردة كما يجوز لك ان تقول انها مجموعة اذا نظرت الى معناها فهي كقولك شرذمة قليلون او شرذمة قليلة وخامسها « اسم الجمع » ولا مشاحة في انه يوصف بالافراد كما يوصف بالجمع ومنه الآية في سورة المؤمنين : « فتقطعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون » فيجوز لك ان تقول على رأي النحاة وكل حزب بما لديه فرح على التقدير الذي تريده

(١) ارسل الينا العلامة الاب انستاس ماري الكرمليني ردّاً مسهباً على مقال الاستاذ امين ظاهر خير الله نشرنا منه ما كان خاصاً بموضوع ، كريات بيضاء وما جرى مجراها

وسادسها « كل فعلاء واردة لمجموع » فانت مخير في ان تنعت صفته بالافراد او بالجمع . ومنه ما جاء في ترجمة الاحنف التميمي وهي العبارة التي استشهد بها الاديب ، أمين فقد نقلها بهذه الصورة (ص ٢١٢ من المقتطف) : « هذه الحمراء قد كثرت بين أظهر المسلمين ، وكثر عددهم (اي عدد الحمراء) وهي لفظة بصيغة الافراد ولكنها تعتبر جمعاً في المعنى ومفرداً في اللفظ . ولهذا تقول كثر عددهم وكثر عددها كما تشاء والظاهر ان ابن ظاهر لم يفهم هذه الحقيقة فكتب بعد « عددهم » كلمة (كذا) كأن ذلك غلط وليس هناك زلل

وسابعها « عرب عاربة وعرب عرباء » فانت في الخيار في التذكير والتأنيث كما قلنا في شذمة « قليلون وقليلة »

فهذه الشواهد لم تثبت لنا شيئاً وكنا نود ان يأتينا بلفظة مجموعة جمعاً صريحاً وصفتها الافراد ، فاذا اتانا بشاهد مثل نساء سمراء ورجال سمراء لقلنا له اصبحت ، لكنه جاءنا بالفاظ تحتمل الافراد والجمع فلم يفدنا الفائدة التي كنا نتوقعها من مقالته الطويلة العريضة وبطل الاستدلال بشواهد تلك العرج

٢ : الرأي الصحيح

لا مشاحة في ان أفعل ومؤنثها فعلاء اذا جاءت صفة لموصوف (لا موصوفاً) ودلت على لون او عيب او حلية ، فان كلاً من افعل وفعلاء يجمع على فُعِل بضم فسكون ، وقد يجمع فُعِل على فُعِلان بضم ايضاً . تقول أحمر وحمراء وحممر وحممران . اسود وسوداء وسود وسودان . ابيض وبيضاء وبييض وبيضان الى آخر ما نقل عن فصحاءهم . قال المبرد في كتابه الكامل (ص ٣٣ من طبعة اوردية وفي ١ : ٢٧ من طبعة مطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر سنة ١٣٢٣) : وابق اذا عنيست به المكان مضارعة للاسماء لانها تدل على ذات الشيء ، وان كانت في الاصل نعتاً . تقول في جمعها الاباطح والابارق والاداهم والاساود . فان اردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت : مررت بذياب سود وبخيل دهم وكل ما شبه هذا فهذا مجراه . . . الى آخر ما قال فراجعته تر في كلامه ما يسد افواه المتحدثين

واعاد مثل هذا القول في ص ٤٣٨ من طبعة اوردية و ٢ : ٥٨ من طبعة مصر وهذا نصه : « وأفعل ، اذا كان نعتاً بنفسه فجمع فُعِل نحو أحمر وحممر واسود وسود . واذا كان نعتاً فاجري مجرى الاسماء فجمع افاعل نحو أساود وأجادل وأداهم اذا اردت القيد لانه نعت غالب يجري مجرى الاسماء . وان اردت ادهم الذي هو نعت محض قلت : دهم . . . الى آخر ما جاء هناك فيحسن بك ان تقف عليه لترد عنك هجمات الصائليين في البيداء بعيدين عن العيدى . ونحن لا نريد ان نزيد على هذا القدر لما في ذلك من الكلام على غير جدوى

٣ : الخلاصة

الخلاصة مما قلنا : انه لا يقال ادلة غراء ولا هضاب ملساء ولا شمائل حسناء ولا كريات بيضاء إذ كلها اغلاط صريحة صارخة بخطاها الى عنان السماء . والصواب غر وملس وحسان (لان الحسناء هنا ليست بمؤنث الا حسن بل الحسن وهذا خارج عن كلامنا) وكريات بيض ولا يجوز ابداً غير هذا

بغداد

الاب انتاس ماري الكرمل

أُيقال كريات بيضاء

قلت يقال على انه نادر جداً والمسألة هي اني لقيت يوماً السيد مصطفى جواد في ادارة المقتطف فقلت له انت والاب انتاس تقولان انه لا يجوز قولنا بيضاء وحمراء والصواب بيض وحمرة قال نعم فانه لا يجوز واتفق محيى السيد عبد الرحيم بن محمود فقال نعم يجوز فقلت للسيد مصطفى ما هي ادلتك على ذلك فقال ان افعل وفعلاء اذا دلا على لون او عيب فانه لا يقال في جمعهما الا فعل ثم اخذ بورد الآيات القرآنية دلالة على ذلك منها « صم بكم عمي » الآية ومنها « من الجبال جدد بيض وحمرة مختلف الوانها وغرايب سود » الآية . واورد آيات اخرى فقلت ألم يأت في القرآن الكريم ما ثبت خلاف ذلك قال لا فقال السيد عبد الرحيم هذا صحيح وانما جاء في كلام العرب قولهم فعلاء نمت للجمع وانما الآن لا يحضرني امثلة على ذلك . ثم انصرف الاثنان وانا مقتنع ان ما ورد في القرآن الكريم هو الصواب دون غيره . اما الآن فبعد الادلة التي اوردها السيد امين ضاهر خير الله فاني اقول انه يجوز قولنا كريات بيضاء وكريات حمراء على انه نادر جداً والافصح ان يقال بيض وحمرة ومعاذ الله ان ازيغ ادلة السيد امين وهو اللغوي القدير وقد كان والده رحمه الله اماماً في اللغة وهو مشهور ببغداد في لبنان . ولما كان الشيء بالشيء يذكر فاني كنت اخذت على اعضاء مجمع اللغة المملكي قولهم صماء وقلت الصواب صم ونشرت ذلك في المقطم وهو منشور في مجلة المعهد الطبي العربي الجزء ٢ المجلد ١٠ فلما نشرت مقالتي المشار اليها بلغني ان المجمع قرر في ما قرره الموافقة على تقدي فقالوا الغدد الصم لا الغدد الصماء كما قالوا قبلاً . وسينشر ذلك في جزء المجلة الذي يصدر في شهر اكتوبر . ولو فرضنا انه يجوز قولنا صماء وبيضاء وحمراء فلا فصح ان يقال صم وبيض وحمرة فقد قضينا العمر في « هل يجوز او لا يجوز » فالحياة قصيرة جداً فلا صلاح قضاءها في ما يكون اكثر فائدة لنا . اما الشرط الثاني للسيد امين وهو قوله ان يكون الرد تقييماً من المطاعن فهو لا يشمانى على ما اظن

مصر الجديدة

امين المعلوف

إرشاد لغوي

للسنة عبر الرحيم بن محمود

لغيف ثلاث من أمراض وأعراض بوزن فُعال

إلى الاستاذ الباحث سالم خليل رزق في النبك من سورية

﴿ الكُتَف ﴾ - وجع الكتف « Shoulder-Pain »

﴿ اليَدَاء ﴾ - وجع اليد وقد يَدَى الانسان من يده اذا ذهبت « Amputation »

واليداء أيضاً يَبْسُ اليد « Ankylose of Hand »

﴿ الكُسَّاح ^(١) أو القَمَاد ﴾ - وهو داء يُقْعِد من أصيب به من انسان أو حيوان « Rickets »

﴿ السَّلَاق ﴾ - وله ثلاثة معانٍ في اللغة العربية : - (١) بثر يخرج على أصل اللسان ويرادفه

بالانكليزية « Glossitis » (٢) تقشر في اصول الاسنان ومرادفه « Gingivitis » (٣) غلظ

الأجفان في احمرار وتقرح ومرادفه « Conjunctivitis »

﴿ الحَلَّاق ﴾ - وجع الحلق « Pharyngitis »

﴿ القُلَّاح ﴾ - سواد الاسنان ومرادفه بالانكليزية « Dental-Denigration »

والقُلَّاح أيضاً صَفْرَةٌ أو خَضَرَةٌ في الاسنان أو بينها أو أي ثَلَوْن لها ومرادفه « Dental Coloration »

﴿ الهَنْعَاع ﴾ - فسره اللغويون بأنه داء يصيب الانسان في عنقه وفي أصل المادة اللغوية هَنْعَ

الشيء يَهْنَعُهُ هَنْعاً عطفه عطفاً وثني بعضه على بعض فالداء المراد يشي الرقبة ويعطف بعضها

على بعض وهو يحدث من تسوس في عظام فقرات الرقبة كما يرى الطبيب سامي الياس وغيره من

الاطباء ومرادفه بالانكليزية « Pott's Disease »

﴿ المُلَّال ﴾ - ورد في الملاغى لثلاثة معانٍ أولها وجع الظهر ومرادفه « Lumbago » وثانيها

عَرَق الحمى ومرادفه « Perspiration ». وثالثها تقلب المريض وجعاً « Irritation »

﴿ القُدَاد أو القُضَاع ﴾ - في اللغة وجع في البطن وتقطع فيه وفي المادة اللغوية قَدَدَتْ

الأيديم اذا شققته طولاً ومما أرويه

وقد دت الأيديم لراهشيه وألني قولها كذباً وميئنا

وتقضع تقطع تفرق والمرادف لسكل من تين اللفظتين المترادفتين « Colic »

هذا وللطبيب سامي الياس شكرٌ جمٌ لعنايته باختيار الالفاظ الطبية المطابقة تمام المطابقة للالفاظ العربية

(١) الكساح لين في العظام وينشأ عن نقص في الفيتامينات ويعالج بتوصيلها الى الجسم بتجرعها في

الماكل او الادوية وبالتعرض للاشعة فوق البنفسجية كما يرى الاطباء

مكتبة المقتطف

علم الامراض الباطنية

الجزء الاول امراض الجملة العصبية للدكتور حسني سبيح استاذ الامراض العصبية والباطنية في المعهد الطبي العربي
هو كتاب آخر من الكتب النفيسة التي يتحفنا بها بين حين وآخر اساتذة المعهد الطبي بدمشق
وقد كتبت قبلاً عن كتب اخرى من مؤلفات اساتذة المعهد وهذا احدها وهو لا يقل عن غيره
من المؤلفات الاخرى في نفاسته ودقة بحثه. فلا عجب اذا جاء مثل غيره في سبكه في قالب عربي متين
وفي مصطلحاته العربية فاذا اطالع عليه القاري وجد كتاباً عربياً لا عجمة فيه لذلك سيكون
نقدي له من وجهة المصطلحات لا من وجهة التأليف لانه بلا ريب آخر ما وصل اليه العلم في أيامنا
اما طبع الكتاب فحسن جداً وهو مطبوع في مطبعة الجامعة السورية في دمشق وحروفه جميلة
وأظن الطبع يكون أحسن لو أكثر المؤلف من ضبط بعض الفاظه بالشكل الكامل مثل الأسر
وراء به احتباس البول حتى لا يلتبس بالأسر مصدر أسر والأسري نسبة الى الأسرة فان اشكالا
قليلة تزيد في محاسن الكتاب ولا تكلف عناء كثيراً وفيها فائدة كبيرة ولا سيما ان الكتاب مدرسي
فوضع الشكل ضروري جداً في بعض الاحيان وهو يدل على شدة العناية في طبع الكتاب وبراظه
اما المصطلحات الطبية فحسنة جداً لا يفوقها شيء في جودتها فقد ذكرها المؤلف وذكر امامها
الاسم الفرنسي بحروف مضيطة واضحة ثم وضع جدولاً في آخر الكتاب فيه نحو الف وخمسمائة كلمة
فيكاد يكون معجماً كاملاً ذكر فيه الالفاظ الطبية بالعربية والفرنسية. ومن محاسن الكتاب ان
المؤلف ابتعد عن الخدلة التي كثيراً ما يقع المؤلفون فيها فلم يذكر الا كلمة واحدة عربية لما يقابل
اللفظ الفرنسي حتى لا يضيع الطالب في كثرة الاسماء فلا يدري أيها يختار فكلمة واحدة تدل على
الاعتماد على النفس. فهذا المعجم على صغره افضل كثيراً من معجم كبير لا فائدة منه
على انني لا اوافق المؤلف في الفاظ قليلة جداً مثل البلغم واطن الصواب اللنفه وأذكر مناقشة
جرت بيني وبين الزميل الدكتور حمدي الخياط في هذه الكلمة فاللنفه اعجمية كذلك البلغم ولا
ارى وجهاً لتفضيل لفظ أعجمي على آخر أعجمي مثله سوى ان الواحد قديم لكنه لا يؤدي المعنى
تماماً. كذلك لا اوافقه على الغول واطن الالكحول احسن والحكي واطن الطبيعى احسن وان
شئت فقل الطبيعى وهذه فيها شيء من الخدلة. ولا اوافقه على الحيوي واطن الاحيائي احسن.
ولو نسبنا الى الجمع. ولا اوافقه على الداء الافرنجي واطن السفلس او الحلق او الحلاق افضل
فالخلق واردة في كتب اللغة لداء يشبه السفلس وشائع في السودان لهذا الداء بعينه. وهم يقولون

فلان محقق اي مصاب بالحقق . ولا ادري أسمي بذلك لانه يصيب الناس في حلوقهم ام لان احد ادواره يشبه الحلق . على ان الكلمة شائعة جداً ولا شبهة في انها افضل من الافرنجي لان قولنا الافرنجي فيه مساس ببعض الاقوام

فهذه الفاظ قليلة جداً أخالفه فيها ولعل الصواب في جانبه او لعل الالفاظ التي لا أوافقها فيها يكون ما ذكره احسن كثيراً . ثم ان المؤلف ذكر في مقدمة الكتاب انه تعلم بالتركية فتجد الفاظاً تركية التركيب لا تسيعها القواعد العربية على ان المؤلف انتبه لها في آخر الكتاب واصلحها في التصويبات وعلى كل فهذا الكتاب نفيس جداً لا يفوقه شيء في جودته . فأهنيء المؤلف الفاضل على ابرازه لاننا في حاجة شديدة الى امثاله من الكتب الطبية التي يعتمد عليها سوائه كان ذلك في لغته او في مصطلحاته
مصر الجديدة امين المعلوف

الفن الاسلامي في مصر

للدكتور زكي محمد حسن

كنا الى عهد قريب لا نقرأ عن الفنون الفرعونية او الاسلامية الا ما كتبه المؤلفون الاجانب فهم الذين تناولوا الحفريات في مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر وعنوا بوصفها في مؤلفاتهم النفيسة كما تخصصت جماعات منهم لدراسة الآثار المصرية في خلال الاعوام المائة الأخيرة فتسابقوا للكشف عن مخلفات ابناء النيل القدماء وتعمقوا في دراستها فكنا اذا اردنا ان نقرأ شيئاً عن الفنون او الآثار لم نجد ضالتنا الا في كتب الاجانب فنستوحى ما فيها لمتعرف الى بلادنا

كان ذلك الى عهد قريب جداً لما بدأت الجامعة المصرية توفد من نجباء خريجيها من يتخصص في دراسة الفنون المصرية والاسلامية فأنثرت تلك الشجرة المباركة ووجدنا ضالتنا في المؤلفات الحديثة التي أخرجها ابناء الجامعة في الاعوام الاخيرة

نقول ذلك على ذكر ظهور الجزء الاول من الكتاب النفيس « الفن الاسلامي في مصر » الذي ألفه الدكتور زكي محمد حسن الأمين العلمي لدار الآثار العربية . وقد رأينا كتابه الاول « الطولونيون » منذ عامين

ولا يسعني في هذه العجالة القصيرة سوى القاء نظرة سريعة على هذا السفر النادر فقد قسم المؤلف بحثه الى قسمين . فتناول في القسم الاول نشأة الفن الطولوني في سامرّا . وانتقاله الى مصر لما تولى احمد بن طولون حكم البلاد المصرية . ووصف لنا بوضوح العمارة الدينية والمدنية والحربية في عهد ذلك الملك المستقل ، وصور لنا ما كانت عليه مدينة القطائع التي جعلها عاصمة ومقر ولايته وحلل لنا بأسهاب تصميم جامع العظيم وهو الأثر الاسلامي الذي ما زال حافظاً لرونقه كما شيده مهندسو العراقي الذي قدم الى مصر في ركاب ابن طولون على ما يرجحه المؤلف

وفي القسم الثاني تناول المؤلف الكلام عن الفنون الفرعية التي نشأت في مصر منذ الفتح العربي الى العصر الطولوني فتكلم عن المنسوجات والحفر على الخشب والخزف والتصوير الخ. ثم زين الكتاب بمجموعة نفيسة جداً من الصور النادرة التي جمعها بين تحف دار الآثار العربية والمتاحف الاجنبية في برلين ولندن وباريز كما ابدعت مطبعة دار الكتب في اخراج كتاب يعد مثلاً كاملاً للذوق والانتقان ويزيد الكتاب قدراً تلك الصفحات الست التي ذكر فيها الدكتور المصادر التي يجب على الدارس الاعتماد عليها اذ اراد التوسع في البحث وكلها مراجع لها قيمتها لدى طلاب الفنون والآثار الاسلامية واذا كان هناك ما نؤاخذ عليه المؤلف الفاضل فهو اغفاله للتاريخ الهجري واقتصره على التاريخ المسيحي وان بحثاً مثل هذا يجب ان يشمل التاريخين . كذلك اقتصاده في الكتابة عن جامع عمرو وقد رأى المؤلف انه لم تعد له قيمة كبيرة من الناحية المعيارية الاسلامية للزيادات العديدة التي غيرت معالم الجامع الاول . ولم يذكر المؤلف شيئاً عن مقياس الروضة الذي يعد اقدم أثر اسلامي في هذه البلاد

المعلم الجديد

مجلة تصدرها وزارة المعارف العراقية اربع مرات في السنة . العدد الثاني حزيران ١٩٣٥
رئيس تحريرها الدكتور متى عقراوي يعاونه جماعة من السادة والسيدات

من شاء ان يعرف شيئاً عن النهضة العلمية في الدولة العراقية الفتية وشيئاً عن اخلاق العراقيين فاعليه الا قراءة هذه المجلة وتصفح ما فيها ليعلم مقدار رقي تلك البلاد فقد قرأتها من اولها الى آخرها فرأيت فيها بياناً موجزاً لوزير المعارف معالي محمد رضا الشبيبي وهو اديب مشهور وعالم كبير من علمائهم وجه فيه خطابه الى موظفي المعارف وحثهم على ما يطلب منهم وهو بيان حقه ان يكتب بآاء الذهب لما فيه من النصائح الرشيدة

ثم مقالة لمدير المعارف العام الدكتور محمد فاضل الجمالي بعنوان « في اهداف التعليم » في العراق وكنت اود ان اخلصه وانما سأقتبس شيئاً منه قال : « ان الهدف الرئيسي للتعليم يجب ان يكون خلق امة قوية مرصوفة البنیان منيعة الجانب ذات مزايا شخصية ممتازة وذات استعداد مادي ومعنوي تستطيع ان تجاري امم الارض في مضمار التقدم والحضارة وتستطيع ان تقدم الى البشرية جمعاء ما عندها من مزايا مادية ومعنوية ولاجل ان تتوصل الى هذا الهدف يجب ان تتوافر فيها الشروط التالية »
ثم اخذ يسرد هذه الشروط واولها معرفة النفس وانه يجب على الطفل في المدرسة ان يمارس الاخلاق القومية ويتحلى بها وان النظام والاحتياط اساسيان في تقوية الامة ومجاراتها لامم العالم . وقال في الامة العربية الكبرى انها امة ذات نزعة روحية . ثم ذكر صفات العربي ومنها عزة النفس

واباء الضيم والعفة والشجاعة والايتار والكرم والشهامة ، والمقالة كلها على هذه الصورة حث على المبادئ الصحيحة القويمة

ثم مقالة « في فتح طريق الحج البري الجديد » لحسن فهمي بك رئيس شعبة الادارة في مديرية الشرطة العامة . ومقالة اخرى « في طريق الحج البري » بقلم محمد درويش المقدادي مدير الثانوية المركزية وصف فيها هذا الطريق وصفاً مسهباً مستعيناً بما دونهُ الرحالة المستشرق موزل ومستشهداً بالذين كتبوا عنها مثل ابن خرداذبه وابن جبير وابن بطوطه . ويلاحظ في هذه المقالة ان المؤلف لم ينسب شيئاً الى نفسه بل ذكر الاسانيد كلها شأن العلماء المحققين اي انه لم يسرق شيئاً ومعاذ الله ان يفعل فان سرقة الادب داء استفحل امره في الشرق فبعمله هذا كان قدوة لتلاميذه

ثم مقالة « في نظام المعارف في انكلترا وويلز » ترجمة بشير الياس اللوسبي المدرس في الثانوية المركزية . ومقالة « في العرب واكتشاف اميركا » وهو بحث لعالم الماني مترجم عن الفرنسية . ومقالة « في اهمية النهضة الصناعية والتربية الصناعية في العراق » لحبي الدين يوسف مراقب التعليم الثانوي . ومقالة « في الادب الشعبي » للسيدة سارة الجمالي . ومقالة « في الاتجاهات الحديثة » في علم الحساب للدكتور داود القصير استاذ الرياضيات في دار المعلمين ومقالة « في صفات المدرسة الصحية » للدكتور شريف عسيران استاذ الصحة في دار المعلمين الريفية ومقالة « في المدارس الابتدائية الريفية في ايطالية » وهي مقتبسة من مجلة العهد الجديد في البيت والمدرسة ومقالة « في اصل الانسان » لابراهيم شوكت مدرس الجغرافية بدار المعلمين الثانوية المركزية ومقالة مبتكرة « في المعارف العراقية في خمس عشرة سنة » للدكتور متى عقراوي يبين فيها سير المعارف في العراق . ومقالة عنوانها « اوقات الفراغ نعمة ونقمة » لفاضل حسين المعلم في المدرسة الخيرية ببغداد ومقالة « في المدرسة واصلاح القرية » لعبد المجيد محمود مدير معارف لواء المنتفك ومقالة « في مكافحة الخرافات بتعليم العلوم » لحكمت عبد المجيد ملاحظ الترجمة والتأليف بوزارة المعارف

ثم يلي ذلك نقد الكتب منها الجغرافية المتوسطة وحياة محمد وعلم الحيوان وعلم الاجتماع ومقدمة التربية وقوانين الالعب الاولمبية ومجلة المعلمين والمعلمات والشعلة والفتوة والتربية البدنية والكشافة ونقد هذه الكتب نقد نزيه كما يجب ان يكون النقد بلا تحامل على المؤلفين ولا اطراء كما نجد نقد الكتب في كثير من المجالات . ويلاحظ ان بين هذه المجالات مجلة الفتوة فهي في غير معناها في الازبكية فالفتوة معناها مكارم الاخلاق لا ضرب العصي والتعدي على الناس . هذه هي الفتوة في العراق والخلاصة ان هذه المجلة من انفس المجالات العربية لجميع المقالات التي فيها من الطبقة الاولى فكما ذات فائدة وحث على الاخلاق الكريمة . فأهنيء وزارة المعارف العراقية باصدارها

كتاب فرناند ليبريت

اغاني البحيرة

ظهر اخيراً ديوان من الشعر الفرنسي للاستاذين الشاعرين (فرناند ليبريت) مفتش اللغة الفرنسية بوزارة المعارف والثاني للاستاذ (فيشتر) مدرس اللغة الفرنسية بمعهد الليسيه بالاسكندرية والديوانان لهما نفحة خاصة من الشعر المصري وفيهما طائفة شائقة من الخواطر عن مصر دعانا للحديث عنهما حث المطلعين بالادب الفرنسي من المصريين المثقفين على ترجمة هذه الآثار القيمة التي فيها روح جديد تدخل على الشعر العربي نواحي جديدة مستحبة وانني هنا اعبر تعبيراً بسيطاً عن استحقاق هذه الآثار من وجهة التخليد ولولا العجز لقمتم بهذا الواجب الادبي الصميم بحملها اليّ حفيف الاشجار . وهمس الاصوات الخافتة . بل هذه الاصوات الناعمة التي خمدت . وحملها اليّ مع ذكريات الطفولة العذبة المؤثرة ومع الحزن الذي يوافق اعيادي . ان هذه الاصوات نكاد نسمعي خريز المياه المتدفقة على طيات الجرائن في الحدائق العليا لبيوتنا القديمة في هذه الساعة التي يترك فيها النسيم شعاعاً بنفسجياً على اجفان العذارى الحارة . وفي هذه اللحظات التي يتصاعد فيها بخور لؤلؤ رائحة البذور المزوجة بدم الشهداء . شهداء الحرب العالمية الكبرى في ساحات الوغى . ان اغاني البحيرة قد اودعت في نقسي زهيرات الماضي . ومزجت بذكرياتي رائحة اشلاء الجثث البريئة يهب عليها نسيم حبيتي الجميلة

تسلمت كتاب (فرناند ليبريت) المحتوي على طائفة من القصائد الشعرية عن ثلاث نواح . بعضها عن شباب الشاعر . وبعضها عن ذكرياته في الحرب الكبرى . والبقية الاخيرة تصور طائفة الشاعر في تأثره بالحياة المصرية وتعبيره عن هذه الحياة بأسلوب جذاب وخيال متمرد ولقد تمكن ليبريت بدقة تصويره ورقة طاقته ان يجعلنا نحيا ساعات مضت كانت سماء مصر فيها وردية حائلة اللون . لا تستطيع ان تجد لها شبيهاً اليوم الا لون خدود العذارى اللائي لا مسحة على سياهن من الزينة

تقول وقد اضر بها التناهي	واقلق بالها صرف الزمان
تسمع يا ظلوم رجاء نفسي	كفاني ما اطانيه كفاني
اعد لي بهجة العيش المولي	وايام الهناءة والتداني
فبين يدك كنت تركت امي	وارابي واودعت الاماني
تصورك الخيال وكنت وسني	فانساني خيالك ما دهاني
شعرت بكفه مسحت جيبي	من الهم الملازم والهوان
لهي ان احلامي تناهت	عساني بالغ املي عساني ؟

حشود الذكريات علي تترى ومالي حين القاها يدان
 لو قدرنا ان الموسيقى فن امتزاج الاصوات ليخرج منها مقطعات في مكنتها ان تنقلنا الى عالم
 آخر فيه نشوة ولذة يرتاح اليهما العقل وتسمو بمنازع الشعور . ولو قدرنا ان المصور هو الذي
 تنعكس في عينيه الاشياء والمعالم والصور بطريقة ذاتية فتخرج برنين مؤثر جذاب . يمكننا ان نؤكد
 انه لم يوجد اليوم في مصر — وقد لا يوجد — مصور ابهر او موسيقار أقدر من هذا الرجل
 ذي الملامح الحادة وذو الابتسامة الهادئة . الذي يهزنا شعره هزاً أعينياً ويحز في القلوب حزاً ...
 وتكاد اغانيه الشعرية تقبل كلها كالكافلة . من صميم البدياء . تحفها التمجوجات الموسيقية الهادئة
 احمد رامس

الفن في مصر

« المصورون والمثالثون في مصر الحديثة » — تأليف الاستاذ موريك ران

لايستطيع احد الا ان يعترف بان مصر قد خطت في سبيل الحضارة والرقى خطوات واسعة شملت
 جميع نواحي الحياة فيها . ولكن ناحية منها لا يعرفها الجمهور معرفة حسنة مع انها ناحية مهدها
 وادي النيل ونشأتها على ضفافه ونعني بها فن التصوير وفن الحفر
 ومن يتتبع حركة التطور الفكري والفني في مصر يمكنه ان يدرك المدى الذي بلغته هذه الحركة
 فيها وتقدم ذوق الجمهور الفني . فقد كونت مصر لنفسها شخصية فنية يعتد بها ونجح المعهد الذي
 انشئ في القاهرة سنة ١٩٣٠ نجاحاً عظيماً حتى ان هيئة التعليم في مدرسة الفنون الجميلة المكونة
 من اعلام الفن المشهود لهم بطول الباع سواء في مصر او في ايطاليا او في فرنسا يعربون عن سرورهم
 بالنتائج التي يفوزون بها . وقد كثرت المعارض الفنية في القاهرة كثرة دلت على ما للمصورين
 المصريين من مواهب . وان مصر لتعقد عليهم الامل في ان يحيو تراث اجدادهم وان يبرهنوا للعالم
 ان ارض الفراعنة لها مستقبل فني لا يقل عظمة عن عظمة ماضيها الفني المجيد
 ان الطبيعة والشمس في وادي النيل لا تكفان فقط بالهام الشعراء والكتاب بل تتغلغل وتصل
 الى اعماق نفس كل فنان فتبعث فيه ما يحرك قلمه او ريشته فيخرج لنا هذه الآيات الفنية التي
 تشاهدها في معارض القاهرة او في معارض روما او باريس
 ولا بد لنا من ان نعترف بجميل اولئك الذين عضدوا هذه الحركة وعاونوا على احيائها بتشجيعهم
 لها تشجيعاً مادياً ومعنوياً وعلى رأسهم صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول الذي يبذل كل مجهود
 في سبيل رقي بلاده . كذلك لا يمكننا ان نفي جمعية محبي الفنون حقها من الثناء على ما قامت به من
 تشجيع للفنانين وإمدادهم بالمال في ثبات ونظام . وان في عناية صاحب الجلالة الملك بافتتاح المعرض

السوي الذي تقيمه الجمعية كل عام لا عترافاً لهذه الجمعية بأفضالها على الفنون وقد اخرج لنا المسيو «موريك بران» المدرس بكلية الآداب والسكرتير العام للجمعية محي الثقافة الفرنسية سفراً نفيساً في هذا الموضوع درس فيه المظاهر العديدة لتقدم الفنون في قطرنا وفي هذا السفر الجميل وعنوانه «المصورون والمثالون في مصر الحديثة» جمع المؤلف ثلاث دراسات ومقدمة بقلم المسيو «اندرية دي لوموى» رئيس تحرير جريدة البورص اجيبسين كما الحق به اربعة وعشرين صورة لاشهر المصورين في مصر

وليست قيمة هذا السفر الذي وضعه المسيو «موريك بران» في استعراض الفنانين وما اخرجوا من آيات فنية وانتقادها انتقاداً صحيحاً بل هي في تحليلها وبحثه عن مصادر الهام الفنان ووحيه اذ هو يشرح لنا شعور الفنان واحساسه ونظراته الى الفن وليس هذا بأيسر الامور ولقد اثنى على هذا التحليل في مقدمة الكتاب المسيو «اندرية دي لوموى» فقال : ان المسيو «موريك بران» لم يفصل بين الفنان وما اخرج فهو قبل ان يشرع في انتقاد التحفة الفنية كان يدرس مصدرها ووحياها في شخصية الفنان ، في تكوينه وفي نماذجه او فيما يعجب به . وقد كلل عمله بالبحاح دائماً

وفي الواقع اننا عند ما نقرأ صفحات هذا الكتاب الجليل نفهم البواعث التي حملت فنانين مثل «كامسيو انوشنتي» او «ناجي» او «محمود سعيد» او «مختار» او «آمي نمر» او «افاديسيان» او «منصور» او «زكي خليل» او غيرهم على التصوير او الحفر ودراسة المسيو موريك بران للمصور «نيروني» دراسة وافية تعطينا فكرة واضحة دقيقة عن التحف الفنية التي اخرجها هذا الفنان الذي يتأثر بالطبيعة وبجمالها المختلف تأثراً قوياً فينقلها اليها في صورته الرائعة

والمسيو «موريك بران» لا يعتبر الفن مجرد نقل عن الطبيعة او تقليد لها وانما هو خلق وتعبير . فالواقع ان صور الفنان «نيروني» تعبر من عوالم خيالية وبلاد جميلة لا تشاهد الا في الاحلام كذلك اثنى المسيو موريك بران على المصور «فرج منصور» ثناء عظيماً فهو يعجب : كيف استطاع هذا الفنان ان يجمع بين التناسب في الخطوط والانسجام في الحجم وبين العظمة والنيل والبساطة معاً . انه يمت الى طبقة الفنانين في عهد الفراعنة وقد تمكن بموهبة غريبة ان يجعل الاشكال الهندسية حية بل تخفق حياة

وعلينا ان نثني على المسيو «موريك بران» وعلى كتابه هذا الجليل . فقد استطاع ان يبعث فينا الايمان بابدية مجد مصر الفني

صبري فهمي

عمر بن أبي ربيعة

عصره وحياته وشعره

بقلم جبرائيل سليمان جبور — الجزء الاول (عصر ابن أبي ربيعة) — ٢١٢ صفحة بحجم المقتطف —
طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت

إذا ذكر الشعر الغزلي في الادب العربي برز اسم عمر بن أبي ربيعة من خلال القرون البعيدة التي مرت على وفاته في مقدمة شعراء العربية قاطبة فهو حامل لواء هذا النوع من الشعر ، وهو مؤسس المدرسة الواقعية في الادب العربي وإن سبقه امرؤ القيس والنابعة الذبياني بقليل من الشعر كان بمثابة الاساس الذي أقام عليه عمر دعائم مدرسته . ولقد كان عصر هذا الشاعر من العصور الحافلة بالحوادث الهامة في تاريخ الامة العربية . كان عصر انقلاب وثورات وتغيير في نظام الحكم الشوري وتحوله الى حكم ملكي متوارث ، وكان لهذه التغييرات أثرها في وطن الشاعر وفعلها في شاعريته وقد عالج جبرائيل سليمان جبور أحد اساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الاميركية هذه الشخصية بدراسة تحليلية تقع في ثلاثة اجزاء تبحث في عصره ، وحياته ، وشعره ، وأصدر منها الجزء الاول في عصر عمر بن أبي ربيعة في أسلوب بديع ينم على بصيرة نقاده ونفاذة ذهنه منظم متمكن من موضوعه دارس له ملهم بأطرافه

عرض المؤلف في هذا الجزء حالة العصر الذي عاش فيه هذا الشاعر من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية والادبية ، وأبان عن مظاهر كل حياة من هذه بتوسّع وإحاطة ، وأظهر ما لكل منها من الأثر في الجو الذي عاش فيه عمر

واعطانا المؤلف في الحياة الاقتصادية صورة من أثر المال الذي أغدقه بنو امية على اشراف الحجاز ليصدوا الشباب منهم عن إحداث الفتن ، وليلهوهم به عن التطلع الى المناصب والاعمال ، وليمدوا لهم سبل اللهو والهوى ، فكان أن تغيرت الحياة الاجتماعية تغييراً رفع بالمرأة العربية الى حياة جديدة ، إذ أخذت النساء تلبس القمص الاسكندرانية الرقيقة والثياب القوهية المعصفرة تكاد تشف عن اجسادهن — كما يروي الاصبهاني وابن عبد ربه — وجعل لمجالسهن روحاً غريبة يظهر أثرها في شعر عمر كقوله يصف حديثاً بين صاحبتة ورفيقة لها :

وأشَفِّي البرد عنك له كي تشوقيه اذا نظرا

وقد توسع المؤلف في باب الحياة الاجتماعية فأظهر كل التطورات التي طرأت على الامة العربية ونقلتها الى دور جديد

ثم انتقل الى الحديث عن الحياة الدينية والعلمية فأبان ان التطور الاجتماعي بلهوه وانسه وعبثه وترفه لم يكن يمنع اهل الحجاز عن الالتفات الى الناحية الجديدة من حياتهم والنظر في الانقلاب الديني العظيم نهض بجزيرتهم تلك النهضة القوية برسالة النبي (صلعم) فقاموا بتدوين القرآن والحديث

والبحث فيما كان يقضي به رسول الله في بعض الامور ، وما يمارسه في بعض الفروض . وكان لهذه الحركة الدينية اثرها الكبير في عادات القوم و اخلاقهم فألانت من طباعهم ، وظهر هذا الاثر في ادبهم فتأثر بكثير من تعابير القرآن ومعانيه وتراكيبه ، وكان اثر هذه كلها ظاهراً في شعر عمر ، في حين لم يكن فيه اثر للحياة العلمية البحتة كالطب والفلسفة والمنطق وما شابه ذلك ، اذ كانت هذه الحركة بعيدة عن الحجاز

وأما عن الحياة الادبية في ذلك العصر فقد اوضح المؤلف الظواهر الاربع التي تبدو للباحث بعد التطورات الجديدة التي طرأت على هذه الامة . وهذه الظواهر كانت هي الصبغة الغالبة على لون تلك الحياة . فالظاهرة الاولى هي شيوع الشعر عن النثر وقوته على البقاء اكثر منه . والظاهرة الثانية هي رواج الادب وخاصة الشعر وشدة الصلة بينه وبين عامة الناس الى درجة لم يبلغ اليها في عصر غير هذا العصر ، فالقد كان بعض الخلفاء والأمراء والولاة رواة للشعر ، محبين لاهله ، نقاداً له ، حكاماً بين قائله . وكانت الظاهرة الثالثة الخوصومة الأدبية التي قويت في هذا العصر فأنتجت أدباً خاصاً حتى طغت هذه الخوصومة فكاد يقضي أصحابها على غيرهم من الشعراء ، وذكر المؤلف انواع هذه الخوصومات وأثر الشعراء في الفتن

أما الظاهرة الأخيرة فكانت في إقليمية الأدب ، إذ كان يختلف أدب قطر عن قطر . وقد ضرب المؤلف الأمثلة على ذلك من أدب كل قطر حتى انتقل الى أدب الحجاز حيث كان يختلف هو الآخر باختلاف المدن ايضاً ، فكان في الطائف حيث الطبقة الارستقراطية المرحاة العابثة المنزوية عن أعين العمال والرقباء غير ما كان في المدينة مسرح المغنين الجواربي حيث فشا المجون . وكان في مكة — مقام عمر — غيره في هاتين المدينتين ، إذ كانت حياة الدعابة والعبث واللهو في مكة مقرونة بشيء من التحفظ والحيلة فلم يقوَ العبث فيها ولم ينتشر المجون ، وكان شعرهم بالرغم من إباحيته يبدو وعليه مسحة من العفة ، وهناك تصدر الزعامة عمر بن أبي ربيعة . وكما كانت هذه هي ألوان الشعر في هذه المدن الثلاث كان في بادية الحجاز ذالون آخر حيث مال الكثير من شعرائه الى التقوى والعفة والطهر وعرفوا بالحب العذري كما يبدو في شعر جميل وإن تلون بعض شعرهم بألوان الآخرين للاشتراك معهم في مواسم لهوهم من ناحية ، ولشيء من اللهو يسر لهم في موطنهم فبدت صورته في اشعارهم

هذه كلمة سريعة عن هذا الكتاب تدل على الجهد الذي بذله المؤلف والنجاح الذي اصابه . وكان بودنا أن يتنبه المؤلف الى الخطأ الذي وقع في عنواني الكتاب — الرئيسي والفرعي — حيث وضع الخطاط ألفاً (لابن) وهي بين اسمين ، وحرك الكلمة نفسها في مكان آخر بالضم وهي في موضع الجر في جملة (عصر ابن ربيعة) حتى لا تصدم مثل هذه الاخطاء نظر القارئ في غلاف الكتاب حسن كامل الصيرفي

خصائص اللغة العربية

تأليف حبيب بك غزالة — صفحاته ٣٢ من القطع الكبير — طبع بالمطبعة العصرية بمصر

رسالة نفيسة وفق حبيب بك غزالة في تصنيفها ووضعها كل التوفيق ، وهي عبارة عن بحث في اللغة العربية الفصحى والعامية ، وما يقابل خصائص الفصحى في غيرها من اللغات الأفرنجية ، وتجليه ما امتازت به هذه اللغة من غزارة المادة واساليب البلاغة والبيان ، وأنى بمخلاصة وافية لأراء بعض العلماء والائمة في اللغة مثل جلال الدين السيوطي والجواليقي وغيرهما ، وابان ما امتازت به اللغة من الخصائص فشرح المترادفات والجملة الاعتراضية والتصريف وغيره وظهر فضل الحروف الهجائية وخصائصها وما يقابلها في الحروف الأفرنجية وختم رسالته بفصل ممتع عن اللغات العربية العامية وظهر ان اللغة العربية لم يصبها ما اصاب غيرها من اللغات من التغيير والتحويل ، وما عراها من الشوائب لم يغير شيئاً من جوهرها ، وحصر هذه الشوائب في ست نقط وشرحها باسهاب . فيجدر بجماعة المتأدبين وطلبة المدارس الثانوية ان يطلبوا هذه الرسالة التي تضم بين دفتيها فوائد جمة

مطبوعات جديدة

ضاق نطاق باب مكتبة المقتطف عن النظر في معظم الكتب التي وردتنا وفيما يلي بيان بالمطبوعات الحديثة التي سوف ننظر فيها في الشهر القادم وما يليه

اوراق البردي العربية : للاستاذ ادولف جروهمان
النجوم الزاهرة الجزء الخامس الاتابكي
نهاية الأرب السفر الحادي عشر للنوري
الاغاني الجزء السادس والسابع للاصفهاني
وادي النظرون لسمو الامير عمر طوسون
اليزيدية قديماً وحديثاً لاسماعيل بك جول
قصص جغرافية للاطفال — لكامل كيلاني
تاريخ اوربا والمسألة الشرقية لجورج حداد

الزراعة العلمية الحديثة — للامير مصطفى الشهابي
الاسلام الصحيح — لمحمد اسعاف النشاشيبي
تطور النثر العربي — للاستاذ انيس المقدسي
القاهرة الجزء الثاني — للامير الاول عبد الرحمن زكي
السودان في ثلاثة مجلدات — لعبد الله حسين
المقدس : الجزء الاول — لنقولا الحداد
افلاطون الى ابن سينا : للدكتور جميل صليبا
المفصل : لاسماعيل عطية الابرشي

بَابُ الْإِخْبَارِ بِالْعِلْمِ

مؤتمر المستشرقين لسنة ١٩٣٥

أيام العباسيين ، ومحاضرة الاستاذ (الاطالي) جويدي Guidi في «اليزيدية» ، ومحاضرة الاستاذ (الفرنسي) ماسينون Massignon في «العناصر الاسماعيليه في شعر المتقي» ، ومحاضرة الدكتور بشر فارس باللغة الفرنسية في «مكارم الاخلاق الاسلاميه» ، ومحاضرة الاستاذ (الفرنسي) ماسيه Massé في «الشياطين والجن في معتقدات ايران الشعبية» ، ومحاضرة الاستاذ الايطالي نلينو في الطبعة الحديثة لتاريخ المسامين للمستشرق اماري Amari ومحاضرة الاستاذ (الفرنسي) بيريس Pérès في «الحب الرقيق والحب العذري في الاندلس في القرن الحادي عشر»

وختمت المحاضرات بمناقشة كادت تكون حادة دارت حول توحيد اسلوب رسم الحروف العربية بالحروف اللاتينية . وكان الاستاذ (الالماني) بروكلان Brockelmann صاحب كتاب تاريخ الآداب العربية قد قدم اقتراحاً بهذا فاجتمع العلماء لبحثه وكانوا يناقشون الاستاذ بروكلان في التفاصيل فيرد عليهم الرجل ردّاً سديداً مقنعاً تارة بالفرنسية واخرى بالانجليزية واخرى بالالمانية فدلّ على براعته وقوة حجته

ومما نأخذ على مثل هذه المؤتمرات ان المستشرقين يلقون محاضرتهم بلغاتهم المختلفة اي بالانجليزية والالمانية والفرنسية والاطالية والاسبانية والحق ان المشتغل بالمشريات ينبغي

عقد مؤتمر المستشرقين هذه السنة في روما من يوم ٢٣ سبتمبر الى ٢٩ منه والمعلوم أن هذا المؤتمر يأتي اليه العلماء المشتغلون بالمشريات ليعتارفوا ويتفاوضوا ويحاضروا ، والمشريات تعم الصين واليابان والهند وجميع المدنات الشرقية قديمة وحديثة وكلامنا هنا عما يختص بالاسلام ذلك بأننا لم نستطع الا مراقبة ما جرى في شأنه

الحق ان عدد المشتغلين بالاسلام الذين وفدوا الى المؤتمر لم يكن بالغفير ، ومما لاحظنا أنه ما من انجليزي أتى من بلاده وان هولندياً واحداً جاء الى روما . وقد نسب الناس ذلك الى الخلاف الذي بين انجلترا وايطاليا ثم الى استعداد هذه للحرب . واما مصر فقد مثلها الدكتور طه حسين والاستاذ مصطفى عبد الرزاق خير تمثيل ان عدد الذين حضروا يبلغ زهاء عشرين وقد وقعت طائفة من المحاضرات موقفاً حسناً نذكر منها محاضرة الاستاذ طه حسين باللغة الفرنسية في «بعض ملاحظات على كتاب البديع لابن المعتز» جاء فيها باستدراكات لبقّة على ذلك الكتاب الذي طبعه المستشرق الروسي كرانسكوفسكي . ومحاضرة الاستاذ (الالماني) تيشنر Taeschner في «حظ الصوفية في تأليف جماعات الفتوة» ، ومحاضرة الاستاذ (الانجليزي) فيشيل Fischel في «الادارة المالية

الاكسجين عن طريق الرئتين . وكان ضغط الاكسجين المحقون في العروق ثلاثة اجواء . ولولا خطأ في اسلوب الحقن لاستمرت التجربة اكثر من ١٦ دقيقة . وقد نشرت مجلة اللانست الطبية هذا النبأ وعلقت عليه بمقال افتتاحي . والخطوة التالية هي تطبيق هذه التجربة على الناس

— تصحيح خطأ —

في الصفحة الثانية من السطر ١٦ من محاضرة الدكتور شوشة بك عبارة : ومقدار الغاز بحسب بالمليغرامات في سنتيمتر مكعب . وصحتها المتر المكعب . وفي خريطة افريقيا وتقسيمها السيامي التي صدرنا بها العدد اهل المصور وضع العلم المصري الى جانب العلم البريطاني في السودان فاقتضى التنبيه

العناية بالصحة الشخصية

بقية المنشور على الصفحة ٤٠٨

٩ — * الماء كل . الموائد . والمقاعد : زيادة في النظافة ومحافظه على هندام الملابس وقوام الجسم ونشاطه ابتكر المصريون الموائد والمقاعد . كما انهم استعملوا الملاعق . وهذه الادوات مع الاطباق والكوابل تعتبر من اساس الصحة في الماء كل والشرب لانها عامل مهم كفيل بمنع انتشار الامراض بين الآكلين . وبعد تناول الشراب اعتاد القوم ان يمسحوا افواههم بالفوطه الكثيرة الشبه بالحرمة الحديثة وان يتقدم الخادم بها قائلاً « شفاء وعافية »

١٠ — * الرياضة البدنية * عني بها المصريون القدماء عناية عظيمة . وقد فصلنا الموضوع في محاضرة سبق للمقتطف ان نشرها

١١ — * المظلات * كلنا نعرف شدة

له ان يعرف هذه اللغات . الا ان معرفة لغة اي القدرة على فهمها قراءة لا تستوجب القدرة على فهمها سماعاً ولا سيما ان المحاضرين يسرعون في الكلام اسراعاً ولربما اتفق لهم ان يخفضوا الصوت أو ان يخفوا مخارج الكلمات . فلم لا نتلقى المحاضرات باحدى هاتين اللغتين الشائعتين البيئتين في آن اي الفرنسية والانجليزية ؟ وهناك مأخذ آخر . ذلك ان معظم المحاضرين في هذا المؤتمر جاوزوا المدة التي ضربت وهي عشرون دقيقة ، فترتب على هذا خلل في مواعيد المحاضرات الأخرى . وما يذكر هنا ان الشرقيين الذين حاضروا — وقد تقدم اسمها — لم يجاوزوا تلك المدة وبعد انقضاء المؤتمر بما فيه من محاضرات ومناقشات ونزهات دبّرتها الحكومة الايطالية قرر من قرر أن مؤتمر المستشرقين المقبل سيعقد بعد سنتين او ثلاث او اربع في بروكسيل عاصمة البلجيكي . وكان اقترح بعضهم مصرأ فأعرضت الأذان لاسباب نكره ان نذكرها

م

هل حقن الاكسجين ينقذ حياة الغرقى

يؤخذ من مباحث طبيب هندي يدعى الدكتور سنج يقوم بمباحث علمية طبية في جامعة كبرج احياناً وكلية رانغور الطبيعية احياناً اخرى ان حقن الاكسجين في العروق قد يكون السبيل لانقاذ حياة الغرقى او المصابين بنوع خاص من النزلة الشعبية او غيرها من الحالات التي يصعب فيها التنفس على المريض

فقد تمكن هذا الطبيب من الاحتفاظ بقلب حيّاً مدة ١٦ دقيقة بحقه بهذه الحقن مع ان القلب ظلّ خلال هذه المدة لا يتنفس

والحمام والمرحاض كلها مدهونة باللون الابيض الناصع اظهاراً لنظافتهما . وتخصيص امكنة لكل من الحمام والمرحاض وحجرات الزينة برهان كاف على مبلغ رقي القوم وقتئذ وخطوة كبيرة نحو تدبير صحة المنزل

اما الصابون فلم يكن مستعملاً عند قدماء المصريين . واقدم ما عثر عليه هو في مدينة بومباي (Pompei) . وروى اليوناني Aretacus ان اليونان تعلموا صناعة الصابون من الرومان . ولا يبعد ان يكون المصريون استعملوا الدقاق (وهو مسحوق الترمس) لنظافة اجسامهم كما كان مستعملاً الى عهد قريب

١٣ — حجر النوم * المنازل الراقية تحوي حجرات خاصة للنوم . ولكل فرد منها سرير وورد على الآثار رسم لحجرة نوم تحوي سريراً كبير وثلاثة اسرة لاطفال . وكل سرير يحوي وسادة و« منشة » ومسند للرأس كما هو واضح بالرسم . كل هذه الاجراءات تكفل الراحة في النوم لكل فرد وتمنع العدوى بين افراد العائلة (ارمان عن مصر)

١٤ — الحشرات المنزلية * اهتم المصريون بابعاد هذه الحشرات عنهم محافظة على صحتهم وعلى ما كولاتهم فاوردوا الوصفات لابادة البراغيث برش ماء النطرون « ايبرس ٧٥٠ — ٨٤٠ » ووصفات لمنع لدغ النحل « ايبرس ٨٤٥ — ٨٤٦ » واخرى لابعاد الفيران « ايبرس ٨٤٧ » كما اهتموا ايضاً بتعطير منازلهم وملابسهم « ايبرس ٨٥٢ »

حرارة الصيف في مصر وعظم الحاجة الى الوقاية من اخطارها . والى عهد قريب كان المعروف ان للظلات ابتكار حديث لكن الآثار اظهرت لنا انها مصرية قديمة كما يشاهد في الرسوم المرفقة . وهي على نوعين نوع بسيط فطري عبارة عن درع كبيرة يحمله تابع ونوع مستدير مرفوع على قائمة نبت احياناً في العجلاّب لوقاية الراكب من حرارة الشمس . وهذا الاخير كثير الشبه بالشمسية الحديثة . ومقبرة توت عنخ امون تحوي مظلة كبيرة من هذا الشكل كان جلالته يجلس تحتها وهي منصوبة الآن في دار تحف القاهرة

١٢ — دورة المياه * استعمل القوم الماء البارد والدافئ للاستحمام . وفي عهد المملكة الحديثة (١٥٥٥ — ٧١٢ ق.م) كان كل منزل بجوي حجرة حمام وحجرة مرحاض . والاثنتان ملاصقتان لحجرة الزينة او مجاورتان لحجر النوم وارضهما وجدرانهما مكسوة بالبلاط الجيري المصقول . وتحوي حجرة الحمام حوضاً للاستحمام (ارمان ص ٢٠١ كتابه عن مصر) شبيهاً بما هو مستعمل الآن يقف فيه الشخص ويصب عليه الماء من اعلى بواسطة خادم مختبىء وراء حجاب . اما المرحاض فيتكون من مقعد مقعر قليلاً لراحة الجالس مصنوع من الحجر الجيري المصقول مفتوح فتحة مستطيلة كالمرحاض الحديثة . وهذا المقعد مرفوع على جدارين صغيرين وعلى جانبي المقعد مربعان صغيران مملوآن رملاً يرمى به بواسطة مغرفة على المواد البرازية لتغطيتها^(١) وحجرة الزينة « التواليت » الملاصقة

الجزء الرابع من المجلد السابع والثمانين

- ٣٩٣ المتفجرات الحربية والبحث العلمي
- ٣٩٩ الغازات الحربية : للدكتور علي توفيق شوشه بك (مصورة)
- ٤٠٩ الشاعر والمرأة (قصيدة) : لملي محمود طه
- ٤١١ تمجيد الفضاء : لنقولا الحداد
- ٤١٨ النشوء والارتقاء (قصيدة) : لعبد الرحمن شكري
- ٤١٩ غزل المتني : لخليل شيبوب
- ٤٢٨ آراء الباحثين في اصل الشعور الديني : للدكتور عبد الرحمن شهبندر
- ٤٣٤ العناية بالصحة الشخصية في العهد الفرعوني : للدكتور حسن كمال
- ٤٤١ تمديد الادب : لحليم ميري
- ٤٤٧ المعادن والتبعات الدولية
- ٤٥١ تأثير العلم في الفلسفة الحديثة والفكر الحديث : لطفه الباقر
- ٤٥٨ مقام دراسة الشرق في معاهد الولايات المتحدة الاميركية : لادورد جرجي
- ٤٦٢ الاسطول والبحرية ايام محمد علي : للدكتور علي مظهر
- ٤٦٧ هي الدنيا (قصيدة) : لرشيد ايوب
- ٤٦٨ مفرقات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي
- ٤٧٣ سير الزمان * قناة السويس : للملازم الاول عبد الرحمن زكي . طبيعة الحبشة الجغرافية : ملخص فصل للمسيو سكتا . ملخص تاريخي لصلة الحبشة باوروبا . الدستور السوفياني : للاستاذ وليم بنت منرو
- ٤٩٧ التربية الاجتماعية والصحية * متى يغتفر الكذب : لشاكر الحنبلي . تحريم السرقة . الاستشارة الطبية الدورية : للدكتور حسن كمال
-
- ٥٠٧ المراسلة والمناظرة * لا تقل كريات بيضاء : للاب الكرمل . أيقال كريات بيضاء : للدكتور امين باشا المعلوف . ارشاد لقوي : للاستاذ عبد الرحيم بن محمود
- ٥٠٧ مكتبة المقتطف * علم الامراض الباطنية . الفن الاسلامي في مصر . المعلم الجديد . كتاب فرنا نديريت . اغاني البحيرة . الفن في مصر . عمر بن ابي ريعة . خصائص اللغة العربية . مطبوعات جديد
- ٥٢١ باب الاخبار العلمية * مؤتمر المستشرقين لسنة ١٩٣٥ . هل حقن الاكسجين ينقذ حياة الفرق